

نُحُودِي سِيَّاسِي وَاسْتِرَاجِعِي وَنَارِيخِي

الكتاب السادس

قِرَاءَةٌ فِي فِكْر

عِلْمَاءُ الْإِسْرَائِيلِيَّةِ

جارودي ... ينذر ... ويحذر

الأطماع الإسرائيلية قد تُعَلِّعَ عَرَبًا عَالِمِيَّةً نَالِيَةً

فَهَلْ مِنْ مُدَّكَرٍ؟

إِعْدَاد

أ.د. جمال عبد الرزاق سعي

الشيخ / عبد الرزاق أمين سليم

دار الفؤاد



حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى
١٤٢١هـ - ٢٠٠١م

دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - ج.م.ع - المنصورة

الإدارة : ش الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب ص . ب ٢٣٠

ت : ٣٤٢٧٢١ / ٣٥٦٢٢٠ / ٣٥٦٢٣٠ فاكس ٣٥٩٧٧٨

المكتبة : أمام كلية الطب ت ٣٤٧٤٢٣



مَجْرُوعِي سِيَاسِي وَاسْتِرَاجِي وَنَاجِي

الكتاب السادس

قِرَاءَةٌ فِي فِكْرٍ

عَلَاءُ الْأَسْرَاجِيَّةِ

جارودي ... يتذر ... ويحذر

الأطماع الإسرائيلية قد تَعِلَّ عَرَبًا عَالِمِيَّةً نَالِيَةً

فَهَلْ مِنْ مُدَّكَرٍ؟

إِعْدَادُ

أ.د. جمال عبد الرهادي م.س.ع.

الشيخ / عبد الراضي أمين سليم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ * رَبِّكَ فَكْبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ
فَاهْجُرْ * وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ * وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴾

[المدثر / 1 - 7]

قال صلى الله عليه وسلم :

«إنما مثلى ومثل ما بعثنى الله به كمثل رجل أتى قومه فقال: يا قوم
إني رأيت الجيش بعينى ، وإني أنا النذير العريان ، فالتجاء .. ،
فأطاعه طائفة من قومه فأدجلوا ، فانطلقوا على مهلهم فنجوا .
وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فأهلكهم
واجتاحهم ، فذلك مثل من أطاعنى فاتبع ما جئت به ، ومثل من
عصانى وكذب بما جئت به من الحق » .

[أخرجه البخارى رقم (7283)

كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة

عن أبى موسى الأشعرى ،

فتح البارى ج 13 / 250]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تمهيد :

الحمد لله ، والصلاة والسلام على محمد رسول الله ﷺ . وبعد :

* الأحداث تتابع على المسرح الدولي بسرعة غير معهودة ، فى ظل القيادة الصهيونية التى تمتطى ظهور الدول الاستعمارية، والمنظمات الدولية ، وظهور غالب القيادات الحاكمة فى العالم ، بمؤسساتها السياسية والفكرية والعقدية والاقتصادية والعسكرية والأمنية والتعليمية والإعلامية ، وتوجهها الوجهة التى تطمح إليها ، تستهدف ما حذر الله سبحانه وتعالى الأمة منذ أربعة عشر قرناً من الزمان .

قال تعالى : ﴿ إِن يَشْقُوقُكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتُهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴾ . [الممتحنة : 2] .

وذلك فى غياب القيادة الرشيدة الفاعلة (وهى الأمة المسلمة) التى حملها الله سبحانه وتعالى مسؤولية تحقيق العدل الإلهى والأمن والأمان على سطح الأرض .

* وترتب على ذلك هرج ومرج تموج به غالب بقاع الأرض كموج البحر ، وظلمات بعضها فوق بعض ، وذلك شىء طبيعى حينما ترعى الذئاب الغنم .

* والأمر الأخطر أن الكيد الصهيونى ، والتآمر الدولى لم ولن يقف عند حده إلا إذا استيقظت الأمة على وقع أقدام الأخطار المحدقة التى تستهدف الدين والعرض والعقل والنفس والثروات .

من أجل ذلك كانت تلك المقالات ، التى نعرض لها بين يدي القارئ ، تستهدف بإذن الله ومشيئته إيقاظ وعى الأمة ، لكى تتصدى لهذه الأخطار قبل فوات الفرصة المتاحة على أن تضع الأمة فى الاعتبار أن ما يحدث هو السنن الربانية فى حياة الأمم لقوله تعالى : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [البقرة : 251] .

* فعلىنا أن نعد أنفسنا وأمتنا لمواجهة هذه الأخطار ، بقول الله تعالى :

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾

والله عز وجل وعدنا بالنصر فقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنزِلَ اللَّهُ فَاحْبَطُوا أَعْمَالَهُمْ ﴾ [محمد 7 : 9] .

وقراءتنا التي بين يديك تقع في أربعة فصول للمفكر جارودي يسبقها مقدمة .

الفصل الأول : الولايات المتحدة . . . طليعة الانحطاط .

الفصل الثاني : نظام عالمي جديد ... أم فوضى دولية جديدة

ويحتوى على مقدمة وثلاثة مباحث .

الأول : ديانة التوحيد .

الثاني : حرب دينية ضد ديانة التوحيد .

الثالث : الخروج من الأزمة .

الفصل الثالث : إسرائيل ... تهدد العالم .

ويحتوى على مقدمة وثلاثة مباحث .

الأول : كيف تهدد إسرائيل العالم .

الثاني : من غزو لبنان . . . إلى الخليج الثانية .

الثالث : المنطلق التلمودي في قراءة التوراة .

الفصل الرابع : سياسة إسرائيل الخارجية .

ويحتوى على مقدمة وثلاثة مباحث .

الأول : السلاح النووي الإسرائيلي .

الثاني : مؤامرة ضد الثورة الإسلامية .

الثالث : ماستريخت الأوروبية ، استجابة للهيمنة الأمريكية .

* ومهمتنا في هذا الكتاب-السادس- من سلسلة قراءة في فكر علماء الاستراتيجية

هى مهمة المؤرخ ؛ الذى يقوم بجمع المادة التاريخية، وتبويبها وترتيبها مع بعض

التعليقات والملاحظات ، تمهيداً لإخضاعها للتقويم والتحليل مع استخلاص النتائج .

* ولا يفوتنا أن نذكر أننا التزمنا بالترجمة الحرفية « للمادة الأصلية » رغم غموض

بعض عباراتها .

والله من وراء القصد وهو الهادى إلى سواء السبيل .

جمال عبد الهادى مسعود

عبد الراضى أمين سليم

الفصل الأول

«الولايات المتحدة...»

طلیعة الانحطاط⁽¹⁾

(1) هذا هو عنوان الكتاب ، تألیف رجاء جاردی - ترجمة د . رجب بود بوس ،
الطبعة الأولى - دار الكتب الوطنية ، بنى غازى الجماهيرية العربية اللبىية
الشعبية الاشتراكية العظمى . 1998 .

* مجلة المشاهد السياسى ، السنة الثالثة ، العدد 54 ، لندن 6 : 12 أبريل 1997
* لقد صدر الكتاب عن دار نشر « فنت دولارج » (رياح الأعماق) بعنوان فرعى
هو : كيف الإعداد للقرن الواحد والعشرين ، باريس 1997 ص 16

الولايات المتحدة ... طليعة الانحطاط

مدخل :

فى هذا الكتاب « الولايات المتحدة طليعة الانحطاط » يدعو جارودى إلى أهمية . . وأولوية الحياة الروحية ، لا المادية ، التى تسعى الولايات المتحدة إلى فرضها على العالم تحت مسميات متعددة : « النظام العالمى الجديد » أو « العولمة » أو غيرها ، كما يدعو - المؤلف - إلى تنمية الإنسان ليكون إنساناً فى عالم إنسانى ، وليس أداة إنتاج - فقط - وزيادة للدخل القومى ⁽¹⁾ .

كما يؤكد روجيه جارودى أن الانحطاط هو نتاج هيمنة وأحدية السوق ، وأن الرأسمالية التى تنزعها الولايات المتحدة هى التى تقود إلى انحطاط العالم ، أى انحطاط الإنسان فى عالم يفتقد الغاية . . . والمعنى .

ولهذا فإن الحل ⁽²⁾ الذى يدعو إليه رجاء جارودى هو محاولة الجميع - ويعنى بذلك العالم كله - مقاومة الهيمنة الأمريكية ، لإنقاذ العالم ؛ لأن الولايات المتحدة هى التى تلوث العالم مادياً وأخلاقياً .

والكتاب قد احتوى على عشرة فصول ، يكفى أن نذكر بالعناوين فقط ، ثم نعود إلى المقالة الأساسية التى عرضتها «مجلة المشاهد السياسى اللندنية» ، فالفصل الأول يتحدث عن: الغوغائية العالمية، والفصل الثانى يتحدث عن: وحدانية السوق، والفصل الثالث : أصول الانحطاط ، والفصل الثالث : أصول الانحطاط ، والفصل الرابع : استعمار أوروبا والعالم الثالث ، والفصل الخامس : محاولات الاشتراكية المجهضة ، والفصل السادس : أوهام وأكاذيب الغرب ، والفصل السابع : حضارة وعقائد الآخرين ، والفصل الثامن: كيف النجاة ، والفصل التاسع : إعلام عالمى للواجبات، والفصل العاشر وهو الأخير : برنامج عينى يقدمه للعالم الثالث .

وفى هذه الكتاب يستعرض جارودى فى فصول ثلاثة (أصول الانحطاط) ص 55 . يُبين فيها الكيفية التى أبادت بها الولايات المتحدة الهنود الحمر ، ودمرت ثقافتهم وأنماط حياتهم . . . ثم يقول : واليوم يمكن العثور فى تاريخ الولايات المتحدة على أسس انحطاط ثقافتها أيضاً وانهارها . ص 57 .

* وحول نمط الانحطاط يشير الكتاب ص 83 إلى ممارسات الولايات المتحدة فى الداخل وعلى المستوى العالمى فيبين : « عندما أرسلت الولايات المتحدة جيوشها إلى العربية السعودية فى أغسطس 1995 ، لم ترسلها لمساعدة العربية السعودية لمقاومة العدوان فقط ، وإنما لدعم دول الأوبك التى تخدم أكثر المصالح الأمريكية »⁽³⁾ ، أما جريدة واشنطن بوست فقد لاحظت أن الخطوة « كانت تماماً فى غير محلها » مستشهدة بنص (لتوم مان) مدير شئون الحكومة فى معهد بروكلين يقول : « بوش يتعمل مع بلدان الشرق الأوسط على نمط استعمارى »⁽⁴⁾ .

* وحول نمط ثالث من أنماط الانحطاط كما يشير الكتاب ص 89 ، فيما يتعلق بالتطورات الجديدة فى السياسة الاستعمارية فى مسألة فلسطين ، ليس ثمة ثغرة . خلال ما سسمى « عملية السلام » وهو تعبير عبثى ، لأنه لا سلام إلا بالتطبيق الكامل لقرارات الأمم المتحدة ، والمنتهكة بشكل مستمر من إسرائيل ، خاصة فيما يتعلق باحتلال الضفة الغربية وإنشاء مستعمرات ووضع القدس .

إسرائيل والولايات المتحدة أنجزا خطواتهما الدبلوماسية الخاصة بهما بهدف تفكيك خطر عملية سلام حقيقى . فى مايو الائتلاف الحاكم - ليكود عمال - اقترح خطة شامير ، فى الحقيقة هى خطة شامير - برس .

والمبادئ الأساسية للخطة هى التالية : « لن تكون هناك دولة فلسطينية فى قطاع غزة والمنطقة الواقعة بين إسرائيل والأردن » .

* وحول انحطاط الولايات المتحدة لعدم العدل ، وفرض نفوذها وسيطرتها قال فى ص 91 . « تحت تأثير هذا النفوذ تُمنح إسرائيل 3 مليار دولار على شكل مساعدات اقتصادية وعسكرية (مما يعنى 700 دولار لكل إسرائيلى سنوياً) ... إفريقيا ، باستثناء مصر ، تحصل على 2 دولار لكل شخص سنوياً . (سيرج هاليمى : اللوموند الدبلوماسى أغسطس 1989) .

* ويختتم روجيه جارودى تسميته « الولايات المتحدة طليعة الانحطاط » فى القسم 4 من أصول الانحطاط فى نهاية هذا التعريف فى ص 122 يقول : « وهكذا وُلد ما أسماه جيل «لييوفيسكى» « عصر الفراغ » ... ثم قال :

« لكن هذه ليست جريمة شعب ، إنها جريمة المؤسسات وقاداتها . ليس هناك شعب سىء ، وإنما شعوب مخدرة . - وضرب مثلاً - الشعب الألمانى الذى أنتج عدة عباقرة مبدعين فى الثقافة والعقيدة والذين أثروا حياتنا ، سيطر عليه سحر الموت خمسة عشر سنة » .

... ثم قال : نفاق سادة القارة يمثل استمرارية مأساوية ، منذ أن كتب كرسstof كولومب إلى ملك إسبانيا قائلاً : « الذهب أكثر قيمة من كل الخيرات ... من يملكه يحصل على كل شئ يحتاجه فى هذا العالم . [كتاب ماك أليستر : إسبانيا والبرتغال 1989] .

****** ولكى نفهم نحن - القراء - عصرنا الذين نعيش فيه حيث تسود الولايات المتحدة العالم ، بمؤسساتها العسكرية ، والاقتصادية ، والثقافية ، والإعلامية ، لابد لنا أن نسأل هل ثمة خط مشترك ؟ أى هل هناك علاقة داخلية وعميقة بين كل المشكلات الدولية ؟⁽⁵⁾

نلاحظ أن الولايات المتحدة - بانحطاطها هذا - هى التى تشعل المشاكل الداخلية لإيجاد مبرر للتدخلات العسكرية ، أو لقيام صندوق النقد الدولى بدور ما والمصرف الدولى ؛ أو بأوروبا (ماستريخت) - اتحاد اليورو - ، وبالمنطقة العالمية للتجارة - الجات سابقاً - وعودة ظهور الرأسمالية فى شرق أوروبا والتعصب الدينى الإسلامى واليهودى والمسيحى ، وبين مشكلاتنا المباشرة وهى : البطالة ، والاقتصاد ، والهجرة ، والعنف ، والمخدرات .

« ولكن كيف ندرك وحدة هذه المشكلات .. ومعناها ، وفوق كل شئ : كيف يمكن إعداد برنامج للخروج من هذه المشكلات ؟ » .
هذا هو موضوع الكتاب .. فى فصوله العشرة .

****** وكتابتنا « قراءة فى فكر علماء الاستراتيجية » [جارودى ينذر .. ويحذر .. فهل من مدكر] عبارة عن عرض للحوار الذى أجرته مجلة المشاهد السياسى اللندنية عبر مراسلها (شاكر نورى) بعدها رقم (54) بتاريخ 6 : 12 أبريل عام 1997 ، وكان هذا الحوار فى بيت المؤلف بمناسبة صدور كتابه « الولايات المتحدة طليعة الانحطاط » وهذا هو نص الحوار :

« حدثان مهمان سيقعان فى حياة المفكر الفرنسى المسلم روجيه جارودى . أولهما : صدور كتابه الجديد الذى يحمل الرقم 54 فى قائمة مؤلفاته وهو « الولايات المتحدة طليعة الانحطاط » عن دار نشر أسسها بنفسه وعلى نفقته الخاصة . وثانيهما : استعداد محكمة باريس العليا لإصدار قرار حكم « يدين » هذا المفكر بـ « التمييز العنصرى » إزاء اليهود إثر صدور كتابه « الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية » فى العام الماضى .

وبما أن جارودى يخلق الحدث الصحفى بصدور أى كتاب جديد له . فقد بادرننا إلى إجراء هذا الحوار . لاستكمال الصورة حول الإشكاليات الفكرية التى يثيرها هذا المفكر

الاستثنائي الذي يخوض في الحدث اليومي المتفجر من دون أن يسقط في الآنية العابرة :

ويواصل شاكر نورى حديثه :

« لابد من الإشارة قبل الخوض في غمار الأسئلة مع المفكر روجيه جارودى ، إلى أن نشاط هذا الرجل لا يهدأ ، ولا يتوقف عن تأليف الكتب ، فحالما ينتهى من كتاب يُحضّر لإصدار كتاب آخر . وتأليف الكتب حسبما قال لنا : لا يتم نزولاً عند طلب دار نشر معينة ، ولا هو لإشباع رغبة ذاتية ، بل ثمة ضرورات تملى عليه هذا التأليف ، ولعل شيخوخته المتألقة (84 عاماً) تمنحه الآن الوقت الكافى للتأليف ، فهو لا يخرج من شقته الصغيرة الواقعة على مرتفع جبلى يطل على نهر السين فى الضاحية الباريسية « شينيينه سور مارن » مكتبته فى الطابق الأول ، وما يذهل ويشير فى بطون رفوفها المصنوعة من خشب الساج ، أنها مليئة بكتب التراث العربى وأنواع الكتب المؤلفة عن الوطن العربى والعالم الإسلامى ، وكتابه الأخير ترجم إلى 14 لغة ، منها الصينية ، واليابانية . الحديث مع جارودى تمتع للغاية ، فلا تشعر بأنك تقوم بعمل صحافى ، بقدر ما تتمتع وتتعلم وتطلع على الاستنارات والملاحظات الذكية ، ويكفى أن تفتح شهيته للحديث حتى يسترسل بعفوية هائلة ، ويخوض فى معالجة أعقد القضايا التى تخص الوطن العربى وعالمنا الإسلامى فى الوقت الراهن ، وأشدّها سخونة » .

وسأل مراسل المشاهد السياسى فى بداية حوارهِ مع « رجاء جارودى » فقال :
« تشغل قضية المرأة ، استلابها حقوقها ومكوناتها ذهن غالبية المفكرين سواء فى الشرق أو فى الغرب ، إلا أن الغرب الأوروبى كثيراً ما يستخدم هذه القضية لأغراض سياسية ، ولطمس الحقائق، ما هو رأيك فى ذلك ؟ » .
وأجاب جارودى بقوله :

« وصلت لتوى من إيران ، وقد أصابتنى الدهشة أن أرى هذا العدد الكبير من النساء اللاتى يتولين مسؤوليات إدارية كبيرة . على سبيل المثال : أُجريت معى ثلاثة حوارات تلفزيونية ، اثنان من المحاورين كن نساء يجدن اللغة الفرنسية ، وقد أكد لى خامينى ، وهو مرشد الثورة الإيرانية ، بأنه لا يوجد هناك قانون يحرم أى منصب تتبوأه المرأة ، وهذا يبدو لى على جانب كبير من الأهمية ، كما أشار خامينى أيضاً إلى الحقوق الاقتصادية للمرأة على سبيل المثال وضعية ملكيتها للثروات ، وهذا الحق لم تتمتع به المرأة الفرنسية إلا فى نهاية القرن التاسع عشر ، وبداية القرن العشرين ،

وهو حق للمرأة يعود تاريخه إلى زمن النبي محمد ﷺ ، وهناك على سبيل المثال ، حق المرأة في طلب الطلاق من زوجها ، وكان مطبقاً في الإسلام ، ولم يتحقق ذلك في إيطاليا مثلاً إلا منذ عدة أعوام فقط ، وكان هذا الحق موجوداً في زمن⁽⁶⁾ محمد ﷺ ، وإذا ما رأينا أوضاعاً سيئة ، مثل الخضوع وغيره ، بالنسبة إلى المرأة المسلمة ، فهذا يعود إلى التقاليد التي تريد تكريس هذه الأوضاع .

والتقاليد الموجودة في الشرق الأوسط لا علاقة لها بالإسلام ، وحتى يمكنني الذهاب أبعد من ذلك : من هو أول من قال : إن المرأة التي ترفض وضع الحجاب يجب أن تعدم ؟ وهذا كان العقاب الذي ينزل بالعاهرات ، من قال ذلك؟ إنه القديس بولس⁽⁷⁾ .

وسأل مراسل المشاهد السياسي :

« ما دمنا نتحدث عن الحجاب ، ما تفسيرك ، لكل تلك الضجة التي ثارت حول طالبة عربية مسلمة كانت تضع الحجاب في مدرسة فرنسية ؟
وأجاب جارودي :

« أجل : إن مدرساً للرياضيات في مدرسة فرنسية ، رفض أن يلقي محاضراته لأن طالبة عربية مسلمة كانت تضع الحجاب في غرفة الصف ، ويدل هذا على أنه شخص يخون مسؤولياته كمدرس ، ماذا تعنى له ، أو للآخرين الملابس التي ترتديها هذه الطالبة أو تلك ؟ لا توجد ضرورة لافتعال فضيحة عامة من وراء ذلك ، على سبيل المثال أن طالباً يهودياً يضع على رأسه « كيبوس »⁽⁸⁾ لم يكن يمنعني مرأه من إلقاء محاضراتي عندما كنت أستاذاً في الجامعة ، ومساعدتي في الجامعة كانت امرأة دينية ، ترتدى ثوب الرهبة ، لا أهمية لذلك ، كما أرى في تركيا الآن أن الجنرالات يريدون منع وضع النساء للحجاب⁽⁹⁾ ، وأتذكر قبل أعوام عندما زرت تركيا رأيت على مدخل الجامعة رجالاً يقومون بنزع الحجاب عن وجوه الطالبات والمدرسات اللاتي يضعنه ، والرجل الملتحي كان عبارة عن علامة للمعارضة ، فمدرس الرياضيات الفرنسي والجنرال التركي يشتركان في الغباء ذاته عندما يتصرفان بهذا الشكل » .

وسأل مراسل المشاهد السياسي :

« ما هو رأيك بـ « نسوية الكتابة » ؟ وكذلك المرأة والنسوية كمعيار في التقويمات وخصوصاً في ميدان الكتابة ؟
أجاب جارودي :

« كل أشكال اضطهاد المرأة متأتية من تقاليد الشرق الأوسط ، ولا دخل للإسلام

فيه ، فوضع المرأة فى القرآن الكريم أفضل مما هو عليه فى المسيحية ، فالقرآن الكريم يؤكد أن الله خلق الرجل والمرأة فى نفس الكائن⁽¹⁰⁾ . ثمة عدالة ، بل أقول لاهوتية ، لا توجد فى مكان آخر وجميع الأشكال الأخرى ، مثل النظرة الدونية والعنصرية ما هى إلا جزء من تقاليد الشرق الأوسط كل التقاليد محترمة ، ولكن شريطة ألا تفرض على أحد .

وسأل مراسل المشاهد السياسى :

« الكتابة النسوية بالذات ، ما هو رأيك فيها ؟

وأجاب جارودى :

« هناك مختصون بهذا المجال ، وقد كتبت عن ذلك حتى أننى لم أكن متفقاً مع « حركة تحرير المرأة » لأننى أعتقد بأنه مزيف أن نتكلم عن المساواة بين الرجل والمرأة ، فالهدف ليس أن نصنع من المرأة رجلاً . كل القوانين والتشريعات والدساتير منذ ستة آلاف سنة ، سنها الرجال لصالح الرجال فى جميع أنحاء العالم . الرجال على سبيل المثال هم الذين ابتدعوا الحروب . إذاً ليس الهدف أن نصنع من المرأة رجلاً . وأورد مثلاً على ذلك ، السيدة تانشر ليس لسياستها علاقة بالمرأة فأى رجل محافظ غبى كان يمكن أن يسلك سياستها نفسها ، المشكلة لا تكمن هنا بل على العكس إنها فى تأنيث كل العلاقات الاجتماعية ، هذه هى الأطروحة الأساسية فى كتابى الذى كتبتة حول موضوع المرأة . وللأسف الشديد لم يكن لدى الكثير من الأمثلة الملموسة ، فتانشر ليست مثلاً نموذجياً لذلك ، ولا أنديرا غاندى ، ولم يظهر لى سوى مثال نموذجى واحد وهو (مدام دولوردس) التى شغلت منصب رئيسة الوزراء فى البرتغال ، وأعتقد ابتداءً منها انطلق تأنيث السياسة .

وسأل مراسل المشاهد السياسى :

وبينظير بوتو ؟

وأجاب جارودى :

« لا أعرفها جيداً ، ولا أعتقد أن وضعيتها تدخل ضمن مفهومى لتأنيث السياسة ، وكونها أصبحت أول رئيسة وزراء فى العالم الإسلامى ، له دلالة رمزية ، وهو ما أفرحنى .

وسأل مراسل المشاهد السياسى :

هل تعتقد بأن المرأة أصبحت سلعة تجارية فى الغرب ؟

وأجاب جارودى :

« نعم . إن استخدام الجنس الأنثوى أو العرى الأنثوى فى الإعلانات ليس شيئاً

جيداً ، لدينا ثمة ما يكفي أن نطلق عليه « إعلانات تحت البطن » مما أدى إلى ردود أفعال عنيفة لدى الشخصيات النسائية المرموقة . وأغلب الأفلام القادمة من هوليوود همها تحطيم الثقافة في جميع دول العالم ، وهى تتعامل مع المرأة كـ « موضوع جنسى » فقط . وتستخدم في تلبية رغبات الرجل . أعتقد أننا نبالغ كثيراً فيما نطلق عليه « حرية المرأة »⁽¹¹⁾ انظر إلى فرنسا على سبيل المثال ، فلا يوجد سوى 3 فى المئة فقط من النساء يشغلن منصب مدير شركة ، وأنا أتحدث عن الشركات الكبيرة وليس تلك الصغيرة التى تمتلكها نساء ، إذا ما نظرت إلى البرلمان فلا تجد سوى 7 أو 8 فى المئة من العنصر النسائى ، وكنت نائباً برلمانياً طوال أربعة عشر عاماً ، وعلاوة على ذلك كنت عضواً فى حزب يضم كثيراً من الأعضاء النسوة ، وهو الحزب الشيوعى الفرنسى ، وهن نساء استثنائيات مثل (مدام ماتيلد دى بيرى) وأرملة (غبريل بيرى مارى كوتورييه) ، التى كانت تشغل نائبة رئيس المجلس الوطنى لبضعة أشهر ، ولا يمكن أن نقول : إن هذه الوضعية تكشف عن مكانة المرأة ، والآن يحاولون تخصيص نسبة معينة للنساء ، أعتقد أننا نتوهم كثيراً حول سلطة المرأة فى مجتمعنا الغربى ، وعلى النقيض من ذلك أكرر بأن جميع أشكال النظرة الدونية لوضعية المرأة آتية من تقاليد الشرق الأدنى ، على سبيل المثال :

إن حضور المرأة فى الإنجيل يكاد يكون ملفياً ، وحتى فى المجتمع المسيحى فى عهد القديس بولس الذى يقول : إن النساء يجب أن يلزمن الصمت فى البرلمان ، ويجب أن يطعن أزواجهن ، أى يوافقن على كل مبادئ المجتمع اليونانى حيث يقدم نموذجاً إنسانياً ، (وموستيل هومين) الذى قال : إنه يجب أن تكون لنا نساء لإنجاب الأطفال ، وعشيقات للمتعة ، وعاهرات للرجبة ، هذا هو المفهوم الغربى للمرأة الذى استقاها من الإنسانية اليونانية بمعنى من المعانى ، وفى صلوات اليهود يقولون : يشكر الرجال الله لأنه لم يخلقهم نساءً ، وهذا هو أيضاً جزء من تقاليد الشرق الأوسط ، وعندما يتم الحديث عن تعدد الزوجات فى الإسلام ينبغى ألا ننسى أنه يقال فى العهد القديم : إن سليمان كان له ثمانمائة زوجة إضافة إلى العشيقات . ثمة مبالغة فى ذلك . ولكن ذلك يدل على أن ذلك يعبر عن التقاليد الغربية مثلما التقاليد الشرقية .

وسأل مراسل المشاهد السياسى :

ما هو رأيك بمصطلح العولمة والفرق بينهما فى التطبيقات الأمريكية والفرنسية ؟
وأجاب جارودى :

« العولمة هى عبارة عن شكل للاتحاد العالمى أو لنقل الهيمنة المطلقة للولايات

المتحدة . عندما كانت إنكلترا أكبر قوة اقتصادية فى العالم اقتنعت بأن السوق الحرة هى الوسيلة الفضلى للهيمنة على أبناء مستعمراتها الذين كانوا يحاولون التحرر تماماً مثل الولايات المتحدة التى رفعت منذ نشوئها الأول قانون « التبادل الحر » لأنه من خلاله يتمكن الأكثر قوة من التهام الأقل ضعفاً ، وهناك من قال بنظرية « الثعالب الحرة بين الدجاج الحر » أى الساحة الحرة التى تتيح لأحدهم أكل الآخر ، إن نظرية العولمة الأميركية هى الهيمنة ، وهكذا تعمل الولايات المتحدة على سن قوانين تريد تطبيقها فى العالم بأكمله أذكر بقانون (هيمس بيرتون) وقانون (أباتو) ، الذى يحاول فرض الحصار على العراق وكوبا وإيران وليبيا ، ويريدون جعله قانوناً عالمياً ، والعولمة فى الوقت الحاضر هى « الأمركة » أو « التأمرك » للعالم بأكمله . وهذه « الأمركة » أو « التأمرك » خطير للغاية . على سبيل المثال . يوجد فى العالم ما يقارب المليار من الناس الذين لا يجدون الطعام الكافى لإشباع جوعهم وحتى فى أغنى دول العالم ، على سبيل المثال فى أمريكا توجد نسبة 1 إلى 8 من الأطفال لا يجدون الطعام اللازم ، فقد أوضحت مدام (سوزان جورج) فى كتابها المعنون « غارق فى الديون » وهو كتاب حول الديون تشرح أن نموذج التطور فى الغرب الذى يكرس قيم الليبرالية يكلف العالم الثالث حوالى ما يعادل (قتلى) قنبلة هيروشيما واحدة كل يومين ، والحصار على العراق فى الوقت الحاضر يقتل 500 طفل عراقى فى اليوم ، أعتقد أن هذا هو تأثير « العولمة »⁽¹²⁾ .

والليبرالية التى تطالب الولايات المتحدة كل العالم بتطبيقها من دون أن تقبل بتطبيقها على نفسها ، إنهم لا يترددون فى تمويل المزارعين الكبار ولكنها تطالب فرنسا بترك 16 فى المائة من مساحة أرضها من دون زراعة ، وهذا ينطبق على المعلوماتية والطيران وصراع البوينغ ضد الإيرباص إلخ ، وهذا شئ نموذجى . الجميع يشجع الصناعات الكبيرة وأساليب الزراعة الأمريكية وخصوصاً الثقافة الأمريكية المضادة ، ولا ننسى إذا أخذنا فرنسا كمثال : أن نسبة العروض السينمائية الفرنسية فى الولايات المتحدة هو 5 فاصلة صفر فى المائة بينما نسبة العروض السينمائية الأمريكية فى فرنسا 76 فى المائة ، والأكثر من ذلك أن هذه العروض السينمائية الأمريكية⁽¹³⁾ هى الأكثر انحطاطاً ، ومعظمها أفلام عنف ، ذات مرة كنت فى زيارة الولايات المتحدة بدأت أشاهد القنوات التلفزيونية البالغة خمس عشرة ، خصصت دقيقة لمشاهدة كل قناة . وفى غضون خمس عشرة دقيقة ، سمعت 73 إطلاقاً رصاصاً ، وحفيدتى ، وهى طالبة

تدرس الطب فى عمر الثامنة عشرة ، رأت أحداث الموت العنيف أكثر مما رأيت أنا طيلة عمرى 84 عاماً ، رغم أنى خضت الحرب ، أصبح الموت العنيف ظاهرة طبيعية بالنسبة إلى أولادنا ، وليس من المصادفة فى شىء أن الولايات المتحدة تصدر الدول فى نسبة الجرائم وبيع الأسلحة⁽¹⁴⁾ ، ويعود ذلك إلى عهد الاستعمار ، كما هو الحال الآن فى إسرائيل ، عندما كانوا يوزعون الأسلحة على المستعمرين لتصفية الهنود ، وهذا قرار موجود فى الدستور الأمريكى ، (وبوش) و(ريغان) كانا عضوين فى رابطة الدفاع عن حمل السلاح الشخصى . هناك أطفال يذهبون إلى المدرسة وهم يرتدون الأردية الواقية ضد السلاح فى الولايات المتحدة ، الولايات المتحدة هى مدرسة الجريمة ، ثمة ثلاثة ملايين أمريكى خاضعين للمراقبة القانونية ، والولايات المتحدة حققت أعلى نسبة انتحار بين المراهقين ، فى العالم الثالث يموت الناس بسبب الجوع ، لم تعد للحياة معنى ، فى البلد الأكثر غنى توجد أعلى نسبة للانتحار بين المراهقين ، وتأتى بعدها السويد ، هولندا ، سويسرا ، وفرنسا ، بينما لا نجد نسبة الانتحار العالية فى الدولة الفقيرة ، إذاً عندما أذكر فى كتابى الجديد أن الولايات المتحدة طليعة الانحطاط ، ليس على الصعيد الاقتصادى فحسب بل إن البنك فقد دوره ، وهو تجميع رؤوس الأموال لإنتاج البضائع فى الشركات ، هذا هو الدور الطبيعى ، ولم يعد البنك يلعب هذا الدور ، يوضح الاقتصادى الفرنسى الحاصل على جائزة نوبل (موريس أليه) ، أن الأرباح الناتجة عن المضاربات المالية حول شراء وبيع المواد الأولية التى لا تكلف أى جهد يذكر تبلغ نسبتها 40 مره أكثر من المضاربات المالية حول التبادلات الاقتصادية وتبادلات البضائع والخدمات . هذا هو نموذج الانحطاط ، وهذا يشمل جميع الميادين الاقتصادية والأخلاقية والفنية ، هنا تقام ضجة كبيرة حول قيام الأفراد بحفر قبر يهودى بينما فى إسرائيل حسب إحصائيات عالم إسرائيلى ، هو (إسرائيل إسحاق) تم تدمير 275 مقبرة فلسطينية⁽¹⁵⁾ ، وفى تل أبيب ينبغى ألا ننسى أنهم شيدوا فندق هليتون على أنقاض مقبرة عربية أزالوها بالبلدوزرات ، ولم تقم أى ضجة حول ذلك . إنه الاحتقار لحياة وموت الآخرين .

وهذا بالذات نمط أمريكى ، لماذا هذا التيار المضاد للثقافة . ليس هناك ثقافة أمريكية ، بل هناك ثقافات لأن الثقافة الأصلية الوحيدة هناك كانت الثقافة الهندية ، وكانت متطورة للغاية ، نذكر على سبيل المثال علم الفلك والرياضيات ، فإن تقويم المايا أكثر صحة من تقويمنا الأوروبى ، ولم يخطئوا سوى بيوم واحد طوال 6 آلاف

عام ، هذا الشيء تم تحطيمه ، وكذلك هذه الثقافة ، ولكن ما الذى أحلوا محل هذه الثقافة ، لقد قدم البيوريتانيون الإنكليز حاملين الإنجيل فى أيديهم يقولون : إن المسيح دمر الأعداء وهم الهنود ، إذاً اختلفوا حقاً فى قتل الهنود وأخذ أرضهم ، وقد هرع الناس من جميع أنحاء العالم بسبب سمعة أمريكا الغنية ، وكل واحد من هؤلاء حمل معه ثقافته إلى الثقافة الإيطالية فى سان فرانسيسكو ، فقد عرفت جماعة (فرانكتيتي) ، وتضم شعراء ورسامين وموسيقيين ، وهناك حتى آخر تشاهد فيه أفلاماً باليونانية بسبب وجود اليونانيين بثقافتهم ، وهناك أفلام بالألمانية تعبر عن ثقافة الألمان وكذلك هناك ثقافة اليابانيين والصينيين . إذاً هناك ثقافات متعددة وليس هناك ثقافة أمريكية وهذا يذكرنى بمحاكمة (كاربانترا) قالت الحاكمة : إن خطأنا الكبير فى هذه المحاكمة هو جهل الوسط الذى يعيش فيه الناس ، وعدم تقدير أهمية موسيقى الروك ، فى صالات الرقص والنوادي الليلية ، هناك مختصون بمعالجة من يتعرض إلى الكسور والطوارئ الأخرى أثناء عملية الرقص ، وكذلك بالنسبة إلى رسم ثمة انحطاط ، ماذا يفعل الرسام الكبير (روشنبيرك) الذى أسهم فى بينالى فينيسيا ، ماذا يفعل هذا الرسام ، يضع حيواناً على خامة اللوحة يشبه ذلك ما كان يفعله (مارسيل دوشان) فى أعقاب الحرب العالمية الأولى عندما كان يقدم المنحوتات فيضع ثعلباً على الجدار ، يمكننا أن نفهم ذلك فى تلك الحقبة . حقبة الحرب والسخرية منها ، لكن أن يقدم فنان على تقليد ذلك بعد مرور خمسين عاماً ، فذلك يكشف عن مرض طفولى ، والمشكلة الأساسية تكمن فى أن أولئك الفنانين الأمريكيين يريدون نقل ذلك إلى أوروبا ، وقد انتقلت بعض هذه الظواهر إلى فرنسا ، مثلما فعلوا فى ساحة بورت رويال وجسر « بون نيف » إنهم يصدرون إلينا التيار المضاد للثقافة⁽¹⁶⁾ ، وذلك فى جميع أنحاء العالم سواء فى جاكرتا أو فى باريس . ولا تتضمن الأفلام الأمريكية ظاهرة العنف فقط بل إنها تقوم بتزييف الحقائق وخصوصاً العنصرية إزاء السود ، تؤكد غالبية الأفلام⁽¹⁷⁾ على أن السود مجرمون ، أو تقوم هذه الأفلام بتصدير « الحلم الأمريكى » دالاس وسانتا بربارة ، وثمة أفلام قليلة لحسن الحظ ، تكشف حقائق المجتمع الأمريكى ، لكن فيلماً مثل « عناقيد الغضب » يفضح عمليات طرد الشركات الكبرى للمزارعين الصغار ، لا نعر عليه الآن ، وتعتبر هوليوود أكبر مركز لتصدير الأفلام الجنسية (البورتوغرافية) إضافة إلى تحطيم مفهوم الحب . الولايات المتحدة تحاول بإيجاز تحطيم⁽¹⁷⁾ كل ثقافات العالم ، من خلال الهيمنة والسيطرة ، مثل ثقافة الصين والهند والثقافة الأوروبية .

وسأل مراسل المشاهد السياسى :

كتابك الجديد « الولايات المتحدة طليعة الانحطاط » سيصدر عن دار نشر أسستها بنفسك وبجهودك الشخصية كما هو الحال بالنسبة إلى كتابك ما قبل الأخير⁽¹⁸⁾ الذى صدر على نفقتك، هل يقودنا هذا إلى الحديث عن أزمة أخلاقية لدور النشر الفرنسية ؟

وأجاب جارودى :

« نعم ، وهذه الأزمة التى تتحدث عنها لا تشمل دور النشر فقط ، بل جميع وسائل الاتصال السمعية والبصرية . وقد عرضت كتابى السابق والحالى على دور النشر وتخليت عن حقوقى كمؤلف ، وقد سبق لى أن نشرت أكثر من خمسين كتاباً فى كبريات دور النشر الفرنسية كما تعلم . وكتابى الأخير ترجم إلى أربع عشرة لغة منها الصينية واليابانية ، وآخرها الفارسية ، وثمة أربع ترجمات بالعربية ، ولا بد أن أذكر لك بأن ثمة 29 أطروحة دكتوراة فى العالم حول مؤلفاتى .

وسأل مراسل المشاهد السياسى :

منذ زمن طويل لم تقم بتأليف كتاب حول الجماليات الفنية والأدبية التى هى جزء من اختصاصك مثل كتاب « واقعية بلا ضفاف » ما هو السبب ، أهو الانغماس الكلى فى عالم السياسة وراء إهمالك الأدب والفن ؟

وأجاب جارودى :

« كلا ، لقد ألفت كتباً أخرى حول الرقص ، الذى كتب بشلا مقدمته و « المسجد ... مرآة الإسلام » أنا لم أهمل الأدب والفن كما تقول ، لكنى لا أولف الكتب هكذا عندما يطلب منى ناشر ، ولا أكتب أى كتاب حسب الطلب ولا من أجل إشباع الرغبة الفنطازية الذاتية ، لدى كتب عديدة حول الفن لأنه وظيفتى ، كنت أستاذاً للجماليات فى الجامعة ، فقد ألقيت محاضرات حول الرسم طوال عام كامل فكتبت عن ذلك ، ثم درست الرقص ورحلت إلى الولايات المتحدة والتقيت بكبار الراقصين هناك ، فألفت كتابى عن الرقص وما يخص كتابى عن « المسجد .. مرآة الإسلام » فإننى تعرفت إلى طراز العمارة بنفسى ، ولم أكتب أى شئ عن مسجد لم أزره ، وأطلع عليه ، سواء فى الهند أو فى قرطبة . والفن بالنسبة إلىّ هو تحرر العالم نحو الإيمان ، ومظهر من مظاهر الإيمان ، أو إنه يكون عبارة عن انحطاط للفن مثل الروك والراب ... إلخ ، والفن يعبر أيضاً عن تحرر المستقبل ، وكتابى الأساسى حول الرسم يسمى « 60 عملاً فنياً نحو المستقبل » والمساجد عبارة عن أشكال للصلوات .

وسأل مراسل المشاهد السياسى :

ثمة اتهامات وجهت إليك منها التمييز العنصرى ، وذلك إثر صدور كتابك «الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية» وثمة قرار سيصدر بتغريمك مبلغاً قدره 200 إلى 300 ألف فرانك ما هو رأيك ؟

وأجاب جارودى :

« منذ فترة وجيزة استلمت من المحكمة الأوراق الرسمية المتعلقة بالتحضير لقرار إدانتى بسبب كتابى الأخير ، وأعتقد أن الاعتراضات التى وجهت إلى كتابى الأخير تتهمنى بأننى ألفت كتاباً فى التاريخ يناقش عدد اليهود الذين ماتوا وطريقة موتهم ، إننى فى الحقيقة ، لم أبتدع شيئاً جديداً فى هذا الميدان فقد اقتبست الأرقام من المؤسسات العالمية المختصة⁽¹⁹⁾ ، فليس هدفى هو ذلك ، بل هو فى الجوهر ، شرح أبعاد خطورة السياسة الإسرائيلية ، ليس فى ما يخص الماضى اليهودى بل استخدام هذا الماضى لرسم سياسة خطيرة وبشعة يقوم بتنفيذها الآن بنيامين نتانياهو . الأطروحة الأساسية فى كتابى هى توضيح كيف تتصرف إسرائيل منذ زمن مؤسسها ثيدور هيرتزل الذى كان يقول : إن إسرائيل لا يمكن أن تتطور إلا من خلال الحضارة الغربية ضد بربرية الشرق . وهذا يتضح فى السياسة الإسرائيلية ، منذ قيام حزب العمل ذى المظهر التقدمى الذى بنى المستوطنات أكثر من أى حكومة رجعية ، والخطورة تكمن فى أن هذه السياسة الإسرائيلية الصهيونية قد تشعل الحرب العالمية الثالثة وهذا ما يؤيد الأطروحة القائلة بصدام الحضارات اصطدام الحضارة اليهودية ، المسيحية مع الحضارة الإسلامية البربرية ، أى التحالف الإسلامى الكنفشيوسى ، بمعنى التحالف بين إيران والصين وسياسة بنيامين نتانياهو تصب فى هذا الإطار وخصوصاً سياسته إزاء الفلسطينيين وسوريا وتهديداته ضد إيران ، هذا هو هدف كتابى ، إيضاح خطورة هذه السياسة وبصدد الاتهامات الموجهة ضدى (التمييز العنصرى) أقول : هل يوجد تمييز عنصرى ظاهر كما هو موجود فى الصهيونية وانطلاقاً من الحديث عن شعب مختار فهو يتمتع بحق السرقة وتدمير الآخرين ، فالأمريكيون أبادوا الهنود الحمر ، كما يبيد الإسرائيليون الفلسطينىين فى الوقت الحاضر . عنصرية الصهاينة أسوأ⁽²⁰⁾ من عنصرية هتلر ، لأن عنصريته كانت ذات مسحة بيولوجية تخص الجينات بينما عنصرية الصهاينة لاهوتية⁽²¹⁾ ، إذا كان الله اختار هذا الشعب ، من يستطيع أن يقف بوجههم ؟ إننى أتساءل إنهم يملكون الحقوق كافة ، فإذا كان الله هو الذى اختارهم ، لماذا يجب عليهم الاهتمام بقرارات الأمم المتحدة ، فقد أدانت إسرائيل

أخيراً 138 دولة فى الأمم المتحدة بسبب إصرار نتانياهو على بناء مستوطنة أبو غنيم فى القدس ، عنصريتهم عنصرية ذات مسحة أنطولوجية وجودية ولاهوتية وهذا أسوأ أنواع العنصرية كما قلت .

وسأل مراسل المشاهد السياسى :

هل تعتقد بأن بنيامين⁽²²⁾ نتانياهو يريد نفس عملية السلام من خلال الاستفزات الأخيرة فى بناء المستوطنات الصهيونية فى القدس ؟
وأجاب جارودى :

« بالتأكيد وقد كشفت الحقائق بأن الغرض من بناء هذه المستوطنة ليس إيواء اليهود . وتشير إحصائيات نشرت أخيراً إلى أن 12 فى المائة من المساكن التى شيدتها إسرائيل خالية الآن ولا يسكنها أحد ، فالحاجة ليست فى بناء المساكن بل بناء هذه المستوطنة فى القدس لغرض تئيس الفلسطينيين فى إقامة عاصمتهم فى القدس ، ومن الضرورى أن أشير إلى أن الدولة الإسرائيلية لم تُقبل عضويتها فى الأمم المتحدة إلا بالموافقة على ثلاثة شروط ، وهى الشروط التى تفرض على الدولة الإسرائيلية فقط من بين جميع الدول :

- 1 - عدم تغيير وضعية القدس .
 - 2 - قبول الحدود التى رسمت فى عام 1948 ، هذا ليس عادلاً ولكنهم تجاوزوا ذلك أكثر من اللزوم .
 - 3 - السماح بعودة الفلسطينيين إلى أرضهم .
- ولكنهم جمدوا⁽²³⁾ هذه الشروط ولم يطبقوا أى منها . إسرائيل تسخر من قرارات الأمم المتحدة .

وسأل مراسل المشاهد السياسى :

العلاقات الفرنسية الجزائرية تمر بأزمات متتالية منذ عهدى الاستعمار والاستقلال حتى الوقت الحاضر هل يكمن ذلك فى ثنائية الصراع ؟
وأجاب جارودى :

« أنت تطرح سؤالاً يمسنى مباشرة ، وكنت على وشك أن أصبح جزائرياً ، والجزائر بالنسبة إلى بلدى الثانى ، وقد تم إلقاء القبض على 14 أيلول (سبتمبر) عام 1940 . من قبل سلطات (فيشى) فبعثوا بى إلى الصحراء فى معسكرات الاعتقال ، وكان شكلى مثيراً آنذاك وهناك نظمت اجتماعاً فى المعسكر ، وكان على رأس المعسكر قائد فرنسى يدعى (كابوش) ، الذى طالب بإعدامى والجنود الذين

كانوا يحرسون كانوا من مسلمى الجنوب ، وكانوا ينفذون جميع الأوامر ما عدا تنفيذ الإعدام ، ومنذ تلك اللحظة أردت أن أفهم هذه الثقافة ، والتي تحكم ذلك التصرف ، وبادر أحد القادة الجزائريين قائلاً : « إنه ليس من الشرف أن يطلق النار رجل مسلح على رجل لا يحمل سلاحاً » . وأقول : إننى كدت أن أصبح جزائرياً لأن الرئيس أحمد بن بيللا اقترح على اكتساب الجنسية الجزائرية . فقد شعرت بأنهم يتبنونى وقد أنقذوا حياتى فى سن الثامنة والعشرين وولدت من جديد ، وأنا الآن فى عمر الرابعة والثمانين ، وما يثير الاهتمام أن هذا الشعب أعطانى أجمل مثال فى حرب التحرير ، على الرغم من ضعف تسليحه أمام القوة الغاصبة إلا أنه تغلب .

وأعتقد أن مواقف السياسة الفرنسيين سيئة للغاية فى الوقت الحاضر وطوال السنوات كان أولئك السياسة يطالبون بإجراء الانتخابات الحرة فى الجزائر ، وعندما أجريت تلك الانتخابات، بدأوا يصفقون للدكتاتوريين العسكريين من خلال تعطيل الانتخابات⁽²⁴⁾ ؛ لتخيل أن هذا يحصل فى فرنسا لقامت القيامة ، والأخطر من كل ذلك هو أن القادة الفرنسيين يدعمون الدولة الجزائرية غير الشرعية ، من خلال مدهم بالأموال ، وسلاح الطيران الهليكوبتر من أجل القضاء على المعارضين ، إذاً فرنسا تلعب دوراً سيئاً فى أزمة الجزائر بل وتتدخل فى الشؤون الداخلية لهذا البلد باعتبارها دولة عظمى .

وسأل مراسل المشاهد السياسى :

لنعد إلى فرنسا قليلاً فم منذ سنوات قليلة لم تشهد فرنسا حركات فكرية وأدبية وفنية جديدة كالرواية الجديدة وغيرها ما هو السبب فى نظرك ؟
وأجاب جارودى :

« أعتقد أن السبب بسيط للغاية ، وهو أن الناس لديهم أفكار جديدة وأصيلة وساخنة ، لكن لا يريد أحد نشرها . ثمة فكر أحادى الجانب ولعلى أعطيك مثلاً عن نفسى ، فقد نشرت 53 كتاباً فى كبريات دور النشر « غاليمار » ، « سوي » و « بلون » . وغيرها . ولأننى انتقدت إسرائيل انتهى الأمر بالنسبة إلى ، ونقول عن فرنسا بأنها بلد حرية الصحافة والحقوق ، هذا ليس صحيحاً ، لدينا الحرية فى انتقاد ميتران وشيراك ، ولكن عندما تمس إسرائيل فأنت تتحول إلى رجل ضائع ، وهذا ما حصل لى منذ عام 1982 عندما نشرت مع (الأب لولون) وهو كاثوليكي (والأب ماتيو) - وهو بروتستانتي وبمساعدة مدير صحيفة اللوموند آنذاك (جاك فوفير) - مقالة فى هذه الصحيفة أوضحنا بها أن حرب لبنان لم تكن حدثاً طارئاً بل تسير ضمن المنطق

الصهيوني ، وأضرب لك مثلاً ثانياً : ثمة قانون فى فرنسا ينص على إنزال العقوبة بمن يمس شخصاً آخر بالتجريح بالسباب والقذف ، إن جميع الصحف تقريباً حرفت ما قلناه - (الأب بيير⁽²⁵⁾) وأنا - ولا أحد وافق على أن ننشر ردنا . عندما صدر كتابى « الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية » والأسوأ من ذلك أن صحيفة اللوموند طلبت منه أن يكتب صفحة كاملة يعبر عن رأيه وموقفه فى كتابى ، وقد تحمس الأب بيير لذلك ، فقلت له : يجب أن تحذر من ذلك وفى الحقيقة عندما كتب رأيه وموقفه رفضوا نشر مقالته .

وسأل مراسل المشاهد السياسى :

ثمة رأى يقول : إنه فى غياب الحلول التى تطرحها حكومات الدول العربية الحالية لحل جميع المشاكل فإنه الأحزاب الأصولية⁽²⁶⁾ الإسلامية سوف تسيطر على السلطة ، ما هو رأيك فى ذلك ؟

وأجاب جارودى :

أعتقد أن مستقبل الإسلام يعتمد على طريقته فى خلق أحداثه الخاصة به ، كما قلت قبل قليل : إنه لا يمكن فرض قوانين قديمة على إنسان القرن العشرين ، إذا انغلق الإسلام على نفسه ، يتحول إلى طائفة منعزلة وخاصة الإسلام ليس الالتزام بالتقاليد القديمة ، بل تذكر الأطروحة الأساسية وهى تقبل جميع الأنبياء ، اليهود رفضوا المسيح ، والمسيحيون رفضوا محمداً ، لكن محمداً اعترف بجميع الأنبياء منذ إبراهيم أبى المؤمنين وما تلاه ، فالإسلام إذا ما قدم بهذا الشكل فإنه يتحول إلى عنصر لتجميع المؤمنين وإعلاء كرامتهم وقد توسع منذ انطلاقة فى بضعة أعوام ، من بحر الصين إلى المحيط الأطلسى ، المسألة الجوهرية هى عدم قراءة القرآن الكريم بعيون الموتى وعندما نذكر بأبى حنيفة ، والشافعى نرى مدى الانفتاح الذى شهدته الإسلام ، وقد قال لى صديقى أبو مسعود - وهو أحد رفاق حسن البنا - بأن مهمتنا كمسلمين فى الوقت الحاضر هى أن نخلق فقهاً خاصاً بالقرن العشرين انطلاقاً من شريعة شمولية وخالدة لكنها تختزل فى أشياء قليلة وفى القرآن الكريم قوله :

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ [الشورى الآية 13] .
إن هذه الشريعة تصلح لجميع الأديان .

وسأل مراسل المشاهد السياسى :

فكر الترابى : ما هو رأيك فى الإسلام فى السودان الذى يتميز به كما يطرح هو نفسه بالانفتاح وخصوصاً بتعامله المرن مع الأقلية المسيحية ؟
وأجاب جارودى :

« التقيت بحسن الترابى ، وأدركت بأنه يبذل جهوداً كبيرة من أجل ترسيخ إسلام منفتح ، وبطبيعة الحال إن هذا الإسلام يصطدم مع التقاليد القديمة الراسخة فى المجتمعات التى لا علاقة لها بالإسلام ، يضاف إلى ذلك أن حسن الترابى بذل جهداً كبيراً فى التعامل مع المسيحيين واعتبره نموذجياً والمفترض أن يطبق ذلك فى جميع الدول الإسلامية ، لقد كتبت الكثير عن الأصوليين فى جميع الأديان ولكنى عندما نشرت عن الأصولية⁽²⁷⁾ اليهودية استدعوا لى رجال الشرطة » .

انتهى الحوار

الإحالات المرجعية والهوامش الوثائقية

- (1) أ - برغم أن (الولايات المتحدة) وهى أكبر الدول مديونية ، كما يقول « هارى فيجى وجيرالد سوانسون » فى كتابهما (الإنفلاس 1995 ص 201) : أن الديون القومية المتوقعة عام 2000 هى ترليون دولار .
ب - وفى دراسة أمريكية أخرى فى كتاب « سقوط أمريكا قادم عام 1995 فمن يوقفه » ، قدم له السناتور الأمريكى (وارين رادامان) بوسطن - تورنتو / لندن طبعة أولى عام 1993 ص 165 . تقول الدراسة : [تبلغ ديوننا حالياً 4 تريليون دولار وستصل إلى 13 ترليون دولار عام 2000] .
- (2) راجع [مجلة حصاد الفكر ، العدد 87 ، مركز الرعلاى العربى ، مايو 1999 ص 36 - القاهرة] .
- (3) « توماس فريدمان » رئيس الصفحة الدبلوماسية فى « نيويورك تايمز » فى 12 أغسطس 1995 .
- (4) جريدة « واشنطن بوست » فى 13 أغسطس 1995 .
- (5) ص 32 حيث ينهى المؤلف المدخل للفصل الأول من هذا الكتاب .
- (6) القرن الأول الهجرى (السابع الميلادى) .
- (7) القديس بولس ، كان يهودياً ثم تنصر ، واخترع لهم -لنصارى- الصليب وجعله معتقداً لهم ، ثم أوهمهم بأن الصليب من ركائز العقيدة ، بل وجعل لهم الصليب فداءً وتضحية ، وذلك لأن (بولس) سائر جميع الملل لىؤدى هدفه (الشرطى) لإضلال النصارى ، وذلك حسب الكتاب المقدس الذى بين أيديهم والدليل على ذلك :
1 - (بولس يهودى) يقول عن نفسه [أعمال الرسل 22 / 3] :
[أنا رجل يهودى ولدت فى طرسوس (كليلىكية) ولكن رببت فى المدينة (مؤدياً عند رجلى عملائيل على تحقيق الناموس الأبوى] .
2 - (بولس رومانى) يقول عن نفسه [أعمال الرسل 22 / 26 : 29] .
[فإذا سمع قائد المثة ... فجاء الأمير وقال لى : أنت رومانى ؟ فقال : نعم] .
3 - (بولس فريسى) [أعمال الرسل 23 / 7 : 9] :
[ولما علم بولس أن قسماً منهم صديقون والآخر فريسيون صرخ فى المجمع أيها الرجال الإخوة ، أنا فريسى ابن فريسى] .
4 - (بولس منافق) [رسالة بولس إلى أهل كورنثوس الأولى 9 / 19 : 23] :
[فصرت لليهودى ... كيهودى ، وللذين تحت الناموس كأتى تحت الناموس ، وللذين بلا ناموس كأتى بلا ناموس ، مع أتى بلا ناموس - الناموس يعنى الوحي أو الشريعة - بل تحت ناموس المسيح لأربح الذين بلا ناموس] . (النقاط الفريدة فى أصل العقيدة ، عبد الراضى أمين سليم . طبعة أولى ص 11 بيت الحكمة للإعلام ، والنشر والتوزيع القاهرة عام 1993 .
(8) كيبوس : وهى الطاقة - غطاء جزء من الرأس - اليهودية ، التى توضع على مؤخرة الرأس ، وهى رمز أكثر منها غطاء للرأس .
(9) الحجاب : وهو مشتق من الفعل الثلاث حَجَبَ ، ومعناه الستر والغطاء الذى افترضه الله عز وجل على حواء وبناتها حواء منذ أن أجرى الله عليها القلم . ولكن العلمانية الحديثة فى تركيا البلد المفروض أنها مسلمة !! [إن المدعى العام لمحاكم أمن الدولة العليا فى أنقرة قد أعد مذكرة يطالب فيها بإسقاط عضوية - مروءة

قاوقجي - نائبة حزب الفضيلة (المحبة) في البرلمان . تمهيداً لمحاكمتها ، واستند في مذكرته التي بعث بها إلى وزارة العدل التركية إلى نص الفقرة الثانية من قانون العقوبات رقم 312 ، 169 مطالباً بمعاينة (قاوقجي) بالحبس لمدة تصل إلى 12 عاماً ، بعدما وجه إليها اتهاماً « بأعمال تستهدف تحريض المواطنين على العداء للأسس العلمانية للجمهورية التركية ، وللساندتها منظمات إرهابية والترويج لأنشطتها » .

وأوضح (بوسكال) - المدعى العام لمحاكم أمن الدولة - في لائحة الاتهام المكونة من أربع صفحات أن (مروة قاوقجي) التي أثارت بدخولها البرلمان وهي مرتدية الحجاب عاصفة من الغضب ، والاعتراضات ، قد ارتكبت جرماً وفق نص المادة 312 من قانون العقوبات لتمردها على مبادئ « أتاتورك والجمهورية العلمانية التركية بعدما خالفت وانتهكت قانون (القبعات الذي قام بوضعه مصطفى كمال أتاتورك ، مؤسس الجمهورية العلمانية التركية ، الأمر الذي وضع البرلمان التركي في موقف صعب والذي قرر تجميد عضويتها حتى تصدر المحكمة قرارها النهائي] .

(الأهرام العربي - العدد 129 السنة الثالثة - 11 سبتمبر 1999 ص 8) .

(10) الكائن : هو آدم عليه السلام . قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء / 1] .

(11) حرية المرأة : الحرية ضد العبودية ، فالإنسان أى إنسان يُشرف بأن يكون عبداً لله . وليس عبداً لهواه ، ولا عبداً لماله ، ولا عبداً لأى مخلوق .

* فلقد حاول - ونجحوا - اليهود أن يستخدموا كلمة حرية في مجالات متعددة وقصدوا بها غير معناها ، خاصة « حرية المرأة » فإذا أرادوا تدبير أى مجتمع - مسلم أو غيره - أطلقوا هذه الكلمة على غاربها ، حتى يخدعوا المرأة بأنها أخذت حريتها .

* فجعلوها - اليهود - سلعة رخيصة تباع وتشترى في أيدي الرجال .

* جردوها من ثيابها تحت مسمى حرية الموضة .. مجلة البوردة .. وحواء ..

* جردوها من عفتها تحت مسمى حرية الفن .. رقص .. موسيقى .. سينما .. غناء .. مسرح ..

* جردوها من حياها تحت مسمى حرية المساواة .. اختلاط بالرجال في العمل وغيره .

* جردوها من فكرها تحت مسمى حرية الفكر فدائماً تقول أنا حرة !! .

* كلمة حرية مفهومها العام - عند الغرب مستوحاة من البروتوكولات :

1 - البروتوكول الأول : [لقد كنا أول من صاح في الشعب فيما مضى ، الحرية ، الإخاء ، المساواة] .

2 - البروتوكول الرابع : [إن لفظة الحرية تجعل المجتمع في صراع مع جميع القوى بل مع قوة الطبيعة .. يعنى بها الله] .

3 - البروتوكول التاسع : [إن الكلمات التحررية لشعارنا الماسونى هى « الحرية ، المساواة ، الإخاء » . ولا بد أن نصوغها هكذا حق الحرية ، واجب المساواة فكر الإخاء حينئذ نكون قد دمروا في حقيقة الأمر (كل القوى الحاكمة) .. إلا قوتنا !!] .

1 - حرية المرأة عند الغربيين : تختلف تماماً عن حرية المرأة عند المسلمين .

أولاً : الغرب هم الذين أنشأوا للمرأة قضية فبدءوا بقضية المساواة ثم « تحرير المرأة » .

أ - قضية المساواة عند الغرب [* حين قامت الحركة النسوية في أوروبا ، كان للمرأة بالفعل قضية ! قضية

المساواة فى الأجر مع الرجل الذى يعمل معها فى المصنع نفسه ، وساعات العمل نفسها ، بينما تتقاضى هى نصف ما يتقاضاه الرجل من الأجر [(المصدر راجع فصل دور اليهود فى إفساد أوروبا فى كتاب (مذاهب فكرية معاصرة) محمد قطب نقلاً عن كتاب قضية تحرير المرأة - محمد قطب - سلسلة يصدرها مكتب الدعوة فى بريطانيا - كتاب رقم 52 ص 16) .

* وحين اتسعت القضية هناك ... فقد كان محورها الأول قضية المساواة مع الرجل فى الأجر ، فأصبحت المساواة مع الرجل فى (كل شيء) حتى (حق الفساد) الذى كان الرجل قد وصل إليه ... حتى وصلت القضية فى أن من حق المرأة أن تهب نفسها لمن تشاء !!

ب - ثم جاءت قضية « تحرير المرأة » وهنا نطرح سؤالاً تحرير المرأة من مَنْ ؟ !!
والإجابة على هذا السؤال تستلزم إيضاح وضع المرأة عند الغرب فنقول :

* المرأة مرت بأطوار متعددة فى الأزمنة الماضية فكانت أحوالها سيئة للغاية وكانت سلعة تباع وتشترى فى كل زمان ، حتى جاء الإسلام فحررها مما كانت فيه وأعاد لها كرامتها وإنسانيتها وأدميتها، ولكن الغرب له - فى تحرير المرأة - وجهة نظر مغايرة !! .

1 - المرأة عند اليونان :

كان اليونان أرقى الأمم القديمة حضارة ، وأزهرها تمدناً . وفى عصورهم الأولى كانت المرأة فى غاية الانحطاط وسوء الحال .

* فهى مصدر الشرور والآثام ، وهى عقاب من الآلهة (المدّعاء) لبنى الإنسان ، وهى روح خبيثة ؛ تعرف بالثور والمحراث ، وهى كلاً مباح وظيفتها متعة الرجل ، وإلحجاب الأولاد .

[راجع كتاب الحجاب لأبى الأعلى المودودى ص 14 ؛ راجع كتاب الإسلام والمرأة المعاصرة - البهى الخولى ص 11 ، نقلاً عن كتاب حقوق المرأة فى الإسلام . محمد بن عبد الله بن سليمان - مرفعة - المكتب الإسلامى طبعة ثالثة 1983 ص 19] .

2 - المرأة عند الرومان :

كان الرجل هو رب الأسرة فى المجتمع الرومانى فى عهد الجمهورية الأولى وله الحقوق كاملة على أهله وأولاده .

* ولقد بلغ من ذلك أن « الدوطة » التى كانت تنتقل بها المرأة من بيت أهلها تعتبر ملكاً خالصاً لزوجها بمجرد تحويلها إليه .

* ولقد بلغت من سلطة الزوج وسيادته على زوجته ، أنه كان يحاكمها إذا ما اتهمت بجريمة ، ويتولى معاقبتها بنفسه .. وكان له أن يحكم عليها بالإعدام .

* ولقد وهت عرى الأخلاق ، وضعفت صيانة الآداب فى المجتمع الرومانى إلى هذا الحد الذى استشرى تيار العرى والفواحش ، وجموح الشهوات .

* وراجت مهنة المومسات والداعرات وانجذبت إليها نساء البيوت العريقة . وكان ما وصل إليه المجتمع الرومانى من انحطاط سبباً فى تعجيل زوال الدولة الرومانية واندثار حضارتها [مصدر سابق ص 22] .

3 - المرأة عند اليهود :

* كانت بعض طوائف اليهود تعتبر البنت فى مرتبة الخادم !!

* وكان لأبيها الحق أن يبيعها .

* وكانت لا تترث إذا كان لأبيها ذرية من البنين . إلا ما كان يتبرع به لها أبوها فى حياته . [سفر أيوب 42 / 15 - 17] .

[ولم توجد نساء جميلات كنساء أيوب فى كل الأرض ، وأعطاهن أبوهن ميراثاً بين أخواتهن ، وعاش أيوب بعد هذا مائة وأربعين سنة] .

* وقد جعلت الأساطير اليهودية حواء العين التى تنشق منها جداول الآلام والشدائد . وقد كان لهذه الأسطورة اليهودية الشنيعة عن حواء تأثير عظيم فى سلوك الأمم اليهودية والمسيحية قبل المرأة ، كما كان لها أثر قوى فى حقوق القانون والأخلاق والاجتماع عند الشعوب .

[راجع كتاب « المرأة فى القرآن » للعقاد ص 77 دار الإسلام بالقاهرة طبعة عام 1973] .

4 - المرأة عند المسيحيون :

* لقد غلا رجال الكنيسة المسيحيون فى إهدار شأن المرأة ، وجاوزوا الحد فى نظرتهم إلى العلاقة بين الرجل والمرأة .

* فهم يرون أن المرأة ينبوع المعاصى ، وأصل السيئة والفجور .

* ويرون أن المرأة للرجل من أبواب جهنم .

* قال (توتوليان) أحد أقطاب المسيحية الأولى وأئمتها قال عن المرأة : « إنها مدخل الشيطان إلى نفس الإنسان ، وإنها دافعة بالمرء إلى الشجرة المنوعة ، وناقضة لقانون الله ، ومشوهة لصورة الله - أى الرجل - » .

* وفى عام 586 للميلاد عقد الفرنسيون مؤتمراً لبحث . ما إذا كانت المرأة إنساناً أم - شيطاناً - غير إنسان ، فتوصلوا إلى أنها إنسان خلقت لخدمة الرجل فحسب .

* وكان من نتيجة وتأثير نظرتهم إلى المرأة ، وإلى العلاقة الزوجية ، أن انحطت منزلة المرأة فى المجتمع فى ناحية من نواحي الحياة .

[انظر كتاب « الإسلام والمرأة المعاصرة - للبهى الخولى ص 19 ، كتاب المرأة بين الفقه والقانون ، للسباعى ص 20 ، كتاب « الحجاب » للموددى ص 24] .

5 - المرأة عند الفرس :

كانت المرأة عند الفرس عبدة سجنية منزلها . تباع بيع السوائم .

* فقد أباحت الأنظمة الفارسية بيعها .. وشراءها ، وكانت تحت سلطة الرجل المطلقة . ويحق له أن يحكم عليها بالموت دون رقيب أو مؤاخذه .

* ويتصرف بها تصرفه بسلعته ومتاع بيته .

* وكانوا - الرجال - لا يخالطون الحيض .

* وتزوج « بهرام جوبين » الذى عمك فى القرن السادس ، تزوج بأخته [راجع تاريخ الطبرى ج 2 / 138] .

* ويقول البروفسور (أرنهركستن سبن) ، أستاذ الألسنة الشرقية فى جامعة (كوبنهاجن بالدنمارك) المتخصص فى تاريخ إيران فى كتابه (إيران فى عهد الساسانيين) : إن المؤرخين الإيرانيين المعاصرين للعهد الساسانى مثل (جاتهارس) وغيره يصدقون بوجود عادة زواج الإيرانيين بالمحرمات ... بل كان عملاً صالحاً يتقربون به إلى الله .

[إيران فى عهد الساسانيين . ترجمة د . محمد إقبال من الفرنسية إلى الأردية . ص 430 - 439 نقلاً عن كتاب « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين » للندوى ، الطبعة العاشرة دار الأنصار عام 1977] .

6 - المرأة عند العرب قبل الإسلام :

- * كانت مهضومة الحق ، وكانوا يثدونها وهى حية .
- * وكان العرب يتشاءمون بمولد الأنثى .
- * كانوا يتوارثونها كما يتوارثون المال ... والمتاع ، فالولد يتزوج امرأة أبيه بعد موته .
- * وكانوا يحرمونها من الميراث .
- * وكانت تظهر من طمئها فيقول لها زوجها اذهبي فاستبضعي من فلان رغبة فى إنجاب الولد !! ، والمرأة يدخل عليها الرهط دون العشرة كل يصيبها فإذا حملت ووضعت أرسلت إليهم وحددت هذا إنك يا فلان ، فلا يستطيع أن يمتنع .
- قال عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - : والله إنا كنا فى الجاهلية ما نعد للنساء أمراً ، حتى أنزل الله فيهن ما أنزل ، وقسم لهن ما قسم .
- [تفسير ابن كثير ج 1 / 464 ، 465] .
- فكانوا يقولون : « لا يرثنا إلا من حمل السيف ، ويحمى البيضة » .

7 - المرأة فى الإسلام :

- * لقد كرم الله المرأة ، فحررها من العبودية لغير الله سبحانه ، وخلقها من نفس واحدة ، تتكامل معها وتحافظ عليها ، لها وظيفتها التى تتكامل باقترانها بالرجل .
- * كما أن الإسلام هو الدين الوحيد الذى لم يبح للمرأة أن يطأها رجل إلا بعقد وميثاق شرعى ، يحدد حقوقاً للمرأة قبل زواجها ، وأطفالها والمجتمع الذى تعيش فيه ، كما يفرض عليها واجبات محددة ، والرجل كذلك .
- * كما أن الإسلام لم يجعل المرأة فى حالة زواجها تحت السلطان المطلق لزوجها ؛ بل إنه شرع لها نظاماً يحقق لها عزتها وكرامتها .
- * كما أن الإسلام قد شرع لها نظاماً للتكافل يرفع المرأة وهى أرملة ويرعى أطفالها بما يفرضه لها من بيت المال ، فيحميها من الذئاب البشرية .
- * كما أن الإسلام حفظ المرأة من الاختلاط والابتذال وحفظ عليها عرضها .. وصان عفافها ، بما سنه من تشريعات ، كما جاء ذلك مفصلاً فى سورة البقرة ، والنساء ، والنور ، فيقول تعالى ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ [البقرة : 228] .
- * فهى تتساوى مع الرجل فى كل الحقوق التى شرعها الإسلام لها .
- * كما أنها تتساوى مع الرجل فى الواجبات التى حددها الإسلام لها .
- * وهى تتساوى معه « كمخلوق » . قال تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل : 97] .
- * وقال ﷺ : « إنما النساء شقائق الرجال » حديث رواه أحمد وأبو داود والترمذى عن عائشة ، ورواه البزار عن أنس رضى الله عنهم أجمعين .
- * والأخوة هنا تقتضى التساوى فى الانتساب إلى الأبوين ، فلا يكن أحد الشَّقَيْنِ أوفر حظاً فى النسبة إلى

أبويه من الآخر . لأنهما من [آدم وحواء] .

* ولذلك نرى الإسلام وحده هو الذى حرر المرأة ، وفق الضوابط الشرعية فى « الحِلِّ والتحریم » .

** فأى تحرير للمرأة يريده الغرب بعد ذلك !! ؟

حرية العرى والاختلاط والفساد ؟

ثانيًا : حرية المرأة فى الغرب :

هى حرية العرى .. والفساد .

* وهذا هو المخطط - الشيطاني - لسلخ المرأة من عفتها ... من حيائها ... من أنوثتها ، وهنا ... هنا

فقط يجيء « دور الإسلام فى حجاب المرأة » للمحافظة على كرامتها ، وعفتها ، وحيائها .

أ- حجاب المرأة عند اليهود :

* نحن - المسلمین - لا نختلف على اليهود شيئاً ولكن نستشهد بما عندهم فى التوراة - برغم تحفظنا

الشديد وعلمنا بأنها غُيّرت وبتُكِّت وحُرِّفَت الكثير منها - فالحجاب عند اليهود حسب شريعة التوراة حجاب عفة .

1- الحجاب بمعنى النقاب [سفر التكوين 24 / 64 - 65] .

* [ورفعت رُفقة عينها فראت إسحاق فنزلت عن الجمل وقالت للعبد - مولاها - من هذا الرجل الماشى فى

الحقل للقائى ؟ فقال العبد : هو سيدى ، فأخذت البرقع وتغطت] .

[سفر التكوين 38 / 13 - 14] .

[فأخبرت ثامار وقيل لها : هو ذا حموك صاعدًا إلى تِمْثَ ليجزَّ غنمه ، فخلعت عنها ثياب ترملها وتغطت

ببرقع وتلففت وجلست فى مدخل عينايم التى فى طريق تِمْثَ] .

* عقاب الله سبحانه وتعالى لمن تخلى عن الحجاب والنقاب .

[سفر أشعياء 3 / 18 - 19] .

[إن الله سيعاقب بنات صهيون على تبرجهن والمباهاة برنين خلاخيلهن ، بأن ينزع عنهن زينة الخلاخيل

والصفائر والأهلة والخلق والأساور والبراقع والعصائب] .

[سفر الخروج 35 / 29 ، سفر الخروج 36 / 3] .

ب - الحجاب عند النصارى :

* هو أيضاً حجاب عفة وستر للعورة .

* يقول بولس الرسول فى رسالته لأهل كورنثوس الأولى [كورنثوس الأولى 11 / 15] .

بأن النقاب شرف للمرأة .

[فإن كانت ترخى شعرها فهو مجد لها ، لأن شعرها - الشعر - بديل البرقع] .

* وكانت المرأة عندهم - عند النصارى - تضع البرقع - النقاب - على وجهها حين تلقى الغرباء - الأجانب

- وتخلعه حين تنزوى فى الدار بلباس الحداد .

[رسالة بولس إلى أهل كورنثوس الثانية 3 / 14 - 16] .

[وليس كما كان موسى يضع برقعاً على وجهه لكى لا ينظر بنو إسرائيل إلى نهاية الزائل ، بل أُغْلِظَتْ

أذهانهم لأنه حتى اليوم ذلك البرقع نفسه عند قراءة العهد العتيق باق غير منكشف . الذى يُبْطَل فى المسيح .

... البرقع موضوع على قلبهم . ولكن عندما يرجع إلى الرب يُرْفَع البُرْقُع] .

جـ - حجاب المرأة فى الإسلام :

* شرعه الله سبحانه وتعالى ، صيانة للمرأة من الابتذال والامتهان ، وإحاطة كرامتها وعفتها بسياج من الاحترام والتقديس ، ولنع النظرات الطائشة ، والتطلعات الفاجرة من الوصول إلى محاسن المرأة ، والتلذذ بها .

* وهو - الحجاب - قبل كل شىء طاعة لله ، وامثال لأمر رسول الله ﷺ .

* وحجاب المرأة المسلمة [الإسلام والمرأة المعاصرة - البهى الخولى . ص 159] جملة من الآداب ، شرعها الإسلام لبيطل ما كان فى الجاهلية من تبرج وتعرض للإثارة ، وتحلل شائن فى صلة الرجال بالنساء ، ليفصل الحدود التى تبين علاقة كل من الجنسين بالآخر .

* قال تعالى : ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ نِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ وَقُرْنِ فِي بَيْوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ﴾ [الأحزاب / 32 - 33] .

* فهذه تعاليم للحفاظ ولصيانة المرأة بتقوى الله فى الكلام وصوت المرأة الذى يكون به خلاعة ، وميوعة ، وخناعة ، ثم الحفاظ على عورتها وعدم إظهار شىء من جسدها ، كما كانت المرأة تفعل فى جاهليتها ، وعدم خروجها من بيتها - إلا لضرورة حددها لها الشارع - بالضوابط الشرعية - حتى لا تمتحن كرامتها - بالاختلاط والاحتكاك بالرجال - فى المواصلات أو فى المصانع أو فى المتاجر عند البيع والشراء ؛ فالحجاب عفة وصيانة . فضلاً عن كونه فطرة وفريضة .

* وجاء الحجاب - النقاب - أكثر صيانة للحفاظ على هيئتها من أعين - الشيطان - الناس ، وعدم إيذاها بالهزم واللمز والنظرة الطائشة إلى -مُجَمَّلَ زينتها - الوجه ، فطالب الله بغطاءه لصيانة المجتمع وتكون النساء سواء ، زوجة الوزير مع زوجة الخفير لا تُعرف إحداهما من الأخرى فهما فى الشرع وعند الله سواء .

* قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الأحزاب / 59] .

* فالجلباب - النقاب - ساتر على وجه المرأة ، أمر به الله لها .

أما أمر الله للرجال - فهو المحاولة بعدم النظر لها أيضاً .

* عن جرير بن عبد الله البجلي قال : سألت رسول الله ﷺ عن نظرة الفجاءة فقال : « اصرف بصرك » . رواه أبو داود .

* وعن بريدة قال : قال رسول الله ﷺ : « يا على لا تتبع النظرة النظرة ، فإن لك الأولى - أى الفجاءة - وليس لك الآخرة » . رواه أبو داود .

* ولقد وضع - علماء المسلمين - الشرع شروطاً للباس المرأة - حجابها - خارج المنزل ، وداخله فى حالة عدم وجود محرم لها . بالضوابط التالية :

أولاً : ستر جميع بدن المرأة على الراجح .

* لقول النبى ﷺ : « المرأة عورة » أخرجه الإمام أحمد . يعنى أنه يجب سترها .

* وبعض العلماء يُبيح كشف الوجه والكفين بشرط أمن الفتنة منها وعليها .

ثانياً : ألا يكون الحجاب فى نفسه زينة :

قال تعالى : ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ [النور / 31] .

قال تعالى : ﴿ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ﴾ [الأحزاب / 33] .

* فلا يُعقل أن يكون هو - الحجاب - نفسه زينة .

ثالثاً : أن يكون صفيحاً - ثخيناً ، ثقيلاً - لا يشف :

* لا يشف ، لأن الستر لا يتحقق إلا به ، أما الشفاف فإنه يجعل المرأة كاسية بالاسم ، عارية في الحقيقة .
قال ﷺ : « سيكون في آخر أمتي نساء كاسيات عاريات على رؤوسهن كأسنمة البخت - سنام الجمل - »
وزاد في حديث آخر : « لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا » .
حديث صحيح ، وهذا يدل على أن ارتداء المرأة ثوباً شفافاً رقيقاً يصفها ، من الكبائر المهلكة .

رابعاً : أن يكون - الحجاب - فضفاضاً واسعاً غير ضيق :

* لأن الغرض - الهدف - من الحجاب ، منع الفتنة ، والضيق يصف حجم جسمها - كلبس ما يسمى بالبنطلون ، أو الاستريتش ، أو الجيب المكسي الطويل أو القصير وله فتحة أو فتحتين ليسهل السير به .
* ولأن الضيق يبرز مفاتيح المرأة من صدرها أو خصرها أو فخذها أو جمال ساقها .
خامساً : ألا يكون مبخرًا مطيأً : قال ﷺ : « أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا ريحها ، فهي زانية » .

* لأنها بذلك لفتت أنظار الرجال إلى واضع الرائحة ، فكانها تقول لهم : أنا هاهنا !! .

سادساً : ألا يشبه - الحجاب - ملابس الرجال : قال ﷺ : « ليس منا من تشبه بالرجال من النساء ، ولا من تشبه بالنساء من الرجال » حديث صحيح .

سابعاً : ألا يشبه - الحجاب - ملابس المشركات .

* وما أكثر تقليد النساء في زماننا بالمشركات . قال ﷺ : « من تشبه بقوم فهو منهم » .

* وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : رأى رسول الله ﷺ على ثوبين معصفرين فقال : « إن هذه من ثياب الكفار ، فلا تلبسها » .

ملحوظة :

ما أعظم هذا التوجيه النبوي العالى ... حتى للرجال ، فما أكثر شباب اليوم - ناهيك عن النساء - الذين يلبسون ملابس عليها صور النساء أو الرجال ، أو مكتوب عليها باللغة الأجنبية ، أو أعلام أمريكا أو إنجلترا أو فرنسا ، ثم تجدهم - وللأسف الشديد - يدخلون المسجد بالملابس هذه للصلاة !! فما أعظم هذا التحذير .

(إن هذه من ثياب الكفار ... فلا تلبسها) .

ثامناً : أن لا يقصد به - الحجاب - الشهرة بين الناس .

* ولباس الشهرة كل ثوب يقصد به صاحبه الاشتهار بين الناس سواء كان الثوب نفيساً - غالباً - يلبسه تفاخراً بالدنيا وزينتها أو خسيساً - فقيراً رخيصاً - يلبسه إظهاراً للزهد والرياء فهو يرتدى ثوباً مخالفاً مثلاً لآلوان ثيابهم ليفت نظر الناس إليه . قال ﷺ : « من لبس ثوب شهرة في الدنيا ، ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة ، ثم ألهم فيه ناراً » .

* وهكذا حافظ الإسلام على المرأة وأعطاها الحرية . كل الحرية المنضبطة بالضوابط الشرعية ، وليست حرية التفسخ والإنحلال .

(12) العولمة : Globalisation

وهي شكل جديد من أشكال الاستعمار ، واستعداد القوى على الضعيف ، بهدف سلب مقومات الشعوب

الغفيرة والضعيفة في العالم ، ومحو خصوصيتها الفكرية ، بهدف سلب مقومات الشعوب الفقيرة ، والضعيفة في العالم ، ومحو خصوصيتها الفكرية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية .

[مجلة « حصاد الفكر » العدد 85 السنة 8 مارس 1999 ص 9 ، مركز الإعلام العربي] .

* وتهدف أيضاً إلى سلب أعرافها وتقاليدها وأنماط عيشتها ، وقد أصبحت « العولة » كنظام عالمي حقيقة واقعة ، يعيشها العالم عمومًا ، والعالم الإسلامي والعربي بصفة خاصة ، « والعولة » تفرض على الجميع التعامل والتكيف معها ، ومواجهة أخطارها وسلباتها .

* ويمكن القول بأن « العولة » لفظ جديد في القاموس السياسي والاقتصادي ، لكنها مع ذلك تشير إلى العالم - أي الكون - وتصف نظامًا عالميًا شاملاً للأبعاد السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية والتربوية ، فضلاً عن الأعراف والتقاليد ، بل وتتجاوز الحدود السياسية والجغرافية بين الدول التي تجعل العالم - إن صح القول - يعيش في عصر القرية الكونية الموعودة .

[كتاب العولة ، محمد سعيد بن سهو أبو زعرور ، دار البيارق ، عمان 1998] .

* وخصائص تلك العولة : لقد جاءت العولة لتكديس توجه « الهيمنة » وتفرض أنماطاً حضارية جديدة في إطار « الليبرالية الجديدة » بهدف تقوية « الرأسمالية العالمية » وخدمة مصالحها وقد جرى استخدام مصطلح : « عولة » في العقد الحالي ، على نطاق واسع ، وتتبع خطورة هذا المفهوم ، وأهميته من أنه تحول كلية إلى سياسات وإجراءات عملية ملموسة في كل المجالات الثقافية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والإعلامية وأصبحت في جوهرها هيكلًا للقيم تتفاعل مع كثير من الاتجاهات والاستراتيجيات في الغرب على فرضه وتبنيته ، وقسر مختلف شعوب المعمورة - وخاصة المسلمين - على تبني تلك القيم وهيكلها ونظرتها للإنسان والكون والحياة . [مجلة « البيان » العدد 145 ديسمبر 1999 ، مقالة « العولة بين منظورين » د . محمد أمحزون ، ص 121] .

* أما مجالات تلك العولة :

أ - عولة الاقتصاد ، وكان من البديهي أن تصوغ أمريكا للعالم هذا النظام بما يحقق مصالحها .

* ولقد شكلت « الولايات المتحدة » عدة مصادر لنظام العولة الاقتصادية منها .

1- صندوق النقد الدولي : ويقوم بدور الحارس على النظام النقدي العالمي .

2 - البنك الدولي : ويعمل على تخطيط التدفقات المالية طويلة المدى .

[كتاب « اتفاقية التجارة العالمية (GATT) ، ياسر قارئ ص 7 ، مصدر سابق] .

3 - الاتفاقية العامة للتعريفات والتجارة والتي تعرف اختصارًا باسم (الجات) والتي تمخضت عن إنشاء المنظمة العالمية للتجارة ، وهي الشريك الثالث لصندوق النقد الدولي والبنك الدولي في وضع السياسات العالمية كما عبر عن ذلك مدير عام الاتفاقية (بيتر سذر لاند) .

4 - هيئة التنمية الدولية .

5 - منظمة الصحة العالمية .

6 - الوكالة الدولية للطاقة الذرية .

7 - منظمة الطيران المدني ... إلخ

[كتاب ، كيف نفكر استراتيجيًا ، ص 360 ، مصدر سابق] .

ب - عولة الإعلام والثقافة : من أجل ذلك انعقدت أربع مؤتمرات دولية .

* جنيف عام 1992 * بيونس آيرس عام 1994 * بروكسل عام 1995 * جوهانسبورج عام 1996 ، نجح خلالها الأمريكان من تسويق فكرتهم حول « مجتمع المعلومات العالمى » والضغط لفتح حدود أكبر عدد ممكن من البلدان أمام التدفق الحر للمعلومات .

[كتاب العولمة ، عمرو عبد الكريم ص 9 ، نقلاً عن مجلة البيان العدد 145 ص 125] .

ج - العولمة الاجتماعية :

تتحد معالم هذه العولمة ومظاهرها من خلال مؤتمرات دولية كان الغرض منها تأطير الأنماط السلوكية الشاذة التى تتعارض مع الفطرة الإنسانية ونشرها والتسلل لاحتواء موارد الدول الفقيرة واستغلالها لصالح مؤسسات المالية الغربية مثلاً حيث عقد المؤتمر العالمى للسكان والتنمية فى القاهرة فى سبتمبر عام 1994 ، ثم فى سبتمبر 1995 عقد المؤتمر الخاص بالمرأة فى بكين ، ثم فى يونيو 1996 انعقد مؤتمر الإيواء البشرى فى استنبول : وهذه المؤتمرات أقرتها منظمة الأمم المتحدة ، وهى الذراع التنفيذى لمخططات الولايات المتحدة وحليفاتها فى أوروبا .

* فماذا وراء العولمة : إن الهدف المعلن من العولمة هو إزالة الحواجز ، وتذويب الفروق بين المجتمعات الإنسانية المختلفة لسيادة آلية رأس المال التى تأبى أى قيود ، وآلية المعلومات التى تأبى أى رقابة ، وكذلك إشاعة القيم الإنسانية المشتركة التى يراد لها أن تجمع البشر وتكون أرضية لإنفاذ آلية رأس المال ، وآلية المعلومات المشار إليها ، فإجراءات العولمة الحالية تحاول أن تشمل الاقتصاد والسياسة والاجتماع والاستراتيجية والثقافة من خلال نظرية ليبرالية شاملة ، جاعلة شعارها « المصير الواحد للبشرية » .

[مجلة البيان ، العدد 136 ص 93 ، إبريل 1999 ، لندن] .

* وهنا يمكن أن نقول : ما هو الدور المرتقب للعالم الثالث فى ظل العولمة ؟

إن العالم النامى فى نظر الغرب مجرد « حشو دولى » يمكن الاستفادة منه ، ولكنه غير مؤهل لدخول لعبة العولمة ، أى إنه ليس بللاعب ولكنه ملعوب عليه .

* فإننا نجد أن الدول العربية - كإحدى المناطق المستهدفة بالعولمة - بلغت ديونها الخارجية عام 1995 (250) مليار دولار . [جريدة الوطن يوم 18 ، ذو الحجة 1416 هـ] .

وتتفاقم ديونها بما مقداره (50) ألف دولار فى الدقيقة الواحدة .

[جريدة المسلمون ، العدد 683 بتاريخ 1998/3/7 ، السعودية] .

* ولا شك أنه كلما ارتفعت وتيرة الديون كلما ترسخت التبعية ووجدت الذريعة للتدخل ، فعن طريق القروض احتلت إنجلترا مصر ، واحتلت فرنسا تونس فى القرن الماضى .. وبسبب الديون التى بدأت بتشجيع من الغرب عن طريق البنك الدولى ، وصندوق النقد الدولى اللذين يعملان على إغراق الدول المستهدفة بالديون ، أصبح اقتصاد معظم هذه الدول متخبطاً .

فبين من ستكون المنافسة فى ظل العولمة ؟ ! وكيف ستكون مثل هذه المجتمعات النامية فى ظل العولمة ؟ إنها مكانة البقرة الحلوب التى يراد لها ألا تخرج من الحظيرة .

* معنى آخر للعولمة :

ذكر بعض المفكرين فى وصفها بأنها « نظام عالمى جديد يقوم على العقل الالكترونى والثورة المعلوماتية القائمة على المعلومات والإبداع التكني غير المحدود بدون اعتبار للأنظمة والحضارات والثقافات والقيم والحدود الجغرافية والسياسية القائمة فى العالم » .

[كتاب العولمة ، محمد سعيد بن سهو أبو زعور ، مصدر سابق] .

* أهداف العولمة :

نذكر القارئ ببعض الأمور لعلها تكون في ذهنه صورة حقيقية للأهداف التي تسعى من أجلها الولايات المتحدة من خلال « النظام العالمي الجديد » فمن أهم هذه الأهداف :

* الهيمنة الأمريكية على اقتصاديات العالم ، من خلال السعى لسيطرة الاحتكارات والشركات الأمريكية الكبرى على اقتصاد الدول .

* التحكم في مراكز القرار السياسي وصناعيه في دول العالم لخدمة المصالح الأمريكية .

* إلغاء النسيج الحضارى والاجتماعى للشعوب .

* تدمير الهويات القومية وثقافات الدول .

* زيادة الدول القوية غنى والدول الفقيرة فقرًا .

* فرض السيطرة السياسية والاقتصادية والثقافية والعسكرية على الشعوب .

* سؤال بعد كل هذا ، ماذا يراد بالضبط من وراء العولمة ؟

الجواب بكل وضوح : « يراد لف رباط عتق حريرى ، ومتين حول أعناقنا برغبتنا وبأيدينا ، ليتولى الغرب - وعلى رأسهم أمريكا - شدة وقت الحاجة » . [مجلة البيان ، العدد 136 ص 98 ، لندن] .

* ضحايا العولمة :

« إن التقرير الذى وضعته منظمة العمل الدولية أخيراً عن آفاق أسواق العمل للعاملين عام (1998 - 1999) قدّر عدد العاطلين عن العمل فى العالم بحوالى مليار شخص ، وهو ما يمكن أن يمثل ثلث القوة العاملة على الكرة الأرضية ، على أن من بينهم عشرة ملايين انضموا إلى قوافل العاطلين عن العمل فى العام 1998 » . [مجلة الوسط ، العدد 375 ، لندن] .

* كيف يحارب المثقفون العولمة ؟ !

قال وزير الثقافة المصرى ، فاروق حسنى : « أنا لا أعتقد أن العولمة ستهزم الثقافة ؛ لأن التخوف ليس من الغزو الثقافى ، وإنما التخوف هو من السيطرة الثقافية ، فأم كلثوم وعبد الوهاب ، واليوم لطيفة التونسية أو غيرها يؤثرون فى شبابنا ، لذلك يمكن القول : إن الثقافة هى سلاح جبار لا يهزم ، ومن هنا يأتى عدم الخوف من العولمة » . [جريدة الشرق الأوسط ، العدد 7430 ، السعودية] .

*** وفى النهاية - الختام - نقول : إن أخطر أنواع العولمة هى تلك « العولمة الطوعية » التى يدخل فيها الفرد باختياره وبملاء إرادته ؛ إذ توجد عولمة لا شعورية تلقائية يصل فيها المرء باختياره إلى الانهزامية والاستلاب فى مواجهة النموذج الغازى ، ولعل ذلك ما يقرره (ابن خلدون) فى « مقدمته » : إن المغلوب مولّع بتقليد الغالب .

(13) إن الأيام تثبت ذلك ، فلقد كتب « أحمد يوسف » مراسل جريدة الأهرام فى باريس فقال : « تحتفل فرنسا بمدينة القاهرة من خلال الأفلام السينمائية المصرية التى أنتجت خلال الأعوام المائة السابقة ، ويقدمها مهرجان « سينما حول العالم » فى مدينة رينس الفرنسية ، وسوف تقيم فرنسا حفلاً خاصاً لتكريم نجوم السينما المصرية ، وفى مقدمتهم يوسف شاهين ، وعمر الشريف ، ومحمد خان ، وغيرهم كما يعرض فى المهرجان 20 فيلماً من بينهما ميرامار ، وفاطمة ، والوردة البيضاء ، والأراجوز ، ودعاء الكروان ، ولحن الخلود .

* ويقدم المهرجان فقرة خاصة بعنوان: « القاهرة فى عيون الآخرين » تعرض فيها أهم الأفلام الأمريكية والفرنسية التى كانت مدينة القاهرة محوراً مثل « الجاسوس الذى أجبنى ، وجريمة على النيل ، سر الهرم » .
جريدة الأهرام . السنة 124 العدد 41287 بتاريخ 21 / 12 / 1999 .

(14) لقد كتب الأستاذ / أحمد بهجت فى زاويته فى جريدة الأهرام يوم السبت 28 مارس 1998 مقالة بعنوان « جذور العنف » فمما قاله : « وقد عبرت أفلام الغرب فى السينما الأمريكية عن هذا العنف ، ورسمت صورة البطل عند الكابوى ، وكانت البطولة تعقد لواءها لمن يسحب مسدسه أسرع ، ولمن يقتل عدداً أكبر من الضحايا دون أن يهتز له جفن . . . أو بدم بارد كما يقول المصطلح الأمريكى . . . ثم يقول : ويبجح الدستور الأمريكى لكل مواطن أمريكى أن يحمل السلاح ، وليست هناك أى عقبات فى شراء السلاح ، أو ترخيص » .

ونحن نقول لهذه الأسباب : يتأثر الأطفال والشباب بأفلام العنف تأثيراً لا يستطيعون التنبؤ بآثاره السيئة .

* وبعد أسبوع واحد فقط خرجت علينا الصحافة العالمية تثبت حادثة شنيعة .

* مجلة Time 6 أبريل 1998 تحت عنوان The hunter and the choirboy ومجلة Newsweek 6 أبريل سنة 1998 تحت عنوان The Schoolyard Killers . والحادثة : أطفال يطلقون النار عشوائياً على مدرسة بنات فيقتلون منهن عدداً كبيراً ، وحادثة أخرى شباب يقتحمون بنكاً لسرقته وعندما سئلوا فى التحقيق ، من الذى أوحى إليكم بهذه الفكرة التعيسة ؟ قالوا : شاهدنا فيلماً عن سرقة بنك ونفذنا سيناريو الفيلم ، ولكن فى الحياة الواقعية .

(15) إنهم يريدون محو أى أثر للشعب الفلسطينى على أرض وطنه المكتسب كما فعل الفونس وإيزابيلا بالمسلمين فى الأندلس ، لا يوجد مقبرة واحدة من الأندلس تشير إلى ملايين المسلمين الذين عاشوا ثمانية قرون على أرض الأندلس .

(16) وهذا نوع جديد من الحرب - ضد المسلمين باسم ثقافة السلام - أنهم يغزوننا بثقافتهم المزيفة عن طريق التلفزيون والأطباق (الدش) أو « الستالايت » أو الأقمار الصناعية لتدخل كل بيت من بيوت المسلمين - إلا من رحم ربى - لتغير ثقافتهم لتتواكب مع نظمهم وعولتهم فى جميع المجالات وهذه الحروب أخبث من الحروب الكيماوية لأنها تدمر العقول وتترك الأجساد .

(17) الأفلام وتخطيط الثقافات : نجد هذا واضحاً جداً فى فيلم (الحصار) وهو أحدث أفلام شركة « ثعلب القرن العشرين » الأمريكية وتقع أحداث الفيلم فى مدينة (بروكلين) بنيويورك ، وتدور حول تفجيرات يقوم بها المسلمون ، مما أدى إلى إعلان الجيش الأمريكى . [لقانون الطوارئ والأحكام العرفية] . ثم قيامه بعملية اعتقالات واسعة النطاق للمسلمين الأمريكيين ، وكذلك الأمريكيين من أصول عربية . [راجع جريدة الأهرام 21 ديسمبر 1999 السنة 124 العدد 41287] مقالة الأستاذ فهمى هويدى - وجه أمريكى مسكوت عليه !!] .

* وفيه يقول : إن فى أمريكا قانون - الأدلة السرية - الذى يخول السلطات حبس المتهم دون اطلاع القاضى أو المحامى ولا المتهم عن أسباب ذلك .

* وفيلم الحصار هذا ، يصور المعتقدات الإسلامية ، على أنها مبررات لإرتكاب العمليات الإرهابية ، ولا يخلو سيناريو الفيلم من التهكم والسخرية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية .

* وفيلم (الحصار) يستخدم الزى الإسلامى النسائى (الحجاب) كى يتمكن من الهروب من السلطات ، مما

- يجعل النساء المسلمات فى خطر ومحل شك !!
- * إن هذا الفيلم يعرض المسلمين وكأنهم وحوش لا يباليون ولا يحترمون الإنسانية .
- * والخلاصة . . . أو الرسالة التى يريد الفيلم إيصالها للعالم وللأمريكان خاصة :
- الا يجب على الأمريكان الثقة فى أى عربى أو مسلم على الإطلاق [راجع بشىء من التفصيل] ، [مجلة الفرقان . العدد 104 أخبار عالمية . ص 26 طلعة عام 1999 اليمن] .
- (18) الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية ، روجيه جارودى ، نقله إلى العربية قسم الترجمة بجريدة الزمن المغربية بإشراف .د. محمد سيل . الطبعة الثانية مايو 1998 .
- (19) فى كتابه « محاكمة الحرية » لمؤلفه روجيه جاروى ، جاك فيرجيس منشورات الفيحاء للدراسات والترجمة والنشر طبعة أولى 1998 من ص 24 : ص 31 تحت عنوان حينما نتحدث الأرقام - الفصل الثالث [يعتمد رجاء جارودى على الوثائق التى تدل على الأرقام التى أثبت بها (جارودى) أسطورة الـ 6 ملايين . فمن ضمن هذه الوثائق :
- 1 - ص 26 الوثيقة السوفيتية رقم 54 الجزء 29 الصفحة 290 . فقد صرح « ريد لكو » وبفعل المادة 21 أن هذا الأمر (قتل 11 ألف ضابط بولندى) لن يتعرض لأية معارضة ، وفى 13 أبريل 1995 تم إثبات جريمة (كاتين) نفذها (بيريا) والسلطات السوفيتية .
- 2 - ص 27 كتاب « صلوات الحقد » لمؤلفه « ليون بولياكوف » جاء فيه الإحصائية التى استندت إلى تقدير « كورهير » رئيس التفتيش الإحصائى فى القيادة الألمانية التى تقدمها إلى « هتلر » فى 27 مارس 1993 ، 7 يوليو 1994 والتى حددت تناقص عدد اليهود فى أوروبا .
- 3 - ص 29 كتاب « السيرة الذاتية » لمؤلفه « ناحوم جولد مان » الذى نشرته « دار فاريار الباريسية » وجاء فى ص 232 ، 262 منه ، طريقة الحساب المتبعة لطلب المال - أى العوض الذى دفعته ألمانيا لإسرائيل - إذ جاء فيه « استقبلت إسرائيل 500 ألف يهودى تقريباً ، وكلفه دمج الواحد منهم 3000 دولار ثم قال جارودى: إن مناقشتنا لم تكن تركز على مستند قانونى لأن « إسرائيل » لم تكن بعد موجودة إبان النظام النازى .
- 4 - ص 30 قال جارودى [وقال المؤرخ اليهودى « توم سجينف » فى كتابه المعنون « المليون السابع » والصادر عن دار (ليانه ليفى فى باريس عام 1993) « إن إنقاذ اليهود فى أوروبا لم يكن على رأس أولويات الطبقة القيادية ، فالأولوية بنظرهم كانت لتأسيس الدولة .
- 5 - ص 31 يقول جارودى : [هذه العصية القاتلة استوحيت مواقفها من البعثة الصهيونية إلى مؤتمر إفيان ، انعقد المؤتمر فى شهر يوليو 1938 فى مدينة (إفيان الفرنسية) وحضرته 31 دولة لمناقشة عملية استيعاب النازحين من الظلم ، ولم يطلب الوفد الصهيونى إلا حلاً واحداً ، وهو نقل 200 ألف يهودى إلى فلسطين .
- * من هذه الأدلة وغيرها كثير ، قال جارودى : [منذ ذلك الوقت فهدمت بوضوح الفرق بين اليهودية التى هى دين أحترمه ، والصهيونية التى هى سياسة أفرعها كسياسة قومية متعصبة واستعمارية] .
- (20) وهل هناك أسوأ من هذه العنصرية اليهودية ، التى وردت فى تلمودهم أو توراتهم حيث جعل - التلمود أو التوراة جميع شعوب العالم « حميراً » تقوم على خدمة شعب (إسرائيل) حيث ورد فى سفر المكابيين الإصحاح 15 العدد 34 إذ يقول ما نصه : [سأل إسرائيل ربه - لماذا خلقت خلقاً سوى شعبك المختار ؟ فقال

له : لتربكوا ظهورهم ، وتمصوا دماءهم ، وتحرقوا أخضرهم ، وتلوثوا طاهرهم ، ونهدموا عامرهم . فهل بعد ذلك عنصرية أسوأ ؟ .

(21) يعنى عنصرية مستمدة من كتاب ينسب إلى الإله .

(22) وقد تبين للمغفلين أن إيهود براك لا يختلف عنه .

(23) جمدوا هذه الشروط بعد حصولهم على جميع التنازلات التي لم يكونوا يحلموا بها من خصمهم !! راجع كتاب « الشرق الأوسط الجديد » لمؤلفه شمعون بيريز ، ترجمة محمد حلمى عبد الحافظ ، الأهلية للنشر والتوزيع الطبعة الأولى ، الأردن عام 1994 ص 29 إذ يقول : [وفى أوصلو توصلت إسرائيل إلى أكثر من مجرد كلمات ، فقد حصلنا على تنازلات لم نكن نستطيع بدونها توقيع أى اتفاقية ... تنازلات أمنية ، وقضية إبقاء القدس خارج اتفاقية الحكم الذاتى ، والإبقاء على المستوطنات حيث هى] .

فى ص 7 يقول المؤلف [فرحتى فى أوصلو كانت مزدوجة ، فقد تصادف أيضاً عيد ميلادى السبعين ... ووقتها قال لى « أبو علاء » ممثل منظمة التحرير الفلسطينية وهو يتسم بجدارية : الاتفاقية هى هديتنا لك فى عيد ميلادك . قلت فى نفسى : يا لها من هدية . هدية متميزة وغير متوقعة بل ومن المستحيل تقييما] .

(24) نفس الشيء تكرر فى النمسا حينما وصل حزب الحرية عبر صندوق الاقتراع إلى سدة الحكم ، قامت قيامة الصهيونية العالمية ، والدول الأوروبية !! هذه هى ديمقراطية العالم المتحضر !! .

(25) راجع جريدة الأهرام 18 / 6 / 96 تحت عنوان [الأب بيير يكشف الحركة الصهيونية العالمية تدبر الدسائس لإقامة امبراطورية من النيل إلى الفرات] هذا تأييد للكتاب .

الأهرام فى 23 / 7 / 1996 تحت عنوان : [الأب بيير يتراجع ويعتذر لليهود : جارودى يفتح النار على الصحافة الفرنسية ويتهمها بتلقى التعليمات من إسرائيل] . [وهذا هو التراجع والرفض] .

الأهرام فى 30 / 7 / 1996 ص 6 كتاب جارودى ممنوع ، ... والتهديد لمدير مكتبة (دى سافورا الرومانية) وهى المكتبة الوحيدة التى تباع الكتاب !!

(26) الأصولية : Fundamentalism

وهو مصطلح عرفته الحضارة الأوروبية كرد فعل لظهور المذهب « البروتستانتى » الذى ما ظهر إلا لإحداث تغير جذرى فى العقيدة النصرانية ، التى كانوا يعتبرونها عائقاً أمام التقدم العلمى والحضارى .

* لقد استخرج صائغوا « النظام العالمى الجديد » هذا المصطلح الأصولية ، من خلفياتهم الثقافية ، ومن تاريخهم ، وعلى الرغم من أن هذا المصطلح لا يعطى نفس المعنى ، أو المضمون فى الإسلام ، إلا أن بعض المثقفين من أمتنا ، ممن اعتادوا أن يقتاتوا على فئات الموائد الثقافية الغربية ، التقطوا هذا المصطلح ، وحاولوا استخدامه فى بلداننا الإسلامية ، للدلالة على الداعين إلى التمسك بسنة رسول الله ﷺ ، فوصفهم فى البداية بالمتشددين ، واستخدموا أيضاً اصطلاح « الأصوليين » لوصفهم .

ولما لم يجد هذا المصطلح نجاحاً ، صدر الغرب إلينا لفظى « المتطرفين » ، والتطرف « غير أن هذا المصطلح أخفق هو الآخر فى تحقيق أهدافه الهدامة ، فى بلداننا الإسلامية ، لأن تساؤلاً ثار : من الذى يحدد المتطرف من غير المتطرف ؟ .

[كيف نفكر استراتيجياً ، لواء أ . ح د . فوزى محمد طایل مركز الإعلام العربى 1997 المحور الرابع - تحت عنوان - محاربة الإرهاب ص 403] .

ويقول «ريتشارد هربر دكمجيان» فى كتابه [الأصولية فى العالم العربى] : «وتنسم الأصولية الإسلامية المعاصرة بوجهها النضالى والسلمى بثلاث صفات عامة ، الانتشار : تعدد المراكز ، الإصرار .
الأصولية الإسلامية : هذا المصطلح وإن شاع مؤخراً فى الكتابات العربية عن الحركة الإسلامية ، فإنه غير أصيل ، بل جاء ترجمة للمصطلح الغربى (Fundamantalist) وما زال معناه - لذلك - مشوباً بالغموض ، وليس محل رضا من الإسلاميين الواعين ، لما يخف به من خلال مفاهيم غير إسلامية ، تلازم المصطلح الأجنبى .

وأسس الفكر الأصولى : يعتمد المنظرون الإسلاميون المعاصرون على القرآن الكريم وعلى وفرة من التفسيرات ، ومجموعات الأحاديث التى جُمعت على أيدى كتاب مشهورين ، كما تبدأ سلسلة الفكر الإسلامى بالكتاب - القرآن الكريم - والكتب الستة التى هى أهم مصادر السنة (البخارى ، ومسلم ، وأبو داود ، والترمذى ، وابن ماجه ، والنسائى) بالإضافة إلى أن هذا يعتمد على الاستشهاد بتفسير العديد من الأئمة التقليديين ، والقضاة وأرائهم .

المذهبية الأصولية : ينظر إلى الإسلام

أ - دين ودولة على أنه نظام شامل للوجود ، قابل للتطبيق عالمياً فى كل زمان ومكان ، وفصل الدين عن الدولة غير متصور فيه ، خلافاً للنصرانية ، الحكم من صلب الإسلام والقرآن والسنة وما بنى عليهما من إجماع وقياس صحيح ، هو مصدر الشريعة . والدولة هى التى تنفذ القانون [عبد القادر عودة - الإسلام وأوضاعنا السياسية القاهرة ، د . ت ص 55 ص 63] وراجع [حسن البنا - مذكرات الدعوة والداعية (د . ن 1951) ص 102 ، 103] .

ومن أجل صياغة مقنعة للموقف الأصولى ، انظر [ليونارد بندار (الثورة المذهبية فى الشرق الأوسط ، نيويورك ، جون ويلي 1964 ص 41 ، 42] .

ب - قرآن وسنة ، فأسس الإسلام هى :

كتاب الله ، أحاديث رسول الله ﷺ ، وأفعاله ، وأفعال الصحابة رضى الله عنهم ، والخلفاء الراشدون الأربعة ، والإسلام هو الحقيقة الكاملة ، وهو عبادة الله وحده والدعوة إلى الإسلام [كتاب ريتشارد ميتشيل «جماعة الإخوان المسلمين» لندن ط / جامعة اكسفورد عام 1969 ص 234 . وبشأن مذهب «الإخوان» انظر «محمود عبد الحلیم» [الإخوان المسلمون - الإسكندرية 1979 ص 40 ، 42] .

الأصولية الحركية : تنطبق المواصفات السلوكية السابقة على القطاع العام من المسلمين الأصوليين الذين لا يُظهرون حركية سياسية ما لم تكن هناك «فتنة» إثارة من الدولة أو المجتمع ككل . بينما تبقى الجماهير الأصولية ، فى الأحوال العادية سلبية سياسياً ، نجد الحركيين من بينهم يأخذون بأنماط سلوكية متميزة ضمن مجموعات منظمة بإحكام . وعلى كل حال ، فمن الصعب ، فى كثير من الحالات ، إن لم يكن مستحيلاً ، أن تفرق بين الأصوليين النضاليين والسليبيين .

مصر مهد الأصولية الإسلامية : كانت جماعة الإخوان المسلمين ، أكثر من أى منظمة أخرى ، مركز انطلاق الأصولية فى المحيط العربى وفى العالم الإسلامى ، وقد بقيت الجماعة حية أكثر من خمسين عاماً ، رغم الضربات المتوالية من الدولة والصراعات الداخلية ، والقوة الأساسية وراء بقاء الإخوان متأصلة فى الأساس الوطيد للعقيدة والثقافة الإسلاميتين حيث تكمن شخصية معظم المصريين ، ورغم أن أصل «الإخوان» مصرى ، إلا أن تأثيرها الروحى والسياسى كان واضحاً فى كل البلاد العربية تقريباً وفيما وراءها . والحق أنه

من المستحيل أن نفهم الأصولية الإسلامية السنية المعاصرة ومظاهرها العربية بدون فهم راسخ لأصول الإخوان ... وتطورها .

يقول البنا « وقفت نفسى منذ نشأت على غاية واحدة هى إرشاد الناس إلى الإسلام قولاً وعملاً » [رسالة المؤتمر الخامس ، الرسائل . د . ت ص 239 وهذا أمر مقرر فى كتابات الإسلاميين الجادين] . كل هذه التعريفات السابقة مصدرها كتاب [الأصولية فى العالم العربى ، تأليف ريتشارد هرير دكمجيان ، ترجمة وتعليق . عبد الوارث سعيد ، طبعة 3 / 1992 دار الوفاء Islam in revolution fundamentalism in the world R. Hrair dekmejian , state university of new york at binghamton . 1985 المؤلف : أستاذ العلوم السياسية ، جامعة نيويورك فى بنجهامتن ، وهو أيضاً محاضر فى شئون الشرق الأوسط فى معهد الخدمات الخارجية ، بوزارة الخارجية فى الولايات المتحدة [الصفحات 20 ، 21 ، 64 ، 74 ، 88 ، 119] .

(27) أما الأصولية اليهودية : فهى جماعة متشددة تعتمد أساساً على مذهب عقدى دينى ، يقوم على نصوص توراتية ، حسب زعمهم ، ومعلوم أن التوراة قد حُرِّفَتْ وبدلت منذ زمن بعيد ، وأنه تم تفسيرها - المشناه - ووضع مناهجها وتعاليمها على شرح تلك التوراة - الجمارا - وكل من المشناه والجمارا - تكون [التلمود] الذى يعتقد اليهود فيه أكثر من اعتقادهم فى التوراة ، لأن هذه هى تعاليم الحاخامات الذين وضعوا تلك الأصول لهم ، ورفعوهم فوق مستوى البشر - اختاروا لهم كلمة - شعب الله المختار - التى لم ترد فى التوراة أصلاً ، وإنما هى من وضع المؤصلين لهم تلك الأصولية الحاخامات . وبناء على ذلك فهى أصولية متشددة ، باطلة لا تقوم على أصل دينى حتى تنسب إلى كلمة الأصولية . * يقول « فرويد » فى كتابه « موسى والتوحيد » الذى كتبه عام 1939 . يقول : [إن اليهود حرفوا الأحداث وعدلوا فيها بعد أن ثاروا على موسى وقتلوه بسبب الديانة التى نقلها إليهم] . [كتاب التلمود ، شريعة بنى إسرائيل حقائق ... ووقائع .. ترجمة وإعداد محمد صبرى ، د . ت ، الناشر مكتبة المدبولى - القاهرة ص 35] .

* « يا أورشليم ... يا أورشليم ... يا قتلته الأنبياء ، وراجمة المرسلين إليها ، كم مرة أردت أن أجمع أولادك ، كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ، ولم تريدوا ... هو ذا بيتكم يترك لكم خراباً » [إنجيل متى 23 / 37 ، 38 أورشليم هى القدس ، والمقصود بالنداء هنا هم ... بنو إسرائيل .. اليهود . * هذه هى الأصولية اليهودية [إن السياسة لا تتفق مع الأخلاق فى شيء ، والحاكم المقيد بالإخلاق ليس سياسياً بارعاً ، وهو لذلك غير راسخ على عرشه ، لابد لطالب الحكم من اللجوء إلى المكر ... والرياء ، فإن السمات الإنسانية العظيمة تصير رذائل فى السياسة] حكماء صهيون . البروتوكول الأول . ترجمة محمد خليفة التونسي . دار التراث .

الفصل الثانى

نظام عالمى جديد ⁽¹⁾.. أم فوضى دولية جديدة؟

□ المبحث الأول : ديانة السوق التوحيدية ⁽²⁾ .

□ المبحث الثانى : حرب دينية ضد السوق

التوحيدية ⁽³⁾ .

□ المبحث الثالث : الخروج من الأزمة ⁽⁴⁾ .

- (1) مجلة المشاهد السياسى ، السنة الثالثة ، العدد 60 ، بتاريخ 10:4 مايو لندن ، سنة 1997 .
- (2) مجلة المشاهد السياسى ، السنة الثالثة ، العدد 61 ، بتاريخ 17:11 مايو لندن ، سنة 1997 .
- (3) مجلة المشاهد السياسى ، السنة الثالثة ، العدد 62 ، بتاريخ 24:18 مايو لندن ، سنة 1997 .
- (4) مجلة المشاهد السياسى ، السنة الثالثة ، العدد 63 ، بتاريخ 31:25 مايو لندن ، سنة 1997 .

نظام عالمى جديد ... أم فوضى دولية جديدة ؟

تمهيد :

هذه المقالة بأكملها ، مقدمة لهذا الفصل بمباحثه الثلاثة ، حيث إن المؤلف (جارودى) تكلم بما فيه الكفاية عن المغزى الحقيقى للنظام الجديد ، والذى قدم فيه للسوق التوحيدية والتي اعتبرها ديناً يعبد من دون الله ، ثم يُبين أن هناك أزمات متوقعة لها آثار بعيدة المدى فى حياة المجتمعات الإنسانية ، ثم وصف وشخص كيفية الخروج من هذه الأزمة ، وذلك بعد أن استعرض خصائص الموقف الأوروبى ، ورأى أن أوربا على شفير الهاوية ، ويبين جارودى أن المخرج من المأزق يحتاج إلى تضافر جهود المجتمع الدولى ، لذلك بدأ حديثه بهذا السؤال العجيب « نظام عالمى جديد ... أم فوضى دولية جديدة ؟ » .

« النظام العالمى الجديد ⁽¹⁾ »

* شهد العالم منذ أواخر عقد الثمانينات وأوائل عقد التسعينات مجموعة من التحولات الدولية المهمة فى شرق الكرة الأرضية وغربها ، أسفرت فى النهاية عن ظهور هيكلية ⁽²⁾ دولية جديدة ، مغايرة لتلك التى سادت مرحلة الحرب الباردة ، حيث كان النظام الدولى آنذاك يتسم بهيكلية القطبية الثنائية والصراع بين الكتلة الشرقية بزعامة (الاتحاد السوفيتى) السابق ، والكتلة الغربية بزعامة (الولايات المتحدة الأمريكية) .

توصيف النظام العالمى الجديد :

* فى خضم هذه التحولات ظهر العديد ⁽³⁾ من الكتابات التى تقدم توصيفاً لهذا الواقع الدولى الجديد ، فبعض المحللين يصف الهيكلية بأنها أحادية القطبية ، وآخرون يصفونها بالقطبية المتعددة ، وهناك من يصفها بأنها قطبية متعددة قيد التشكيل .

* ومنهم الذى يُنكر أصلاً وجود نظام عالمى جديد ، ويصف الهيكلية بأنها حالة من الفوضى الدولية .

وتسائل المؤلف :

* ما الذى حدث فى هذه البلدان ؟ العراق ، لبنان ، الصومال ، فلسطين والبوسنة ؟ وبالأمس باناما ، غرناطة ونيكاراغوا ؟ وغداً ما الذى سيحدث فى إيران ، ليبيا ، وكوبا ؟

إن انفجار الاتحاد السوفياتى وتفككه أدى إلى تغيير علاقات القوة التى تأسست منذ انسحاق هتلر واندحاره وظهور عالم متعدد الأقطاب .

« والسؤال الذى نطرحه الآن ؟ هل يوجد رابط منطقى ينظم هذه الأمور ويربط بعضها ببعض ويساعدنا على فهم المرحلة الحالية التى نعيشها ؟ أو بالأحرى فهم الرابط الداخلى العميق الذى يجمع بين المشكلات الدولية ، وخصوصاً ما يتعلق بالتدخلات العسكرية ودور صندوق النقد الدولى وأوروبا فى ظل « ماستريخت » وإعادة بناء الرأسمالية فى أوروبا الشرقية ، وكذلك الأصوليات الإسلامية واليهودية والمسيحية ؟ على النقيض من « الوسائل الإعلامية » وخصوصاً التلفزيون الذى يخدر الرأى العام من خلال عرض مسلسل الكوارث ، وتدفق الأحداث « المفبركة مسبقاً » والمنشرة إعلامياً من تيميسورا إلى مقديشو ، ومن سرايفو إلى بغداد ، ينبغى علينا ، لاكتشاف معنى ما يحدث أن نضعها فى مسارها التاريخى خلال القرون الخمسة الأخيرة التى هى تاريخ هيمنة الغرب المتزايدة على العالم بأكمله .

إذ لم تكد تضى ثلاثة قرون على غزو أمريكا⁽⁴⁾ ونهب ذهبها اللذين أعطيا أوروبا زخم التصنيع الذى لا مثيل له ، إلا وبدأت مغايرة الدولة التى أصبحت اليوم أكبر قوة فى العالم ، وهى « الولايات المتحدة » .

* فتاريخ الولايات المتحدة ، كما نعرف قام على حدثين بارزين : إبادة الهنود الحمر⁽⁵⁾ من أجل الاستيلاء على أرضهم ، واستعباد السود (الذين اغتصبوهم من مواطنهم أفريقيا) من أجل تشغيلهم فى الزراعة والمناجم .

وبأساليب متشابهة تقاسمت الحكومات الأوروبية بقية العالم : فسيطر الانكليز على العالم الممتد من الهند إلى إفريقيا الشرقية والشرق الأوسط ، وسيطرت فرنسا على إفريقيا الغربية والهند الصينية والمغرب حتى المحيط الأطلسى ، فيما سيطر القيصرية على سيبيريا ، وآسيا الوسطى ، والقوقاز والقرم ، وسيطرت بلجيكا على الكونغو ، وسيطرت هولندا على أندونيسيا .

وبعد قيام حربين عالميتين طاحتين ، قامتا أصلاً من أجل إعادة اقتسام العالم بين الذين كانوا يشكلون امبراطوريات جديدة ، وبين الطامحين إلى أن يكونوا هم ، أيضاً

امبراطوريات⁽⁶⁾ ، أعيد رسم خرائط العالم من جديد⁽⁶⁾ ، هكذا كانت أوروبا جراحاً نازفة منذ عام 1945 سيان فيها من يكون المنتصر ومن يكون المهزوم ، فقد خسرت أوروبا سيادتها لصالح الولايات المتحدة التى أفادت من هاتين الحربين فوائد لا حد لها منذ نهاية الحرب العالمية الثانية إلى أن أصبحت سيدة العالم بلا منازع ، سواء على الصعيد الاقتصادى أو السياسى أو العسكرى ، وذلك منذ عام 1990 مع انهيار الاتحاد السوفياتى .

وليس « النظام العالمى الجديد »⁽⁷⁾ الذى حلم بتحقيقه القادة الأمريكيون إلا اسماً جديداً لهيمنة الولايات المتحدة العالمية وهكذا أصبح حق التدخل فى شؤون الآخرين هو الاسم الجديد للاستعمار .

فبعد أن تخلصت الولايات المتحدة من منافسها الاتحاد السوفياتى⁽⁷⁾ (الذى كان يعوق تقدمه زعمائه وقادته الروس من ناحية ، والتيارات القومية من ناحية ثانية) . أصبحت الأمم المتحدة وزبائنهم والمدنيون لها ، عبارة عن منبر لفرض الإرادة الأمريكية ووسيلة لخدمة مصالحها وغطاء لتمرير مخططاتها .

هكذا أيضاً تنهياً للآلة العسكرية الأمريكية الضخمة التى تأسست فى زمن الصراع بين الشرق والغرب ، أن تقوم بمهام وأدوار أخرى .

لم تتمكن أوروبا من أن تصبح منافساً للولايات المتحدة ، بل تحولت إلى مجرد خادم ، واتفاقية « ماستريخت » أعلنت بوضوح فى ثلاث مناسبات بأنها تعمل لتكون بمثابة « الدعامة الأوروبية للحلف الأطلسى » إن هذه التبعية السياسية والمادية والأخلاقية لأوروبا أدخلت العالم فى مرحلة جديدة من الاستعمار . كما تم إخراج قوة الشرق وأوروبا من مسرح الأحداث لتصبح قوة تابعة فقط لا غير . وخلت الساحة لاستعمار من نمط جديد ، استعمار ليست له مواصفات الامبرياليات الأوروبية المتصارعة التى صارت ، بل استعمار مركزى توتاليتارى يشمل العالم كله بقيادة أميركا وحدها .

إن كشف حساب القرون الخمسة الماضية الاستعمارية بالغ المأساوية ، فحتى عام 1993 كانت أربعة أخماس الموارد الطبيعية فى العالم يسيطر عليها ويستهلكها خمس العالم فقط . ولا يزال هذا الإجحاف فى توزيع ثروات العالم يتفاقم ، فقد ورد فى «برنامج الأمم المتحدة لآفاق التطور » أن الفروقات بين الدول الشمالية الغنية ، ودول الجنوب الفقيرة ، تضاعفت فى غضون الثلاثين عاماً الأخيرة ، وتقلص المدخول القومى الخام لإفريقيا من 1.09 فى المئة إلى 1.02 فى المئة فى غضون عشرين عاماً .

إن ما أطلق عليه بوش بـ « النظام العالمى الجديد »⁽⁸⁾ ما هو إلا عملية توسيع وتقوية للعلاقات الاستعمارية بين المركز الوحيد للعالم وبين بقية العالم ، وهذه العلاقات الاستعمارية تعنى : أن الاستقلال العسكرى والسياس أعطى للمهيمنين فرصة ليجعلوا من مستعمراتهم ذليلاً ملحقاً بهذا المركز الوحيد ، وكذلك لفرض قواعد التبادلات والتعريفات الجمركية الأحادية الجانب لصالح الجهة المهيمنة .

هذا هو الهدف الذى أعلنه القادة الأمريكيون مرات عديدة ، خصوصاً إبان السنوات الأخيرة (منذ انهيار الاتحاد السوفياتى) وهو تأكيد زعامة الولايات المتحدة وفرض سيادتها العالمية .

ولنطرح السؤال التالى : ما هى الوسائل التى استخدمتها الولايات المتحدة فى ذلك؟

إنها متعددة بلا شك ، قبل كل شئ هناك الطرق السابقة التى تم تجربتها فى أمريكا اللاتينية منذ وقت طويل ، أى منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، وكذلك منذ أن أعلن الرئيس جون كيندى برنامج « التحالف من أجل التقدم » وحتى مبادرة بوش الداعية إلى تأسيس السوق الأحادية من آلاسكا فى أقصى المتجمد الشمالى إلى أقصى جنوب القارة الأمريكية .

كل ذلك يقوم على ميكائيزم بسيط ، منح قروض واستثمارات بل هبات إلى دول أمريكا اللاتينية من أجل « مساعدتها » على التصنيع ، أما الحقيقة فهى إتاحة الفرص أمام الشركات المتعددة الجنسية فى الشمال لتنمية أرباحها وزيادتها من خلال تركيزها على دول تكون اليد العاملة فيها رخيصة ، وكل أسس البناء التحتى تكون مدفوعة التكاليف من قبل الحكومات المستقلة . وفى الوقت ذاته ، تكون أسعار المواد الأولية المطلوبة من هذه الدول منخفضة ، وهذا ما يجعل التبادلات التجارية بين الولايات المتحدة والدول الأخرى غير متساوية أكثر فأكثر بمرور الزمن .

حاولنا - والكلام لجارودى - أن نستخلص من خلال تسلسل السياق الرابط الذى يصل بين المشكلات العالمية الأساسية وفى نهاية القرن العشرين ، من خلال الرجوع إلى أسبابها الأساسية العميقة ، على الرغم من تنوع مظاهر السيادة العالمية للولايات المتحدة ، و« دين السوق التوحيدى » التى تريد فرضها على العالم بأكمله ، وذلك من خلال :

* وصف اقتصاد السوق من دون حدود باعتبارها الناظم الوحيد للعلاقات الاجتماعية بأنه حرية .

* وصف التنمية الثابتة للقوى التقنية والعلمية فى السيطرة على الطبيعة والبشر بأنها تقدم .

* وصف الزيادة العمياء لكمية الإنتاج والاستهلاك بأنها تطور . فى الوقت نفسه يتفاقم انعدام المساواة والتهميش والعنف السائد .

* ليست هناك حرية وديمقراطية إلا بالمشاركة فى القرارات التى تسهم فى تقرير كل إنسان لمصيره .

* ليس ثمة تقدم إلا حين يحل محل قانون الغاب وتنافس إرادات القوة ، وسعى كل فرد وكل جماعة وكل أمة إلى مصلحته الخاصة ، تعاون عالمى حقيقى ، بحيث يتمتع كل عضو بوعى يكون مسؤولاً شخصياً عن مصير الآخرين .

* ليس هناك من تطور إلا تطور الإنسان ، وعلى عكس النظام الذى يؤدى إلى تراكم الغنى فى مركز واحد فى العالم ، يقابله فى الجهة الثانية إفقار مادی وثقافى متعدد الأوجه، لا يكون العالم « متطوراً » إلا إذا أسهم كل واحد فى خلق الشروط الاقتصادية والسياسية والثقافية والروحية ليمتع كل عضو فى المجتمع العالمى بفرص متساوية لتطوير جميع إمكانات الإبداع الكامنة فى أعماقه .

إن « دين السوق التوحيدية » يقتضى تضحيات إنسانية أكثر من أى ديانة ماضية . هكذا تنضح صحة ما قاله الأب (لاکوردیر) فى القرن التاسع عشر : « فى العلاقة بين القوى والضعيف لا تكون الحرية إلا سبباً فى الظلم والاضطهاد » .

عندما أعلن (بوش) : ينبغى أن نخلق منطقة حرة للسوق من آلاسكا فى أقصى المحيط المتجمد الشمالى إلى أقصى جنوب القارة الأمريكية . مضيفاً إليه وزير خارجيته (جيمس بيكر) : « ينبغى أن نخلق منطقة حرة للسوق من « فانكوفر » ، حتى « فلادفوستك » ، فإن الموضوع الذى انفتح عليه النقاش الكبير فى العصر الحالى هو كالتالى : « دعونا نعلق الإنسانية على صليب⁽⁹⁾ من ذهب » .

الإحالات المرجعية والهوامش الوثائقية

- (1) مجلة البيان تصدر عن المنتدى الإسلامى بلندن - السنة 12 العدد 116 أغسطس 1997 ص 64 .
- (2) كيف نفكر استراتيجياً . لواء أ . ح . د . فوزى محمد طایل ص 242 معالم النظام العالمى الجديد ، ص 249 ، واقع النظام العالمى الجديد ، ص 300 آليات وأساليب إقامة النظام العالمى الجديد ، ص 328 النظام الشرق أوسطى ، ص 360 مركزية السيطرة على الاقتصاد العالمى ، ص 393 هدم فكرة الدولة ، ص 398 هدم نظام الأسرة .
- (3) النظام العالمى الجديد . د . حسن نافعة وآخرون ، مركز البحوث والدراسات السياسية بجامعة القاهرة .
 - * على مشارف القرن الحادى والعشرين . د . توفيق القصير وآخرون .
 - * هموم إسلامية فى نظام عالمى جديد . د . محمد عبد القادر أحمد .
 - * المسلمون والنظام العالمى الجديد . د . محمد التكريتى وآخرون .
- (4) أمريكا : نسبة إلى أمريكوس فيسبونشى المولود فى فلورنسا (شبه الجزيرة الإيطالية ، الذى كان موجوداً مع المغامرين الأوربيين الذين اغتصبوا هاتين القارتين تحت شعار الاكتشافات الجغرافية .
 - * بقيت أمريكا مفتوحة الحدود حتى نهاية القرن التاسع عشر ، يُسمح فيها للمغامرين القادمين كل أعمال السلب والنهب وجميع مظاهر التخريب : تخريب الغابات وقطعان البقر الوحشى إلى جنباب البحث المدمر عن مناجم الذهب والفضة .
 - * العنف والدموية والنفاق الدينى هى السمة الدائمة لتاريخ الولايات المتحدة منذ نشأتها .
 - * برغم التشدد بحقوق الإنسان والمواطن ، بعد إعلان استقلال الولايات المتحدة عام 1776 م فإن القانون الأمريكى أبقى عبودية السوق لمدة قرن من الزمن ، وانتشر التمييز العنصرى فى المجتمع ، وقامت الجمعيات السرية من البيض لإرهاب السود .
- (5) بررت القوانين الأمريكية إبادة الهنود الحمر والاستيلاء على أراضيهم وقد كانوا « عشرة ملايين » إنسان . . . أبدو بين عامى 1800 ، 1835 أو رُحِّلوا . [مقالة امبراطورية الشيطان د . أحمد محمد طحان تعقيب على كتاب جارودى - أمريكا طليعة الانحطاط - كيف نجابه القرن الحادى والعشرين ، مجلة العالم - شهرية تصدر عن المركز الوطنى للدراسات الاستراتيجية - السنة 2 العدد 8 أغسطس عام 1999 ص 12] .
- (6) اعتبر جارودى أن الخليج العربى هو الحد النطاقى الامبراطورى لأمريكا ، باعتبار أن الخليج يملك أكبر ثروة بترولية استراتيجية لضمان استمرار النمو الصناعى الغربى ، وقد سحق العراق لضمان إبقاء هذه الثروات ، ضمن النطاق الامبراطورى إلى أمد بعيد ، ولضمان سيطرة إسرائيل على المنطقة باعتبارها على حد تعبير هيرتزل : « استحكام مُحصَّن أمامى للحضارة الغربية ضد برايرة الشرق » (الدولة اليهودية - كتاب لثيودور هيرتزل عام 1926 ص 95) . وذلك بغض النظر عن الإرهاب الدائم ضد العرب ، والذى تمثل بقتل أكثر من 20 ألف لبنانى مدنى فى مغامرة غزو عام 1982 ، والذى يعتبر نموذجاً للممارسات الإرهابية الأمريكية - الصهيونية . وكذلك قصف العراق الذى أدى إلى موت ربع مليون طفل بسبب نقص الغذاء والدواء ووسائل الرعاية الصحية . [مصدر سابق ص 11 ، ص 12 امبراطورية الشيطان . مجلة العالم] .
- (7) لقد كتب اللواء فوزى محمد طایل - رحمه الله تعالى - فى كتابه « كيف نفكر استراتيجياً » الفصل الثالث

تحت عنوان [واقع النظام العالمى الجديد - قوتان عظيميان ، وحرب باردة] ص 249 فقال :

* لقد خرجت الأيدلوجيتان : « الليبرالية ، و « الماركسية » من رحم واحد هى رحم الحضارة « الصهيونية الصليبية » ، لذا فقد كان هناك قدر مشترك من التوافق بينهما يتمثل فى نقل مسرح الصراع إلى ما صار يعرف « بالعالم الثالث » أو « الجنوب » أو « الدول النامية » [وكان هذا الإعلان بمثابة الأساس الذى قام عليه حلف شمال الأطلسى NATO الذى وُقِعَ ميثاقه فى واشنطن فى أبريل 1999 وأصبح نافذاً فى 14 أغسطس ثم يقول - رحمه الله - : رغم العداء الأيديولوجى بين المعسكرين ، فقد كان الغرب لا يمانع من انتشار الماركسية الصريحة أو المكنة كالأشراكية الأفريقية وغيرها من الصور التى عرفتتها مجتمعات إسلامية أخرى ، بل ويتعاون الغرب مع تلكم النظم كبديل يفضل على ظهور صحوة أو نهضة إسلامية . . . وهو تدبير مآكر اتضحت أبعاده فى عقد التسعينات من القرن العشرين .

(8) فرض قواعد التبادلات والتعريفات الجمركية ، وهى ما تسمى باتفاقية (الجات) GATT هذه الاتفاقية التى وقعت عام 1997 بهدف « تحرير التجارة العالمية ، من خلال جولات (دورات) تفاوض تحت علم الأمم المتحدة سميت بجولة « أورجواى » Uruguay عاصمة (بنما) ، أنجبت ما سُمي « بمنظمة التجارة العالمية » WOC فقد أعلن فى مؤتمر « مراكش » بالمغرب الذى انتهى فى 15 أبريل 1994 عن قيامها اعتباراً من الأول من يناير 1995 من أجل الإشراف على سير التجارة العالمية ، وفرض المنازعات التجارية بين دول العالم وكان هذا هو الهدف النهائى لاتفاقية « الجات » GATT .

* وقد مارست الولايات المتحدة الأمريكية مختلف صنوف الضغط السياسى على كل الأطراف ، ومنها « دول الاتحاد الأوربى » للموافقة على إقامة هذه المنظمة ، باعتبار أن الولايات المتحدة الأمريكية تُعد فى الوقت الحالى - على حد تعبير رئيسها السابق « جورج بوش » القوة العظمى التصديرية .

The exporting Superpower .

ومن ثم سيمكنها الهيمنة على قرارات المنظمة المذكورة ، ومن ثم الهيمنة المركزية على الاقتصاد العالمى .

[كيف نفكر استراتيجياً ، ص 373 مصدر سابق] .

(9) الصليب : إن عملية الصليب ، والصليب من عمل اليهود الذين استطاعوا أن يدخلوا هذا المعتقد على النصرى وذلك عن طريق « بولس » الذى سائر جميع الملل ؛ ليؤدى هدفه الشيطانى ؛ لإضلال النصرى وهذا الأمر سنجده فى الكتاب المقدس .

* بولس يهودى [سفر أعمال الرسل إصحاح 22 / 3] .

* بولس رومانى [سفر أعمال الرسل إصحاح 22 / 26 : 29] .

* بولس فريسى [سفر أعمال الرسل إصحاح 23 / 7 : 9] .

* بولس منافق [رسالة بولس إلى أهل كورنثوس الأولى إصحاح 9 / 19 : 23] .

* وهكذا استطاع بولس أن يسائر جميع الملل - الأحوال - ليصل إلى هدفه حتى يكسب جميع الأهواء !! وكانت هذه هى بداية الضلال . . . والزيف . . . والتغير .

[النقاط الفريدة فى أصل العقيدة ، عبد الراضى أمين - بيت الحكمة للنشر والتوزيع طبعة أولى عام 1992] .

المبحث الأول

[ديانة السوق التوحيدية]⁽¹⁾

مدخل :

إن هذا الموضوع هو بمثابة الفصل الثانى من كتابه « الولايات المتحدة . . . طليعة الانحطاط » ص 47 : ص 69 . فنجده يقول -جارودى - : « كل مظاهر هذا الانحطاط نتجت عن منطق « اقتصاد السوق » والذي صارت مرحلته الأولى دينًا سائدًا ، ولكنه دين لا يجرؤ على إعلان اسمه : إنه دين وحدانية السوق⁽²⁾ .

ويقول عن وحدانية السوق : لا يتحول السوق إلى دين إلا عندما يغدوا الناظم الوحيد للعلاقات الاجتماعية أو الشخصية أو الوطنية ، والمصدر الوحيد للسلطة والمراتب⁽³⁾ .

* بهذا التعريف ينتقل « جارودى » فى طرح فلسفته من التنظير الأمريكى إلى الفعل الأمريكى ، وبموجبه تصبح الحياة البشرية على شفير الهاوية أو نهاية التاريخ كما رآها (فوكوياما) فى كتابه « نهاية التاريخ » .

فى هذا السوق أو العالم تتحول الأرض إلى بحر كبير حيث تتغذى الأسماك الكبيرة على الأسماك الصغيرة ، وفيه تصبح المصالح الشخصية فوق كل الاعتبارات ، وتتحكم هذه المصالح بالأسعار والنوعية والعمال والقوانين دون التفات للحق ، أو العدل ، أو المصالح العليا للأمة ، أو حقوق الأجيال القادمة أو الحضارة . . . كل ذلك دون تفكير أو اعتبار للغايات النهائية للحياة ومعناها⁽⁴⁾ .

* ديانة السوق التوحيدية

يقول جارودى :

« السوق ليست سوى مكان تتم فيه التبادلات التجارية المعاصرة التى يتعامل بها أى مجتمع قائم على مبدأ تقسيم العمل . وقد وجدت المحترفات والورش وعنابر تقطيع الصوان منذ ما قبل التاريخ ، وهى تشهد على أن الأسواق لم تكن قائمة على الاستخدام الشخصى ، بل تقوم على تبادلات المقايضة مقابل الوسائل المعيشية الأخرى ، وكان المزارعون يحملون البيض والدجاج والخضار إلى أسواق القرية

التقليدية من أجل بيعها ومبادلتها بالأدوات أو الملابس أو لدفع أجور الخدمات التى يقدمها البيطار أو الحلاق .

وهناك اختلاف أولى فى الانتقال من نمط إلى نمط آخر من السوق ، كوجود الوسيط أو وجود العملة التى كانت تستخدم أصلاً كأداة للقياس والوزن ، لتجلب إلى المسيطر المشترك على هذه السوق منتجات العمل المختلفة على الصعيدين النوعى والكمى . ولكن هذه السوق ظلت وسيلة من وسائل التواصل والتبادل .

وتبقى الأهداف الأخيرة للحياة لتحدد خارج هذه السوق المؤسسة على هرمية الطبقات الاجتماعية والأخلاقيات الضمنية أو الواضحة ، ولا تشترك الأديان بصفاتها وسماتها مع هذه السوق لا فى الأصل ولا فى الأساس أو التكوين .

ولم تتحول السوق إلى ديانة ، إلا عندما أصبحت الناظم الوحيد للعلاقات الاجتماعية والشخصية والوطنية ، التى أصبحت المصدر الوحيد للسلطة والعلاقات الهرمية فى المجتمع .

ولا يعنى ذلك ، فى الوقت الحاضر سرد تاريخ هذه التحول أو الانتقال بمصطلح أن جميع القيم الإنسانية أصبحت قيمًا تجارية ، ويندرج ضمنها الفكر والفن والوعى . نحن نسعى لاستبيان النتائج الاقتصادية والسياسية والروحية الكامنة فى الوجه الأخير لهذه الحلقة ، وكذلك لرسم بعض الخطوط كى نتحرر من النظرة الاختزالية ورؤية القصور الإنسانى الذى تقوقع فيه بعض المنظرين الأمريكيين فى البنتاغون وأتباعهم عبر العالم ، الذين يستشرفون المستقبل بموجب عنوان كتاب فوكوياما «نهاية التاريخ»⁽⁵⁾ .

ولو وصل هذا الانسياق إلى نهايته ، فإن نهاية الإنسان هى التى ستميز التاريخ ، وترك عليه بصماتها : فقد تجاوز المشروع المضاد للتخلى عن القرارات الاقتصادية ، التى ظلت بعيدة عن التنفيذ والتى اعتبرت قوانين طبيعية ، وفى سياق الوتيرة نفسها، فإن الغريزية الحيوانية العفوية التى تهيمن لوحدها فى أعماق البحار ، حيث الأسماك الكبيرة تتغذى بالتهام الأسماك الأصغر منها ، بدأت تنطبق على الأرض ، حيث تتم عمليات التبيد البيولوجى للميارات البذور أو المنى من أجل تشكيل وخلق جنين واحد عن طريق الاستكشاف بالمصادفة .

وفى حقيقة الأمر ، إن ما يميز « ديانة السوق التوحيدية » هذه أى الليبرالية⁽⁶⁾ ، التوتاليتارية ، وهذا الازدراء لحرية الإنسان هو فصم الإنسان عن بعده الخاص حتى لا يصبح نتيجة قانون الطبيعة ، بل على العكس ، أن يكون قادرًا على إنجاز مشاريع لا

تصبح مجرد امتداد بسيط للماضى ولغرائزه الحيوانية ، لتصب فى مصلحته الفردية .
ولعلنا نطرح التساؤل التالى : منذ متى بدأ انفصال الإنسان عن وظائفه ؟
بدأ هذا التحول الأساسى تاريخياً فى الفترة ما بين استيلاء الأتراك على
القسطنطينية⁽⁷⁾ عام 1453 . وبين غزو « المغامرين الأسبان » لأمريكا ابتداء من عام
1492 .

كان « الجوع لامتلاك الذهب » هو المحرك الأساسى لهذه المغامرة الكبيرة ، فقد
كان كاسراً فى أهدافه ، ومفترساً فى وسائله ، لدرجة أن الهنود الأمريكيين ظنوا
أن الذهب هو إله المسيحيين كما يذكرنا الأب (غوتيريز) فى كتابه الجميل « الإله
وذهب الهنود الغربيين » .

وقد كان الذهب يمثل ، فى الحقيقة ، جميع سلطات الإله .
لقد استند (شارك كينث) على أكبر بنوك ألمانيا ، بنك أسرة (فوغر) ، فى
إفساد الناحيين الكبار ضد منافسيه الاثنين (فرانسوا الأول) و (هنرى الثامن) ،
وبذلك أصبح امبراطوراً وراح يحلم ببناء امبراطورية العالم . ولأول مرة منحت
النقود ضخامة هذه السلطة مباشرة .

ولكن ذهب أميركا لم يخدم أسبانيا التى ظل تركيبها إقطاعياً . وتجمعت رؤوس
الأموال عند الرواد الأول : فى البنديقية سادت البحر الإنكليز ، وبعد تحطيم الأسطول
الذى لا يقهر لأسبانيا عام 1588 .

أصبح الإنكليز سادة العالم من خلال هيمنتهم على الشركات الكبرى مثل شركة
الهند الشرقية وشركة الهند الغربية .

هكذا تجمعت الظروف الضرورية كافة لفتح دورة جديدة فى حياة الإنسانية :
خمسة قرون من الفتوحات الغربية منذ ما درج على تسميته بعصر « النهضة » أى منذ
ولادة الرأسمالية والاستعمار لغاية « اقتصاد السوق » الذى تم تحقيقه الآن .

ومن عصر النهضة التى نتعامل معها بشكل اعتيادى سواء فى المصطلحات الجمالية
أو « الإنسانية » ، من حيث انبعاث الثقافة اليونانية الرومانية غالباً ما نستحضر فى
أذهاننا مثالية أفلاطون أكثر مما نستحضر واقعية أرسطو ، الذى يستخلص
الزبدة الأساسية للمجتمع الأثنى كما فى مسرحيته « بلوتوس » الإله الأعمى
والثروة : « أنت يا بلوتوس » من بين أقوى الآلهة ، بفضل من يهيمن زيوس على
جميع الآلهة ؟ .

بفضل الأموال تتحكم تبعية الثروات ، فى كل شىء ، انظر إلى الخطباء السياسيين

فى المدن ، كيف اغتنوا مرة واحدة مع آخر فرد من الجمهور ، وهكذا أصبحوا ظالمين ومتآمرين ضد الديمقراطية .

وقد اعترف الإله بلوتوس بنفسه : « عندما أصبحوا أغنياء لم يعد لإظهار خبثهم من حدود » .

كانت تلك هى الروحية أو بالأحرى غياب الروح ، بما تقدمه لنا من المدارس تحت تسميات مثل « أم الديمقراطية » .

فإننا ننسى أن نتذكر بأنه فى أثينا ، وفى زمن بيركليس ، كان يوجد هناك 20 ألف مواطن حر مقابل 110 آلاف من العبيد بلا حقوق ، والاسم الحقيقى لذلك إنما هو « الأوليغارشية » القائمة على الرق .

لم تتوقف هذه الكذبة حول الديمقراطية عن الذبوع « إن إعلان استقلال الولايات المتحدة ناشد المساواة بين الجميع ، ولكنه فى غضون قرن ، تحول مفهوم العبودية إلى التمييز العنصرى فى الوقت الحاضر ، ولا تزال الديمقراطية حقاً يمارسه البيض بينما يُحرّم على السود ، ولقد نادى الإعلان الفرنسى لحقوق الإنسان والمواطنة بأن « جميع الناس يولدون أحراراً ومتساوين فى الحقوق » لكن الدستور الضريبى لم يكن إلا بمثابة تمهيد لإقصاء ثلاثة أرباع الفرنسيين من حق التصويت وتسعة أعشار من حقوقهم فى أن يكونوا منتخبين . إذاً أصبحت الديمقراطية للأغنياء وليس للفقراء⁽⁸⁾ .

ولا يزال التزييف ذاته متواصلاً : القانون هو ذاته بالنسبة إلى الجميع ، يمنع العاقل عن العمل وللملياردير أن يسرق الخبز ، لكنه يسمح لكل منهما أن يؤسس جريدة أو يفتح مصرفاً . هكذا تحترم مساواة الحقوق .

كما تعبر الديمقراطية أيضاً عن تعددية الأحزاب ، ولكن أى اختصاصى بإمكانه أن يقول لنا : ما هو جوهر الاختلاف بين الحزب الديمقراطى* والحزب الجمهورى فى الولايات المتحدة ؟ ألا يعبر ذلك عن انشطار داخل الحزب الواحد للمال .

إن هذه السلطة الضخمة للمال تمارس على جميع الأصعدة . كان بمقدور « والبول » أن يقول فى مجلس العموم فى إنكلترا فى فترة تأسيس عصر النهضة : « اعرف كم يساوى وعى كل عضو من الأعضاء العتيدين لهذا المجلس » .

ومن ولادة النظام الذى يباع فيه كل شئ ويشترى . يمكننا حتى اختزال فترة الإقامة فى (المطهر) ما بين (الجحيم) و (الفردوس) من خلال دفع النقود ، الأمر الذى أثار حفيظة لوتر .

إن العمالقة وحدهم ، استكشفوا الطبيعة الفاسدة للعالم التى تقتصر فيه كل القيم على قيم السوق ، ومن هنا ولدت « ديانة السوق التوحيدية » .
 (ودون كيشوت) يصوغ القانون على الشكل التالى :
 « أنت تساوى ما تملك وتملك ما تساوى » .
 « الأساس التفضيلى للعالم هو المال » .
 « المصلحة الشخصية قادرة على أن تفعل كل شئ » .
 « لا يوجد موظف شريف لدرجة لا يمكن شراؤه بالبراطيل والرشاوى » .
 ويكرر شكسبير ذلك فى مسرحيته (تيمون الاثينى) : « هذا القليل من الذهب يكفى لأن يحول الأبيض إلى أسود ، والقبيح إلى جميل والظلم إلى عدالة ، والساقط إلى نبيل ، هذه الأموال الصفراء تنير وتهشم بذور الدين ، وتبارك الملعون ، وتعطى للصوم مكانة وتمنحهم الألقاب والتكريم والثناء على مقاعد أعضاء مجلس الشيوخ .
 الذهب هذا الغبار المكروه ، العاهرة بالنسبة إلى كل البشرية » .
 (سرفاننس) و (شكسبير) هما أكبر شاهدين على ولادة عالمنا ، إنهما عاشا بداية « الحفلة » التى أسست « قواعد اللعبة » .
 واليوم مع بيكت فى « انتظار غودو » نحن نلعب فى مسرحيته « نهاية الحفلة » .

الإحالات المرجعية والهوامش الوثائقية

- (1) هذه العنوان هو المقالة الثانية التى نشرتها مجلة المشاهد السياسى السنة الثالثة العدد 61 ، لندن 17:11 مايو 1997 .
- (2) نلاحظ أن المؤلف يستخدم مصطلح عادة ليصف الأديان الموحدة أى المؤمنة بالله (بإلاه) واحد وهو «الوحدانية » بإضافته المصطلح إلى السوق ، فإنه يريد القول ليس فقط أن السوق واحد وإنما أيضاً أن السوق صار مؤلهاً . بدلاً من (وحدانية الله) نجد دين وحدانية السوق [الولايات المتحدة طليعة الانحطاط ص 47] .
- (3) مصدر سابق ص 48 .
- (4) امبراطورية الشيطان مقال بقلم د . أحمد محمد طمان ، مجلة العالم ، العدد 8 أغسطس 1999 . ص 12 .
- (5) الولايات المتحدة طليعة الانحطاط مصدر سابق ص 48 .
- (6) مصدر سابق ص 49 .
- (7) نقول : شتان الفرق بين فتح المسلمين للقسطنطينية واغتصاب الأسبان لأمريكا :
 * الفتح كان الهدف منه كسر شوكة أمثال هؤلاء المغامرين وطواغيت الأرض وتحرير الإنسان ، وإقامة الشرائع حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله .
 * بينما كان الغزو الأسبانى الأوروبى لأمريكا والذي كان يتستر بستار الاكتشافات الجغرافية ، عبارة عن حرب صليبية ترفع شعار الصليب أو المدفع ، وتستهدف الإنسان والثروات والأرض والعقائد .
- (8) أوربا منذ أقدم العصور ، اليونان ، د . جمال عبد الهادى وآخرون دار الشرق ، جده ، 1973 ؛ أوربا منذ أقدم العصور دولة الروم نفس المؤلف ، دار الشرق ، جده ، 1973 .

المبحث الثانى :

[حرب دينية ضد ديانة السوق التوحيدية]⁽¹⁾

تحت هذا العنوان : يرى « جارودى » أن أمريكا تعمل بكل دقة لفرض هيمنتها على العالم سواء كان ذلك بالإرهاب أو بالتدخل المباشر - فى أى بلد فى العالم - بطلب أو بدون طلب⁽²⁾ - فهى مثلاً تُحرّض كوريا الجنوبية ضد كوريا الشمالية ، وتايوان ضد الصين ، والهند ضد الباكستان ، والبوسنة ضد صربيا ، وتعمل دائماً لضمان وصول الجيوش الأمريكية إلى المناطق الاستراتيجية من العالم ، وبحالة عد إمكانية ذلك عسكرياً كما حدث فى كوبا والشيلى ، وفلسطين والجزائر . . . بهدف فرض (وحدانية السوق) وهو الهدف الامبراطورى الأوسع للسيطرة على العالم .

يقول جارودى : « إننا نعيش الآن حرباً دينية حقيقية . ليس بين المسيحيين والمسلمين ، ولا بين المؤمنين والملحدين ، بل بين جميع الرجال أولى المعتقدات ؛ أى بمعنى أولئك الذى يؤمنون بأن للحياة معنى وأنهم يتحملون المسؤولية فى اكتشاف الحياة وتحقيقها ، وبين هذه الديانة الكريهة « ديانة السوق التوحيدية » التى تحرم الحياة كلها من المعنى ، وتقودنا من خلال تصدع العالم إلى انتحار كوني .

إن ضرورة استنهاض الإرادة والمشروع الإنسانى تتطلب :

أولاً : أن نقوم بكسر السوق العالمى كما هو فى الوقت الحاضر ، والمصمم أساساً لفرض السيطرة العالمية للولايات المتحدة .

إن التشوهات الكامنة فى بذور نهضة الرأسمالية والمقنعة بتسمية جميلة تدعى « الحداثة » أظهرت كل نتائجها إلى حد وضعتنا على حافة الانتحار الكوني⁽³⁾ . إن لـ

نتمكن من إعادة بناء وحدة العالم بعد خمسة قرون من الاستعمار . ليس من خلال هذه « العولمة »⁽⁴⁾ بدعم من مؤسسات مثل الـ « غات » وصندوق النقد الدولى والبنك الدولى التى تخفى هيمنة الولايات المتحدة على العالم وإنما من خلال سيمفونية متناسقة يقدم فى إطارها كل شعب ، وبحقوق متساوية ، وبإسهام ثقافته نموذجاً آخر من التطور ، يكون قادراً على صياغة نموذج هدفه النهائى ، إعطاء كل رجل وامراً وطفل فى العالم بأكمله ، كل إمكانيات التطور الكاملة وكل الغنى الإنسانى الذى

يحمله فى أعماقه .

ومن الممكن اليوم أن نتتبع آثار مسيرة النموذج الغربى فى التطور والتنمية ابتداء من الخطأ القاتل فى توجه النهضة المزعومة ، أى بمعنى ولادة الحضارة الكمية ، والعقل الآلى ، ومنهج التفكير العقلانى الديكارتى ، إلى ديانة الطرق والوسائل التى تعمل على فصل وبتز البعد العقلى الجوهرى وهو « التأمل فى نهايات الحياة وأهدافها ومعانيها » .

لقد حلل كل من (آدم سميث) فى نهاية القرن الثامن عشر و (كارل ماركس) فى أواسط القرن التاسع عشر . كل بدوره ، الرأسمالية فى فترة انتعاشها ، واستخلصا سببين مختلفين عن الآثار الناجمة لكل ذلك .

(آدم سميث) الذى يطلق عليه « أب الاقتصاد السياسى » قام فى كتابه الأساسى « غنى المفاهيم » عام 1776 بتطوير « نظرية النمو ، ولنقل إنها ذات طابع كلاسيكى » لكنها تبقى الخط الأهم الذى اتفق على تسميته حتى وقتنا الحاضر بـ « الليبرالية » وأطروحته الكبرى تنص على أن الوازع الشخصى فى العمل هو الذى يؤدى إلى تحقيق المصلحة العامة . أى أن ثمة يد غير مرئية هى التى تعمل على الحفاظ على هذا التوازن .

ومنذ نهاية الحرب العالمية الثانية واتفاقيات بريتون وودز ، مع صندوق النقد الدولى و البنك الدولى وفيما بعد اتفاقيات « الغات »⁽⁵⁾ التى تم تعميدها تحت اسم المنظمة العالمية للتجارة ، وما أطلق عليه الرئيس السابق (جورج بوش) « النظام العالمى الجديد »⁽⁶⁾ ما هى إلا امتداد للفوضى العالمية ذات الجذور القديمة ، وبفارق ضئيل لا تختلف تلك التسمية عن جوهر الكولونىالية الموحدة تحت الإدارة الأمريكية . أما المستعمرون الأوروبيون القدماء فلا يعدون أن يكونوا مجرد تابعين .

إن نتائج هذا الاستعمار الموحد لا تختصر فى انقسام العالم إلى نصفين من خلال تهميش الجنوب ، ولكن من خلال استقطاب مشابه للثروات حتى داخل دول الشمال والعمل على تشتيت النسيج الاجتماعى لكل الشعوب .

ومنذ ذلك الحين تمكنت « ديانة السوق التوحيدية » من نشر جميع نتائجها ، هذه الديانة التى باتت تمارس هيمنتها على العالم ، والتى لم تتجرأ على الإفصاح عن اسمها ، لها آباء كنيستها :

أعلن (هوبس) المبدأ الأساسى للتنافس من خلال مقولته : « إن الإنسان ذئب للإنسان » .

(بيتنام) حدد فعل إيمان بموجبه تتحول كل القيم إلى قيم تجارية من خلال «حساب المتع» التى تقاس بموجبها كل متعة بمعدل مالى .
 (ومالتوس) باعتباره موظفًا ومنظرًا جيدًا فى شركة الهند الشرقية ، طرح قانونًا لم يعرف أبدًا أى مراجعة تجريبية ، النمو السكانى يتم بطريقة أسرع من الإنتاج الغذائى ، ولكنه وفر فائدة لمعلميه فى الشركة كما بالنسبة إلى بقية المستعمرين من خلال تبرير تخفيض سكان الهند فى الوقت الذى يتم تدمير زراعتها الغذائية من أجل فرض زراعة المحصول الواحد وهو القطن : من (مالتوس) إلى (كيسنجر) وفى مؤتمر القاهرة 1994 تمت صياغة قانون لم يصبح فقط قانونًا شاملاً للسكان ، بل أصبح كمساهمة تصلح لكل نظام رأسمالى استعمارى . يقولون للأكثر ضعفًا : قللوا⁽⁷⁾ من إنجاب الأطفال حتى يتمكن المراهنون من الاستمرارية فى إنفاقهم وتبذيرهم وهيمنتهم .

ومن خلال تطبيق قانون (مالتوس)⁽⁸⁾ على البيولوجيا أصبح (داروين) من دون إرادته أحد آباء هذه الكنيسة عندما حول الداروينية البيولوجية إلى داروينية اجتماعية فى نهاية القرن التاسع عشر ، وإلى داروينية اقتصادية فى نهاية القرن العشرين ، من أجل تبرير بقاء الأكثر جدارة ، عبر تصفية الأكثر ضعفًا ، ونموذج ذلك الشركات المتعددة الجنسية التى فرضت نفسها على الاقتصاديات الوطنية الأكثر هشاشة وضعفًا ، وكذلك محلات « السوبر ماركت » التى بدأت تعاملها بالتجارة الصغيرة فى الوقت الذى بدأ المحترفون الصغار يتضاءلون ويندثرون .

هذه الديانة لها أيضًا آباء كبار من (آدم سميث) إلى (ساملسون) و (فريدمان) (ترجمة إلى الفرنسية ريمون بار) وفون هايك .

ولهذه الديانة أبرشياتها : الدول الصناعية السبع الكبرى و«الغات»⁽⁹⁾ والكتلة الثلاثية، وصندوق النقد الدولى ، والبنك الدولى ، وكذلك خدمهم المستخدمون فى جميع الأمم وجميع الأحزاب ، ومن إسرائيل إلى المغرب ، ومن لندن إلى هونغ كونغ ، ومن محافل الحوار بين الديانات ، كما فى بريتون وودز ، والأبرشيات المحلية مثل ماستريخت .

لقد استوحى النظام العالمى الجديد من هذا اللاهوت ، وهو يختلف عن الفوضى العالمية القديمة بوسائل السيطرة والهيمنة التى يستخدمها هذا النظام .

وعبر خمسة قرون من الاستعمار ، هدموا تركيب اقتصاديات ثلاثة أخماس العالم، من خلال تخطيط منتوجاتها الغذائية لصالح زراعة المحصول الواحد ، الذى

جعل اقتصاديات الآخرين مجرد تابع للمتروبول ، وخلقت هذه التبعية التخلف . وحتى المجاعة ، ولم يعد الحضور العسكرى الآلة الوحيدة المهيمنة باستثناء حالة المخالفة الكبرى مثل « رفض المساعدات التى يقوم بها صندوق النقد الدولى » . إن الضغوطات والعقوبات الاقتصادية تبدأ من الرفض البسيط فى منح القروض ؛ حتى إقامة الحظر ، وهذا إجراء يكفى فى أغلب الحالات . والعملية الأكثر تقليدية التى يفرضها صندوق النقد الدولى ، هو ما نطلق عليه بحياء ، « إعادة تنظيم المبنى » .

إن المكونات الكبيرة لإعادة تنظيم المبنى هذه تكون كالتالى :

- * إيقاف الزيادة فى الأجور و « تحرير » الأسعار .
- * تقليص المساعدات الاجتماعية التى تقدمها الدولة ، ويشمل ذلك الدعم المخصص للمستشفيات والمدارس والمؤسسات الاجتماعية والضمان الاجتماعى .
- وفى المقابل يمنع المساس بالاستثمارات (البناء والهندسة المدنية . . . إلخ) فى الوقت الذى لم يطلب صندوق النقد الدولى تقليص الميزانيات العسكرية .
- * إلغاء الدعم المخصص للإنتاج ، وهذا الإجراء من شأنه أن يؤثر أساساً على الطبقات الأكثر فقراً من السكان .
- * تخفيض قيمة العملة ومن نتائجها زيادة التصدير إلى الخارج ، والتقليل من الاستهلاك فى الداخل .
- * وفى النهاية خصخصة⁽¹⁰⁾ الشركات التابعة للدولة بغية تسهيل هيمنة الشركات المتعددة الجنسية .

إن سياسة إعادة تنظيم المبنى هذه أدت إلى انتفاضات الجائعين ضد ارتفاع الأسعار كما حصل فى المغرب من عام 1981 حتى عام 1984 ، وفى تونس عام 1984 وكاراكاس عام 1985 و 1989 ، وفى الجزائر فى تشرين الأول (أكتوبر) من عام 1988 ، وقد اعترف الحاكم السابق للبنك المركزى فى البرازيل (مانيويل موريرا) بأن نتائج إجراءات إعادة تنظيم المبنى وفق ما أراده صندوق النقد الدولى أدت إلى موت 500 ألف طفل .

وأن الحصار ضد العراق سببَ لحد الآن مَوْتَ 400 ألف إنسان .

إن استحالة البقاء الذاتى عند الشعوب التى تم تفكيك اقتصادياتها على مدى 500 سنة من الإستعمار و 50 عاماً من هيمنة صندوق النقد الدولى⁽¹¹⁾ ، أدى إلى ارتفاع كبير فى مديونية هذه الدول . بحيث إن فوائد الديون (من دون أن تحسب قضية

تسديدها) باتت تفوق المساعدات المالية المزعومة التى تقدمها الدول الغنية .
وفى إطار « ديانة السوق التوحيدية » والليبرالية (التوتاليتارية) التى هى تعبير
اقتصادى عن هذه الديانة ، فإن الفقراء هم الذين يقدمون المساعدة إلى الأغنياء ، فقد
انخفض المستوى المعيشى فى أمريكا اللاتينية بمعدل 15 فى المائة ، وفى إفريقيا بمعدل
20 فى المائة من عام 1980 حتى عام 1990 .

وضعية التخلف لم تولد التخلف فقط ، بل فاقمت من خطورته ، وعملت
على تطوير هذا التخلف بأساليب وطرق أخرى قبل كل شئ ، من خلال ممارسة
التبادلات غير المتساوية الحجم ، بين المواد الأولية الآتية من الجنوب ، والمنتجات
الصناعية الآتية من الشمال ، ففى عام 1954 كان يكفى للبرازيل 14 كيساً من
القهوة لشراء سيارة جيب من الولايات المتحدة ، أما فى عام 1962 فقد كان
يتطلب شراء السيارة ذاتها 39 كيساً من القهوة .

ويحصل الفلاح فى ساحل العاج فى زراعة الكاكاو 5 فى المائة من سعر بيع
الشكولاتا فى أوروبا .

وزراعة الفستق 12 فى المائة من سعر الزيت فى السنغال . ولا يحصل الهندى إلا
على 3 فى المائة من السعر النهائى للشاي الأسود .

والحالة نفسها تحدث فى السياسة كما تحدث فى الاقتصاد ، ولأجل إبقاء هذا النير
على رقاب الشعوب وإدامة نزفها على بياض ، لا تحتاج دولها إلا إلى
ديكتاتوريات عسكرية ، ولكيلا تقتصر على تجربة أمريكا اللاتينية ، فقد رفض البنك
الدولى منح الرئيس (الهندى) قروضاً فى الشيلى فأصبح بذلك طريدة سهلة لبيوشيه
. والشئ ذاته حصل لصالح الجنرالات الجلادين فى الأرجنتين والبرازيل ، وقد
حجبت الاعتمادات للساندنيين فى نيكاراغوا عام 1982 لتسهيل عملية انتخاب
شامورو .

لقد منحت هذه التبعية الفرصة للتلاعب بالأسواق ، من خلال تكاثر وتوالد
الحاجيات ، وهذا ما أطلق عليه (جون كينث غالبريث) « قلب المدارج » بدلاً من
تسمية الإنتاج من خلال متطلبات السوق من الحاجيات ، فقد تأسست الأسواق من
أجل تصريف الإنتاج ، وإيجاد حاجيات جديدة ، سواء أكانت اصطناعية أم فاسدة ،
فى الحقيقة أن إحدى النتائج الطبيعية لاقتصاد السوق هى التنمية التى تتركز فى
الإنتاج المتزايد والسريع ، إنتاج أى بضاعة سواء كانت مفيدة ، أو غير مفيدة حتى
لو كان هذا الإنتاج ضاراً أو قاتلاً⁽¹²⁾ .

لا ضرورة للتوقف طويلاً عند المتوجات الشائعة ، بدءاً من الكوكاكولا ولغاية أدوات الثقافة الزائفة سواء أكانت تعنى الموسيقى التى تخدر التفكير التأملى بمستوى قياس 120 « ديسبل » أو الصور التلفزيونية المتراكضة بإيقاع بليد ، فالهدف يبقى نفسه ، القاعدة الملزمة تكمن فى عدم طرح التساؤل الفلسفى حول الأهداف ، كما يقول (ميشيل البيير) فى كتابه « الرأسمالية ضد الرأسمالية ».

هذا هو الهدف النهائى لـ « ديانة السوق التوحيدية » أن يضعونا على صلة بالحياة الأكثر زيفاً بدءاً بالفيلم الأمريكى عصابة ألويسترن ، التى تقوم بمطاردة الهندى ، أو شريعة الغاب فى الحصول على الأموال مع المسلسل التلفزيونى الشهير « دالاس » مروراً بأفلام « باتمان » و« تيرميناتور » وغيرها التى تجسد جميع أشكال العنف واللاإنسانية ، وصولاً إلى القنوات التلفزيونية الفضائية التى تجعلنا ننكفى نحو عالم «الديناصورات» .

الإحالات المرجعية والهوامش الوثائقية

- (1) تحت هذا العنوان كانت المقالة الثالثة لرجاء جارودي فى مجلة المشاهد السياسى ، السنة الثالثة ، العدد 62 ، لندن - 18 : 24 مايو 1997 .
- (2) وذلك حسب ما قرره رئيس الولايات المتحدة (كارتر) فى مطلع عام 1980 وذلك بإنشاء قوة مشتركة للانتشار السريع RDJTF من 200.000 جندى يتمركز فى قاعدة ماكديل Macdill الجوية بولاية فلوريدا... [كيف نفكر استراتيجياً - مصدر سابق ص 273] .
- (3) الانتحار الكونى : تحت هذه الجملة حدد « جارودى » إفرازات الحضارة المادية الحديثة (المأزق) : البطالة والعنف والمخدرات والإبعاد - أى التهجير عن الوطن - والجوع ، ووصفها بأنها الطريقة لقتل أحفادنا ، وأنها تحضير « لانتحار كونى » وهو لا يخفى قلقه عن المصير الأسود القاتم للبشرية فى القرن الحادى والعشرين ، على ضوء المشكلات العالمية ، وسيطرة المال والقوى الرأسمالية ، والتدخلات العسكرية ، ودور صندوق النقد الدولى ، والبنك الدولى والاتفاقيات المنظمة للعملة وبخاصة (الجات) ، إضافة إلى التطرف الدينى الإسلامى - هكذا أجرى الأعداء هذا المفهوم على المسلمين الملتزمين ، لأن الإسلام ليس فيه تطرف - واليهودى والمسيحى على حد سواء . [مجلة العالم - مصدر سابق ص 15] .
- (4) العملة : Glabolisation ، لم تعد العملة تحدياً اقتصادياً أو سياسياً أو نقدياً فحسب ، ولكنها تمثل بالإضافة إلى ذلك تحدياً فكرياً للإنسان عامة ، إضافة إلى أنها تحد للتعليم والتربية والثقافة والفكر ، وعليه فإن من واجبات النظرية التربوية أن تلتفت باهتمام إلى آثار العملة على تلك الجوانب الفكرية الإنسانية ، ومن ثم ، يجب ألا تنخيل « العملة » على أنها لعبة نتيجتها إيجابية بالقطع ، فالسوق العالمية لا تمحو الفوارق بين الدول ، وتفاعل البلدان المختلفة لا يأتى بالضرورة بالسلام ، فهى فى حالة المنافسة لن يكون هناك منتصر حقيقى .
- [مجلة البيان العدد 138 ، ص 35 ، د . محمد الرمانى - البعد الاقتصادى للعملة] .
- والعملة : معناها الهيمنة أو السيطرة وهى حتمية غربية فى زعم أصحابها [مجلة البيان : العدد 136 ص 95 ، خالد أبو الفتوح - العملة حلقة فى تطور آليات السيطرة] .
- (5) الجات : GATT وهى غير منظمة التجارة العالمية وهى الاتفاقية العامة للتعريفات الجمركية .
- (6) معالم النظام العالمى الجديد ، فلسفة وإطاره القانونى ؛ دافع النظام العالمى الجديد ، آليات وأساليب إقامة النظام العالمى الجديد : [راجع كتاب كيف نفكر استراتيجياً ، لواء أ . ح . د . فوزى محمد طایل مركز الإعلام العربى القاهرة 1418 هـ / 1997 . ص 229 - 408] .
- * ويرى جارودى أن مشكلة العالم اليوم تكمن فى طموح الولايات المتحدة للسيطرة على العالم - عن طريق فرض النظام العالمى الجديد ، أو العملة الحديثة وبخاصة بعد انهيار الاتحاد السوفيتى ، وبعد أن طرحت أمريكا الإسلام (وحلفاءه) منافساً بديلاً ، وبعد أن دمرت العراق ليكون عبءاً للعالم المعارض للنظام العالمى الجديد ، ويتساءل جارودى : هل ستمكن أمريكا بعد كل هذا من بسط نظامها النهاب (السوق الحرة) على العالم كله؟

- وهل ستنجح فى فرض سيطرتها على بترول الخليج ؟ وهل تُعد أمريكا العالم لصدمة محضرة أساسها تحطيم مقاومة العالم البديل للرأسمالية الأمريكية ؟ [مصدر سابق ص 11] .
- (7) المجتمع الإسلامى المعاصر (ب) أفريقيا د . جمال عبد الهادى مسعود ، أ . على لبن ، دار الوفاء ص 5 وما بعدها .
- (8) مالتوس :

وهو روبرت مالتوس Malthus وهذه الفكرة كغيرها من أفكار « النظام العالمى الجديد » ، ظهرت مواكبة لظهور الأمم المتحدة U N ظهرت هذه الفكرة فى القرن الثامن عشر ، فأصبحت أحد معالم النظرية الاقتصادية الرأسمالية ، وتبنى هذه الفكرة على : أن الزيادة العددية للسكان ، دون قيود تؤدي إلى انطباق قانون تناقص الغلة Low of diminishing returns . وإلى التخلف الذى يقاس بمقدار معدل نصيب الفرد من الدخل القومى ، والناتج من حاصل قسمة الدخل القومى الإجمالى على عدد السكان .

- * ومن ثم فإن تقليل المقام فى هذه العملية الحسابية يجعل حاصل القسمة يزيد ، ومن ثم تُعدّ الدولة - حسب مناطق مالتوس - أكثر تقدماً .
- * وتقليل المقام يعنى تقليل معدل الزيادة السكانية .

* ولما كانت الموارد محدودة - حسب منطق هذه النظرية - فلإن كل زيادة سكانية سوف تبدد الزيادة فى إنتاج الغذاء والسلع الأخرى . ومن ثم - والحديث موجه إلى الدول النامية - يزداد تخلف هذه الدول ولا يمكنها إحراز تقدم اقتصادى ، ويتقدم علوم الطب ، فإن مقاومة الأمراض بمعدل أكبر من معدل إنتاج الغذاء سوف يؤدي بالناس إلى أن تموت جوعاً بعد أن كانت تموت بسبب الجراثيم .

[كيف نفكر استراتيجياً - مصدر سابق ص 379 ضبط المواليد وفرة نقص الموارد] .

- (9) كيف نفكر استراتيجياً مصدر سابق ص 366 تحالف الدول الصناعية الكبرى .
- (10) المخصصة : أحد مطالب - آليات - صندوق النقد الدولى ، بل وأهمها وذلك لزيادة الهيمنة الاقتصادية .

(11) هيمنة صندوق النقد الدولى : حقيقة الأمر تظهر من خلال هيمنة وسيطرت صندوق النقد الدولى ، ومعروف أنه - صندوق النقد الدولى - صندوق أمريكى صهيونى .

* وهو مشروع استدمارى مستتر ، يحقق لأمريكا ما لم تحققه القوة العسكرية . . . يحدد سياسات البلاد الفقيرة ، كما ويحدد مستقبل الأجيال القادمة فيها ، ومن أشهر آلياته :

- 1 - تخفيض قيمة العملة بهدف الحد من الاستيراد وتشجيع التصدير .
- 2 - تخفيض مربع النفقات العامة وبخاصة على المستوى الاجتماعى : تقليص اعتمادات التعليم والصحة والسكن وإلغاء دعم الموارد الاستهلاكية كالحبذ والبنزين .
- 3 - خصخصة المؤسسات العامة .
- 4 - زيادة أسعار المواد الأولية : الكهرباء والمياه والهاتف والنقل . . . إلخ .
- 5 - إبعاد الرقابة عن الأسعار .
- 6 - وضع حد معين للأجور والرواتب .
- 7 - تقييد التسليف والتقسيط .
- 8 - زيادة الضرائب .

9 - زيادة معدلات الفائدة .

وباختصار فإن هدف « صندوق النقد الدولى » هو إفقار الشعب وتجويعه وإذلاله وتدميره ، وهى الأهداف التى بدأت الشعوب تحس بآثارها السلبية وأظهرت استيائها منها . ومن أمثلة ذلك الاضطرابات التى حدثت فى مراكش عامى 1981 ، 1984 ، وكاراكاس عام 1989 والجزائر عام 1988 والأردن عام 1996 . ولقد أصبح من الواضح عالمياً أن مسيرة التاريخ تتمحور باتجاه جديد من العبودية ، وهى عبودية السوق ، وعبودية المتنفعين .

[مجلة العالم مرجع سابق ص 15 السنة الثانية العدد 8 أغسطس 1999] .

(12) يقول رسول الله محمد ﷺ : « لا ضرر ولا ضرار » .

فهل وعى الغرب هذه الحقيقة الإسلامية .

المبحث الثالث

الخروج من الأزمة⁽¹⁾

بعد أن استعرض جارودى حالة المجتمع الإنسانى المعاصر وأنه على شفير الهاوية عرض لكيفية خروج العالم من هذا المأزق وأنه لن يكون بغير الرؤية الكونية المتكاملة وهو مخرج يعتمد على حرص كل إنسان قبول كل منا للآخر. ثقافة وتاريخاً . وقد وضع المؤلف ثلاثة شروط⁽²⁾ لبناء عالم آخر ، غير العالم المادى القدر الذى يعيش فىنا ونعيش فيه شئنا أم أبينا وهى :

- 1 - تغبر مفاهيم التربية : لأن التربية الحالية غير قادرة - قابلة - للإصلاح ، فلا بد من نسفها من الجذور ، واعتماد أصول تربوية عالمية إنسانية ، ثم :
- 2 - أنسنة الفنون والإبداع .

- 3 - العمل السياسى الذى ينصهر مع هذه الشروط ولا يعمل بعيداً عنها . . .
- إنها إذن الشمولية التى تعتمد التاريخ الإنسانى كله ، تعتمد الثقافات الإنسانية كلها، وتعتمد « حاجة الإنسان » الروحية والمادية . . . ويرى جارودى من خلال المنظور الشمولى ، يرى أن تحول العلم إلى علموية هو كارثة ، تماماً كتحويل التقنية ، إلى تكنوقراطية ، وتحول السياسة إلى ميكانيكا ، مما يؤكد على الوجه « الإنسانى » المهتدى للحل وللخروج من المأزق الذى تعيشه الإنسانية التعيسة اليوم .

* بدأ المؤلف حديثه بالحكمة التالية :

« السياسة الوحيدة التى ستكون لها مصداقية ؛ هى السياسة التى تضع حلولاً للمشكلات التالية:

* البطالة * الهجرة * الجوع

هذه المشكلات الثلاث نتائجها الثقافية والأخلاقية هى فى الواقع مشكلة واحدة ، لا تعطى حتى الآن إلا حلولاً زائفة ، وأكثر السياسات التى تقدم مثل هذه الحلول الزائفة سياستان ، تلك التى تقول بأن هذه المشكلات تحلها التنمية ، وتلك التى تقول : إن أوروبا هى التى ستقدم حلولاً لها .

هذه الأكاذيب هى أكثر السياسات إجراماً⁽³⁾ .

* لم تحل أى مشكلة من مشاكلنا الحيوية عن طريق التنمية . لا تتطرق أبداً الحكومات والأحزاب السياسية فى هذه الدول الغربية إلى هذه المشكلة ، ذلك لأنها ما زالت مهووسة منذ خمسة قرون بفانتازيا التنمية التى تقوم على الإنتاج والمزيد من الإنتاج لأى بضاعة ، سواء أكانت مفيدة أو ضارة أو مؤذية أو حتى قاتلة (مثل المخدرات والأسلحة) .

ويقدم السياسيون هذه التنمية عبر الوسائل الإعلامية المتنوعة ، باعتبارها ترياقاً سحرياً للخروج من هذه الأزمة ومن بطالة العمل ، فى الوقت الذى لم تعد من عام 1975 التنمية الحاصلة من جراء زيادة الإنتاج بفضل تطور العلوم والتكنولوجيا . توفر للعمال وظائف العمل ، بل على العكس عملت على تدمير عمل الإنسان من خلال استبدال الآلة به .

ففى عام 1980 كانت بلجيكا تنتج 10 ملايين طن من الفولاذ باستخدام 140 ألف عامل ، أما فى عام 1990 فقد أنتجت 12 مليون ونصف المليون طن من الفولاذ باستخدام 22 ألف عامل .

فالتنمية ناتجة عن أرباح الإنتاجية التى توفرها العلوم والتقنيات ؛ التى تتيح استبدال الآلات وتطور المعلوماتية والروبوت والكمبيوتر بقسم كبير من العمل البشرى . إنه لمن العبث إلقاء التهمة على العلوم والتقنيات ، فالمأساة ناتجة لا عن العلوم والتقنيات بل عن كيفية استخدام هذه العلوم والتقنيات .

ففى عام 1970 مثلاً . ارتفعت الإنتاجية بفضل الاكتشافات بنسبة 89 فى المائة ، ومن حسن حظ البشرية أنها تخلصها من تكرار الأعمال الروتينية ، لكن من شقاء البشرية أن مدة العمل لم تنقص فى الوقت نفسه ، وأن البطالة تضاعفت عشر مرات . وهذا يعنى أن تطور الإنتاجية لم يخدم البشرية جمعاء بل اقتصر فقط على مالكي وسائل الإنتاج ، ومن البديهي أن يعود الخير على عموم الناس إذا أدى تزايد الإنتاجية إلى تقليص مدة العمل الأسبوعى وإذا عمت الاستفادة من أوقات الفراغ للاستجمام وأعمال التسلية ، شريطة ألا تستحوذ عليها سوق تجارة اللهو وأوقات الفراغ التى تفرغ الأوقات الحرة من مضمونها الإنسانى وتجعلها أوقات « تسلية فارغة » كما تقترحها وتقدمها تلك السوق بحيث لا يبقى لها أى فائدة ثقافية وصحية ، إن هذه الأوقات الحرة التى هى مجال حيوى تجعل من الإنسان عاطلاً عن العمل ، وفى أحسن الأحوال تجعله مستهلكاً لخدمة نظام السوق بدلاً من أن تساعد على تحقيق إنسانيته وتجعل منه مبدعاً .

هكذا تنعدم العلاقة بين التنمية وبطالة العمل . ففى فرنسا مثلاً نجد :
 * فى عام 1992 تضاعف معدل النمو فبلغ 1.04 فى المائة ونتج عن ذلك مليونان ونصف مليون عاطل عن العمل أى بنسبة 10.04 فى المائة .
 * فى عام 1993 تدنى معدل النمو 1 فى المائة فنتج عن ذلك مليونان و 900 ألف عاطل عن العمل أى بنسبة 11.06 فى المائة .
 * وفى نيسان (أبريل) من عام 1994 بلغ عدد العاطلين عن العمل رسمياً ثلاثة ملايين و 200 ألف .

* أما فى السنوات 1995 و 1996 و 1997 فقد وصل عدد العاطلين عن العمل حوالى 4 ملايين ، لا يعنى ذلك أننا معادون للتنمية أو - وهذا موقف أشد خطورة - معادون لتقدم العلوم والتقنيات ، عندما يؤدى هذا التقدم إلى تقليص شقاء البشر . ولا يفضى بهم إلى الاستعباد أو إلى الاستلاب كما يفعل « الإنترنت » على سبيل المثال لا الحصر ، فى شركة الرأى العام خدمة لمصالح الهيمنة الأمريكية .
 غير أن نمو الإنتاجية وزيادتها ، حتى ولو أخذت بالنصائح التى نقدمها لن نحل مشكلات البطالة ، وأكثر من ذلك أن زيادة الإنتاجية إذا أرفقت بتراجع الأجور والضمانات الاجتماعية ، وفقاً لمشئنة أرباب العمل والحكومة يمكنها أن تتيح كسب بعض أجزاء السوق من المنافس الأوروبى أو الأمريكى أو اليابانى ، لكنها تبقى مع ذلك حجة واهية⁽⁴⁾ .

بعد أكذوبة التنمية تأتى أكذوبة الوحدة الأوروبية كحل شاف سحرى :
 إن أى مشكلة من المشكلات الاقتصادية لن تجد حلاً لها فى إطار الوحدة الأوروبية التى تعدنا بـ « سوق » يتكون من 300 مليون زبون ، من دون أن تقول حقيقة الأمر التى هى أن هؤلاء الـ 300 مليون يتنافسون على « سوق » العمل ، وذلك لأن الاقتصاديات الأوروبية فى جوهرها ليست متعاونة بل متخاصمة ، فكيف بمنافسة الاقتصاديات الأمريكية واليابانية لها ؟

فهل معنى ذلك أن البديل هو إنكفاء فرنسا على نفسها إنكفاء قومياً يجعلها سجينه التدابير الحمائية ؟ بالطبع كلا ، لأن ذلك يعنى اختناق فرنسا اختناقاً تاماً .
 إن الحل الوحيد الممكن هو الانفتاح على العالم انفتاحاً تاماً ، فما دام هذا العالم الذى قصمت ظهره 500 سنة من الاستعمار و 50 سنة من صندوق النقد الدولى والبنك الدولى محطم الاقتصاد ، سيبقى عالم البطالة وعالم الجوع متجاورين ، وستبقى الهجرة من أحدهما إلى الآخر انتقالاً من عالم الجوع إلى عالم البطالة .

حتى ولو فكرنا تفكيراً اقتصادياً وحسن كيف يمكن الاعتقاد أنه بالإمكان توفير فرص عمل ما دام أن مليارات من البشر لا يملكون ما يكفى حتى لشراء الحد الأدنى من القوت اليومى ؟

إن الحل الوحيد الممكن لوضع حد لجوع هؤلاء ولبطالة أولئك كما لو وضع حد لهجرة الجائعين الباحثين عن عمل موهوم هو تغيير جذرى لعلاقتنا بالعالم الثالث⁽⁵⁾ ، يضع حداً نهائياً لسيطرة الغرب ولتبعية الجنوب ، وذلك لأن التبعية هى التى تتسبب فى التخلف .

إننا نعيش اليوم فى عالم مشطور بين « الشمال والجنوب » وفى الشمال كما فى الجنوب بين من يملكون ومن لا يملكون . إن 80 فى المائة من الموارد الطبيعية فى العالم يسيطر عليها ويستهلكها 20 فى المائة من المدخرات العالمية . أما الـ 20 فى المائة من سكان العالم الأشد فقراً فلا يملكون إلا 1.04 فى المائة من ذلك الداخل . «المرجع KNUD تقرير عام 1992 » .

من نتائج هذا الانشطار : أن 40 ألف إنسان يموتون يومياً من سوء التغذية ومن الجوع .

والشقة لا تنى تزداد اتساعاً خلال السنوات الثلاثين الماضية الفارق بين الدول الفقيرة والدول الغربية فانتقل من نسبة الـ 30 إلى نسبة الـ 15 .

وإذ ولد نظام (بيتون وودز) وخمسة قرون من الاستعمار كل هذا الظلم وهذه اللامساواة بين الشعوب ، فإن التبادل الحر كافى يفاقم مخاطر السيطرة والتبعية .

كيف يمكن قلب الأوضاع وتصحيح هذا الانحراف الخطير ؟ قبل كل شئ علينا أن ندمر الأسطورة التى تسمى حرية السوق « ديمقراطية » السوق الحرة هى سَفَاح الديمقراطية بما تراكمه من ثروات فى جانب واحد من المجتمعات البشرية ، ومن فقر وشقاء فى الجانب الآخر .

ويتطلب ذلك اتخاذ عدد من القرارات السياسية الهادفة جميعاً إلى التخلص من عالمية الاقتصاد المزعومة ، أى من الإرادة الأمريكية الرامية إلى جعل فرنسا وأوروبا وباقى العالم مزرعة واسعة للولايات المتحدة تفتح أسواقها للاقتصاد الأمريكى فى جميع الميادين .

يتضح يوماً بعد يوم أن اتفاقية ماستريخت هى المسؤولة عن البلاوى والمصائب التى حلت لا بالمزارعين وحدهم ، بفرضها عليهم الامتناع عن الزراعة بحجة توفير الراحة

للأرض ، ورفع قدراتها الإنتاجية لاحقاً . بل تلك التى حلت أيضاً بالعمال جميعاً ، بحثها لهم على القبول بأكثر مستويات شروط العمل تدنياً ، وبتصفيته صناعاتها كلها ، من صناعة الطائرات إلى صناعة المعلوماتية ، وبإهانتها ثقافتنا فى عقر دارنا عن طريق الغزو السينمائى والتلفزيونى الأمريكى ، وبجعلها جيشنا وقواتنا المسلحة مجرد ذيل للعمليات العسكرية الأمريكية فى العالم . لقد أعلنت اتفاقية ماستريخت ثلاث مرات متتالية أن الوحدة الأوروبية لا يمكن أن تكون إلا « دعامة للحلف الأطلسى » أما فى المجال الاقتصادى فإن المادة 301 من القانون الأمريكى تسمح للولايات المتحدة بفرض الحماية على منتجاتها الاقتصادية فى حين أن اتفاقيات « الغات » GATT⁽⁶⁾ التى سميت فيما بعد « المنظمة العالمية للتجارة » . تفرض على جميع الدول الأخرى التبادل الحر الذى يفتح الباب واسعاً أمام السلع الأمريكية .

يزعم قانون (هيلمز بيرتون) وكذلك قانون (أمانو كيندى)⁽⁷⁾ اللذين تم التصويت عليهما فى الكونغرس الأمريكى وحده أنهما مفروضان على دول العالم أجمع فرضاً ، وهما يمنعان على دول العالم جميعاً أن تتعامل تجارياً مع أى بلد ترى الولايات المتحدة وحدها منع التعامل معه . وهكذا بات القادة الأمريكيون يُشرعون للعالم كله ويضعون له القوانين .

إن المقاومة الجديدة لا تتطلب إدانة ماستريخت فقط ، بل تتطلب أيضاً الانسحاب من صندوق النقد الدولى ومن البنك الدولى ومن جميع المؤسسات الأخرى التى تستخدمها الولايات المتحدة لفرض هيمنتها على العالم .

من هنا ضرورة استعادة الحرية من أجل إقامة علاقات جديدة مع العالم الثالث بهدف محدد ، هو تشجيع الشعوب الأوروبية على السير فى النهج نفسه .

1 - الإلغاء التام للديون التى لا صحة تاريخية لها ، والتى تفتقر إلى مبررات تسوغها .

2 - إلغاء أشكال المساعدات كافة الممنوحة لحكومات العالم الثالث .

مثلاً : تبلغ ميزانية المساعدات الرسمية لفرنسا 40 مليار فرنك للتنمية ، هدفها الرسمى هو دعم الدول الأكثر فقراً فى العالم ، لكن 95 فى المائة من هذه المبالغ لا يذهب مساعدات ولا يحدث أى تنمية ، بل فى أحسن الأحوال يفرغ جيوب المكلفين بدفع الضرائب ليملاً جيوب بعض المنتفعين الحكوميين (فى الشمال وفى الجنوب) ، وفى أسوأ الأحوال تنفق هذه المبالغ على أعمال القتل⁽⁸⁾ .

فيما يلى بعض الأمثلة من الوجوه التى تنفق عليها هذه المبالغ :

- 1 - فى رواندا تنفق على حكومة السفاحين القتلة ما دام ممكناً الإبقاء على هذه الحكومة فى كرسى الحكم ثم على تمويل عملية « توركواز » لتسهيل مرور هؤلاء السفاحين والقتلة إلى زائير حيث يتسنى لهم الإعداد للثأر والانتقام .
- 2 - فى الجزائر ستة مليارات للحكومة التى نصّبت نفسها بنفسها فى الحكم وعطلت الانتخابات بشكل غير قانونى تماماً ، وبيع هذه الحكومة طائرات هليكوبتر (أفضل سلاح ضد المقاتلين) .
- وبإزاء ذلك لابد من :

1 - قروض للقطاعات العامة أو للقطاعات الخاصة تمنح لا للحكومات بل مباشرة منظمات القاعدية (تعاونيات ، نقابات ، تجمعات إنتاجية) ذات الأهداف المحددة بدقة بأنها للمنفعة العامة والأفضلية للمناطق الزراعية بهدف الاكتفاء الذاتى الغذائى .

2 - القبول بأن يكون تسديد هذه القروض بعملة البلد المقرض نفسه (تشجيعاً له على الاستثمار فى داخله ، أو بمواد طبيعية) .

3 - العمل على وضع أسعار عادلة للمنتوجات التى تبيعها دول الجنوب بالمقارنة مع أسعار منتوجات دول الشمال .

4 - فى مواجهة عمالقة المؤسسات الصناعية الهادفة إلى تدمير المجتمعات الكبرى . العمل على احترام تاريخ كل مجتمع ، واحترام ثقافات جميع الشعوب ، واستخدام التقنيات المحلية على أوسع نطاق ممكن ؛ لأنها تكون فى معظم الأحيان أكثر ملاءمة للحاجات المحلية وأكثر نفعاً وجدوى . وهكذا تصبح التنمية « محلية » بدلا من أن تكون « ملصقة من الخارج » لا علاقة لها بالبلد الذى تلصق عليه ولا بحاجاته الفعلية ؟ موديل غربى مستورد طبقاً لمصالح الشركات الكبرى الأجنبية .

5 - أما مصادر الطاقة فإنه ينبغى إعطاء الأولوية على الدوام (إلا إذا كان ذلك مستحيلاً) للطاقات القابلة للتجديد (كالطاقة الشمسية ، والمواد الحيوية .. إلخ) .

وما دام أن 3 مليارات إنسان من أصل 5 مليارات لا يستطيعون الوفاء بديونهم ، هل يمكن الكلام عن سوق عالمية ؟ أو عن سوق بين الغربيين فقط تناسب حاجاتهم وثقافتهم وتصدر إلى العالم الثالث ما يفيض عنهم ؟ .

هل ينبغى القبول بهذا اللاتوازن العالمى ، والقبول بهذا الأمر الواقع الذى ينتج كل

أشكال التهميش وأنواع الإقصاء وألوان العنف والقوميات والأصوليات ، من غير أن تمتد أصبع الاتهام فتشير إلى أسس الفوضى العالمية الراهنة ؟

* فى وجه أكاذيب عالمية الاقتصاد التى ليست سوى وريث الهيمنات الاستعمارية التى باتت اليوم موحدة بزعامة أمريكية . لابد من بناء كونية حقة .

* فى وجه التنمية العشوائية الناتجة عن اقتصاد السوق الذى يفرض كل العلاقات الاجتماعية ، لابد أن نعيد « تكييف » الاقتصاد بما يوفر - لكل طفل . لكل امرأة ، ولكل رجل . إلى أى حضارة انتموا - الوسائل الاقتصادية والسياسية والثقافية الضرورية لتنمية وتطوير جميع الثروات التى يمتلكونها ويحملونها فى أنفسهم .

الإحالات المرجعية والهوامش الوثائقية

- (1) هذه هي المقالة الرابعة « لجارودى » فى مجلة المشاهد السياسى ، السنة الثالثة العدد 63 لندن 25 : 31 مايو 1997 .
- (2) مجلة العالم ص 17 مصدر سابق .
- (3) الولايات المتحدة طلبية الانحطاط ص 258 . رجاء جارودى ترجمة د . رجب بودبوس الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان طبعة أولى عام 1998 .
- (4) حجة واهية : يعنى حلول مؤقتة ، يقول د . رجب بودبوس مترجم كتاب « الولايات المتحدة طلبية الانحطاط » ص 261 :
- « يدور الجدل حاليًا فى أوروبا ، حول تقليص ساعات العمل لإمكانية تشغيل عدد أكبر من العمال ، علاجًا لمشكلة البطالة ، ويشترط أرباب العمل تخفيض الأجور بالتناسب مع تخفيض ساعات العمل ، وهذا الحل عيوبه الآتى :
- 1 - تخفيض ساعات العمل وتخفيض الأجور لا يلزمان رب العمل بتشغيل جدد فيستفيد من تخفيض الأجور دون تشغيل عمال جدد .
- 2 - التقدم التقنى يعطى رب العمل هذه الإمكانية ، التقنية الحديثة تتطلب ساعات عمل ، - بشرى - أقل من أجل إنتاج أكثر .
- 3 - تخفيض ساعات العمل والأجور ، يجعل حتى وإن أديا إلى تشغيل جدد فإنهما يعنيان أن ساعات العمل الإجمالية ومخصصات الأجور يظلان على ما هما عليه تقريبًا . ومعنى هذا أن مجمل القدرة الشرائية يظل على ما هو عليه ، وبالتالي استمرارية الكساد .
- 4 - الفائدة الوحيدة الواضحة من تخفيض الأجور هى منح الاقتصاد قوة تنافسية خارجية تجاه الاقتصاديات الأخرى . إذا لم تحذ هذه حذوه . وهذا بالطبع لصالح الرأسمالى » . اهـ .
- (5) الولايات المتحدة طلبية الانحطاط - مرجع سابق ص 263 .
- (6) اسمها : الاتفاقية العامة للتعريف الجمركية والتجارة [كيف نفكر استراتيجيًا . مصدر سابق ص 273] .
- (7) الصادر عام 1996 (داماتو - كنيدي) راجع كتاب الولايات المتحدة طلبية الانحطاط ص 264 .
- (8) أعمال القتل :
- كتاب الولايات المتحدة طلبية الانحطاط ص 265 هامش 1 يقول : يشير هنا إلى نسبة عالية - دعم يمنح لأفقر بلدان العالم 95% من هذا المبلغ - مما يخصص مساعدات للعالم الثالث لا يصل هدفه ، جزء منه يذهب إلى جيوب رجال الحكومة المانحة ، وجزء آخر إلى جيوب رجال الحكومة الممنوحة ، أو حساباتهم فى أوروبا وجزء آخر يصرف على السلاح الذى يقتل الشعوب ، هذه الواقعة للأسف صحيحة أما يدفع مساعدات لا يصل فى الغالب هدفه ، حسابات السياسيين فى الشمال كما فى الجنوب تشهد على ذلك ، ولإرغام الشعوب على قبول حكومات فاسدة ، ينفق جزء من المساعدات فى شراء السلاح .
- ** إن هذا الأمر اعترف به أعظم رئيس دولة فى العالم الآن !! (رتشارد نكسون) رئيس الولايات المتحدة الأسبق يقول : « مصر : ويبلغ عدد سكانها 35% من سكان العالم العربى . وهى الدولة العربية الوحيدة التى وقعت « معاهدة سلام مع إسرائيل » وبعد عشرة سنين من اتفاقيات (كمب ديفيد) التى أدت إلى طردها

من جامعة الدول العربية برزت مصر كزعيمة طبيعية للجامعة . وبرعايتنا لعملية السلام العربية - الإسرائيلية علينا أن نشكل جبهة موحدة مع المصريين الذين كسبوا رأس مال سياسى إضافى فى ظلال سياستهم تجاه أزمة الخليج الفارسى . وكنتيجة لإلغاء ديونها والمساعدات التى تلقتها تجد القاهرة أمامها فرصة هامة ولو أنها قصيرة لتحول اقتصادها نحو النظام الحر بدون التعرض إلى مخاطر الاضطرابات الداخلية الكبيرة ، يجب علينا أن نساعد زعماء مصر على تبنى الإصلاحات الصحيحة بحيث إن المساعدات القادمة تذهب لإطعام الشعب المصرى وليس لجيوب موظفيها الشرهين .

[كتاب أمريكا الفرصة التاريخية لمؤلفه رتشارد نكسون - رئيس الولايات المتحدة الأسبق . ترجمة د . محمد زكريا إسماعيل - الطبعة الاولى 1992 ص 197 مكتبة بيسان - بيروت] .

الفصل الثالث

إسرائيل تهدد العالم

□ المبحث الأول : كيف تهدد إسرائيل العالم⁽¹⁾ .

□ المبحث الثانى : من غزو لبنان .. إلى حرب

الخليج الثانية⁽²⁾ .

□ المبحث الثالث : المنطلق التلمودى .. فى قراءة

التوراة⁽³⁾ .

(1) مجلة المشاهد السياسى ، السنة الثالثة ، العدد 64 ، لندن ، بتاريخ 7:1 مايو سنة 1997 .

(2) مجلة المشاهد السياسى ، السنة الثالثة ، العدد 65 ، لندن ، بتاريخ 14:8 مايو سنة 1997 .

(3) مجلة المشاهد السياسى ، السنة الثالثة ، العدد 66 ، لندن ، بتاريخ 21:15 مايو سنة 1997 .

المبحث الأول

(كيف تهدد إسرائيل السلام العالمى)⁽¹⁾

مدخل :

إسرائيل تهدد العالم . . . أو قل السلام العالمى ففى مقال رئيسى للدكتور « هنرى كيسنجر - اليهودى - بصحيفة « لوس أنجيلوس تايمز » فى أوائل شهر أغسطس 1992 - بعد تشكيل الحكومة الإسرائيلية برئاسة راين - عرض التصورات الاستراتيجية المستقبلية لإسرائيل ، فدعا إلى ما سمّاه « الأرض مقابل كسب الوقت » واستثمار الفرصة المتاحة على الوجه الأمثل دون التورط فى مشاريع تستهدف سلاماً نهائياً .

* هذا هو الفكر الصهيونى الأصيل : عندما يتساءل كيسنجر صاحب استراتيجية « الخطوة خطوة » فى مقاله هذا « أليس التسويف مما يُلبى مصالح إسرائيل على النحو الأفضل ، ولو لمجرد أن العرب سوف يقبلون غداً ما يرفضونه اليوم . . . ثم تكون مفاوضات جديدة . . . وهكذا - فليس هناك ما يروع إسرائيل كى ترد الحق لأصحابه ، أو تقلع عن سياسة العلو فى الأرض والإفساد .

* إن قادة الصهاينة بصفة عامة ، والإسرائيليين بصفة خاصة ، لا يرون تناقضاً بين عرض السلام فى الوقت الذى يُعدون فيه لاستخدام القوة ، بل لا يرون أن أى اتفاقية للسلام - بما فى ذلك الاتفاقية الإسرائيلية المصرية ، ليست سوى مجرد نصوص لوقف مؤقت لإطلاق النار ولا تعدوا قيمتها قيمة قصاصة من الورق ، وأن قيمتها الحقيقية ستظهر أثناء الحرب القادمة⁽²⁾ .

* فإسرائيل لا تجد من يحد من أوهامها . . وتطلعاتها للهيمنة على العالم ، والعلو والإفساد فى الأرض . . وهى إسرائيل - بجلبها المستمر للمهاجرين اليهود تحتاج أرضاً جديدة، . . وتحتاج إلى مزيد من المياه والشباب والأطفال ، الإسرائيليون يُنشئون على « إبادة الشعوب » المجاورة ، وإخضاعها وتحريقها ، وطرد أهل الأرض التى يحلون فيها رويداً رويداً ، وعدم جواز قطع عهد مع غير اليهود . . إلخ .

هى أمور العقيدة الواجب ترسيخها فى الوجدان ، اتقاء لغضب الرب ، وحتى لا يكون وبالاً عليهم ، فيشردوا من جديد فإن عليهم « ألا يقيموا سلاماً »⁽³⁾ .
 * وما فتئ قادة إسرائيل يهددون بالحرب الإسرائيلية الشاملة القادمة ضد الدول العربية ، ومن هذه التهديدات .

* تصريح موشيه باركوخيا فى يوم 4 / 6 / 1990 .
 * تهديد « إيهود باراك » رئيس الأركان العامة فى يوم 5 / 8 / 1999 . [(ملاحظة)
 وهو رئيس الوزراء الآن !!] .

* تهديد من أرييل شارون « وزير الإسكان ، يوم 29 / 8 / 1991 .
 * تهديد ديفيد عبرى مدير وزارة الدفاع فى 14 / 4 / 1992 .
 * وأخيراً تهديد « موردخاى غور » نائب وزير الدفاع .
 * وفى يوم 20 / 6 / 1991 صرح « إيهود باراك للتلفزيون الإسرائيلى » بأنه قد
 تم عرض خطة الحرب القادمة على مجلس الوزراء⁽⁴⁾ .
 * من أجل هذا اختار « جارودى » بحثه هذا تحت هذا العنوان :

(إسرائيل تهدد السلام العالمى) أما عن الكيفية فيقول :

« إن المؤشر المنظم لتفكيرى حول دور السياسة الإسرائيلية الجديدة ليس بما يتعلق بدورها فى الشرق الأوسط فحسب ، بل بمجمل سياسة الهيمنة العالمية التى تمارسها الولايات المتحدة ، كان مصدره الخطاب الأساسى حول التاريخ العالمى (الذى يشكل أحد عناصر برنامج صموئيل هانتغتون حول موضوع « صدام الحضارات ») .
 (مجلة Commentaire العدد 66 صيف 1994) .

لقد عبر البنتاغون حتى هذه المرحلة ، عن تفاؤله الطوباوى وأحلامه بالهيمنة العالمية ، مما يتوافق وصدق كتاب فوكوياما « نهاية التاريخ » الذى يستند بالأساس إلى فرض اسوأ نظرية من نظريات الهيمنة الليبرالية على العالم بأكمله ، ألا وهى ديانة السوق التوحيدية التى تحدثنا عنها بالتفصيل سابقاً⁽⁵⁾ ، وتتميز أطروحة (صموئيل هانتغتون) بشفافية أكثر أى أنها تعرض بوضوح العراقيل التى تقف فى وجه تحقيق ما يسمى بـ « النظام العالمى الجديد »⁽⁶⁾ .

منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، أى فى غضون نصف قرن ، كانت الولايات المتحدة تتذرع بتكديس ترسانة أسلحتها بحجة : التهديد السوفياتى .

وتحت مسميات الأمن الوطنى الأمريكى ، قامت الولايات المتحدة بتبرير اعتداءاتها فى كل اصقاع العالم حتى وصل بها الحد للذهاب إلى فيتنام مروراً بكوبا وحتى دعم

الديكتاتوريات العسكرية فى أمريكا اللاتينية كما دعمت ماركوس فى الفلبين ، إضافة إلى إقدامها على حماية نظام التمييز العنصرى فى جنوب أفريقيا سابقاً .

كان لابد بعد انهيار الاتحاد السوفيتى ، من إبدال أدوار المسميات (الخبيث) و«امبراطورية الشر» وشن الحرب على ثلاث قارات بما فيها الإسلام بذريعة أن تهديد «الإرهاب»⁽⁷⁾ العالمى يبرر استمراريتها فى التسلح بل والإسراع فى هذا السباق المحموم إضافة إلى «التدخل»⁽⁸⁾ فى الشؤون الداخلية على الصعيدين الاقتصادى أو العسكرى فى أنحاء العالم كافة ، تشكل أطروحة هانتنغتون حول « صدام الحضارات » القاعدة النظرية لهذا التوجه الاستراتيجى الجديد ، وتكشف لنا استنتاجاته ما يلى :

« أن صدام الحضارات سوف تهيمن على مجمل السياسة العالمية ، وإن علامات التصدع بين الحضارات سوف تصب فى سمات المستقبل . . » وكتب أيضاً : « إن الحروب الداخلية تحدث أساساً فى قلب الحضارة الغربية » وهى كانت فى الأصل «حروباً أهلية غربية» ، وإذا ما استعرنا الصيغة التى جاء بها (وليم ليند) ، فإن ذلك ينطبق على الحرب الباردة وكذلك على الحربين العالميتين والحروب الداخلية فى القرن السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر ومع نهاية الحرب الباردة خرجت السياسة العالمية من واجهتها الغربية لتصبح مركزاً لتداخل الحضارات الغربية وغير الغربية على حد سواء .

يبين (هانتنغتون) من خلال هذه الاستنتاجات وبوضوح تطبيقاته التحليلية من وجهة نظر السياسة الدولية ، ويمكن أن تتسم هذه التطبيقات بامتياز على الأمد القصير وتتكيف على الأمد الطويل ، فعلى الأمد القصير : إن للغرب بوضوح مصالح فى ميدان تطوير التعاون والاتحاد فى قلب الحضارة التى يمثلها ، وبصورة خاصة بين المكونات الأوروبية والأمريكية الشمالية ، وتضم داخل الغرب مجتمعات أوروبا الشرقية والأمريكية اللاتينية التى تكون ثقافتها قريبة من هذه الحضارة ، ويتلخص ذلك فى تحديد تزايد نمو القوات العسكرية فى الحكومات الكونفوشيوسية (يقصد بها الآسيوية) والإسلامية ، وعدم اختزال القوى العسكرية الغربية ، والحفاظ على تفوقها العسكرى فى الشرق الأدنى وفى آسيا الجنوبية الغربية ، واستغلال الاختلافات والتناقضات بين الحكومات الكونفوشيوسية والحكومات الإسلامية ، ومساندة الجماعات التى تعزل القيم والمصالح الغربية فى الحضارات غير الغربية وتقوية المؤسسات الدولية التى تجسد بشكل شرعى مصالح الغرب وقيمته ، وتفضل مساهمة الدول غير الغربية فى هذه المؤسسات ، هذا على الأمد القصير . أما على الأمد

البعيد : فهناك إجراءات متأولة ، وبالتيجة يجب أن يحتفظ الغرب بالقوة الاقتصادية والعسكرية الضرورية لحماية مصالحها عبر علاقاتها مع هذه الحضارات .
هذه هي أهمية الوضوح في الرؤية على الأقل ، ولنطرح السؤال التالي :
ما هو دور إسرائيل في « الجيوبولتيك » بهذا المعنى ؟
مما لا شك فيه أن إسرائيل تحتل موقعاً استراتيجياً حاسماً في عملية « تصادم هذين العالمين » .

لقد استحضّر الأب الروحي لإسرائيل⁽⁹⁾ ، حتى قبل أن توجد رسالته الأساسية من أجل خلق « الدولة اليهودية » بجميع أشكالها بجوار القوى العالمية ، ومن ثم الاستعمارية مثل (إنكلترا ، ألمانيا ، إيطاليا ، روسيا) وكان منطقها الجدلى الكبير يكمن في أن إحدى هذه الدول التى تسعى إلى حماية « الدولة اليهودية » لا يكون لها امتياز خاص عن منافساتها فحسب ، بل ستمثل هذه الدولة بالنسبة إلى الجميع نقطة ارتكاز في الغرب لضمان أى تدخل استعمارى ، وكتب أيضاً فى عام 1895 فى كتابه « الدولة اليهودية » ، نحن نبنى بالنسبة إلى أوروبا ، هناك جزء من متراس ضد آسيا وسنصبح الحارس الأمامى للحضارة ضد البربرية⁽¹⁰⁾ .
[الدولة اليهودية ، منشورات ليشنز / باريس 1926 ص 95] .

وكان إيزنهاور يعتبر الشرق الأوسط بمثابة « المكان الاستراتيجى الأكثر أهمية فى العالم » [التصادم العربى - الإسرائيلى الآخر ، ستيفن سبيغل جامعة شيكاغو/ 1985 ص 51] .

وتتمتع إسرائيل بثلاث مزايا مهمة :

- 1 - موقعها الاستراتيجى فى قلب عالم يمتلك نصف البترول العالمى الذى يشكل عصب النمو والتطور (بالمعنى الأوروبى للكلمة) .
- 2 - وضعها الاقتصادى فى قلب عالم يمتلك نصف البترول العالمى الذى يشكل عصب النمو والتطور (بالمعنى الأوروبى للكلمة) .
- 3 - استخدام أسطورتها اللاهوتية باعتبارها شعب الله المختار⁽¹¹⁾ كغطاء فى وجه الأطماع الغربية حول أوضاعها الاستراتيجية والاقتصادية ووضع اغتصاباتها مهما تكن فوق جميع القوانين والمراسيم الإنسانية وخصوصاً فوق جميع قرارات الأسرة الدولية .

على سبيل المثال أدانت الأمم المتحدة إسرائيل 192 ، مرة واستعملت الولايات المتحدة « الفيتو » من أجل حمايتها فى اللحظة الأخيرة ، وتطمح إسرائيل إلى ضم الأراضى الفلسطينية بأكملها ، باعتبارها خطوة أولى للغزو الذى أطلق عليه هتلر

« الميدان الحيوى » (ليبنسروم) والمقصود به جميع الشرق الأوسط والأدنى ، الممتد من الفرات إلى النيل ⁽¹²⁾ ، وذلك من خلال تفكيك الدول المجاورة وفتيتها (لبنان ، سوريا ، العراق ، الأردن ، مصر ⁽¹³⁾) لأن موقعها يتركز فى التقاطع الجغرافى والاستراتيجى لثلاث قارات ، أوروبا التى تشكل جبهتها الأولى ، آسيا وأفريقيا .

لقد أدان الجنرال ديغول فى خطابه فى « بنوم بنه » السياسة الأمريكية فى فيتنام ورسم القوى السياسية فى خطوطها الكبيرة على الصعيد الدولى ، رابطاً التزامات الولايات المتحدة فى جنوب شرق آسيا بإرادة الإسرائيليين فى السيطرة على البحر الأحمر ⁽¹⁴⁾ ، وإرادة القادة الإسرائيليين استباق الأحداث ، لحساباتهم الخاصة فى الأهداف الأمريكية لغزو قناة السويس بالتواطؤ مع إنكلترا وفرنسا .

وتمسكوا بتأميم عبد الناصر لقناة السويس كذريعة ، فقد كتب وزير الخارجية الفرنسى كريستيان بينو آنذاك ، جاء ابن غوريون إلى باريس فى عام 1954 ومكث من 22 إلى 24 تشرين الأول (أكتوبر) والتقى برئيس الوزراء ، غى موليه ، ووزير الدفاع (بورغيس مايونورى) وسكرتير الدولة للدفاع الإنكليزى «سلوين لويد» وأنا . . (غيوم فوق قناة السويس / 1964) .

أما بالنسبة إلى التنسيق العسكرى للعملية فقد تم التشاور فى باريس بالمثل بين (موشى دايان) و(شمعون بيريس) من جهة ، والجنرال (شال) ، وهو أحد قادة «انقلابات الجنرالات» فى الجزائر من جهة أخرى (لان لافى / موشى دايان / ص 156) .

لم يُرد الأمريكيون ولا السوفيات إضاعة هذه الغنيمة ، وتوقف الاعتداء الإسرائيلى الجديد على قناة السويس فى اللحظة الأخيرة .

ولم يكن بالنسبة إلى إسرائيل سوى جزء مستعاد قبل كل شئ ، تعتبر قناة السويس الممر الاضطرابى نحو المحيط الهندى وآسيا الجنوبية الغربية ، ومن هنا ولد طموحها الأول وتم تحقيقه فى خليج العقبة الذى يطل على البحر الأحمر شريطة أن يكون مضيق « تيران » فى أياد أمينة استبعاد المملكة العربية السعودية من ضفته الشمالية ، ومصر من ضفته الجنوبية من قبل الولايات المتحدة وإسرائيل مما سمح للأخيرة أن تحصل فى فترتين زمنيتين على هذا الضمان : أولاً من خلال اتفاقيات «كامب ديفيد» التى تم توقيعها تحت ضغطهما فى 18 أيلول (سبتمبر) من عام 1977 ، والتى من خلالها تحطمت إمكانية تكوين جبهة متحدة بين الدول المجاورة لإسرائيل التى تهدد أطماعها التوسعية ، وفى المقابل تم إعطاء إسرائيل الحرية فى

الهجوم على جميع هذه الدول .

وهكذا بدأ الوجه الجديد لأطماعها التوسعية تحت وصاية الولايات المتحدة ، فقد بدأ التنسيق المالى والسياسى بين إسرائيل والولايات المتحدة منذ عهد الرئيس ترومان تحت تسمية « الانطلاقة الرابعة فى برنامج الدعم » استلمت بموجبه إسرائيل لوحدها من عام 1948 وحتى عام 1952، مساعدات مالية أكثر مما تلقتها خمس دول مجتمعة من المشرق (مصر ، لبنان ، الأردن ، سوريا ، العراق) التى يفوق تعداد نفوسها على إسرائيل بعشرين مرة .

أما ما يخص « التعاون العسكرى الذى بدأ منذ عام 1916 » فقد أخذ حجماً هائلاً وخصوصاً بعد اتفاقيات كامب ديفيد من خلال بروتوكولات الإتفاق الاستراتيجى التى تم توقيعها فى واشنطن فى الثلاثين من تشرين الثانى (نوفمبر) عام 1981 ، متمضناً فى فقراته توريد الأسلحة لإسرائيل من قبل (ريغان) ما يفوق الاتفاقيات السابقة ، وعلى الخصوص تزويدها بـ 75 طائرة مقاتلة جديدة من طراز F 16 قبل أيام فقط من غزو لبنان ، وبعد مرور ستة أسابيع على إخلاء صحراء سيناء وغزو لبنان ، وهكذا بدأت بوادر مشروع إسرائيل الكبرى تتحقق وبمثابة امبراطورية حقيقية فى الشرق الأوسط كما اقترحها (أرييل شارون) فى كانون الأول (ديسمبر) من عام 1981 بقوله : فى السنوات المقبلة لا يمتد ميدان مصالح إسرائيل الاستراتيجية إلى الدول العربية فى البحر الأبيض المتوسط فحسب ، بل يجب أن يمتد إلى الشرق الأوسط بأكمله كما ينبغى أن يمتد أيضاً إلى إيران وباكستان والخليج وأفريقيا وتركيا .

وعلى خطى نموذج الولايات المتحدة فى مطاردتها للهنود من دون تحديد لأطماعها التوسعية ، فقد أضاف (موشى دايان) فى عام 1982 ما يلى : « خذوا الإعلان الأمريكى للاستقلال فإنه لا يحتوى على ذكر لأى حدود على الأرض .. ونحن أيضاً لسنا مجبرين على رسم حدود دولتنا ، جيروزاليم بوست 10 آب (أغسطس 1967) .

واطمأنت إسرائيل من خلال اصطفاف مصر مع الولايات المتحدة فى عام 1982 واستلمت الضوء الأخضر من واشنطن ، وقد صرح (ميكائيل كونكاك) ممثل إسرائيل فى الأمم المتحدة فى 8 تشرين الثانى (نوفمبر) من عام 1964 قائلاً : ليس لإسرائيل اطماع فى الدول المجاورة » . [وثائق الأمم المتحدة 505 . PV . 5PC . A] .

فى 5 حزيران (يونيو) عام 1967 (التايمس - لندن / 25 حزيران « يونيو » 1969) كشف موسى دايان ، على العكس ، تعمد إسرائيل على العدوان وسبق إصرارها ، إذ أمر الجنرال «هود» الطيران الاسرائيلى بالقصف معلنا « إن 16 عامًا من التحضيرات نفذت فى 80 دقيقة، إننا نعيش لحظة التنفيذ تمامًا بشكل متواصل ، [صانداى تامينز / لندن 26 تموز «يوليو» 1967 ص 7] .

وهكذا نعرف بطريقة أفضل كيف نميز أكاذيب السياسة الإسرائيلية .

الإحالات المرجعية والهوامش الوثائقية

(1) وهي المقالة الخامسة التي وردت في مجلة المشاهد السياسي - السنة الثالثة ، العدد 64 ، لندن 1 : 7 يونيو 1997.

(2) قراءة في فكر علماء الاستراتيجية - الكتاب الثاني - د . حامد عبد الله ربيع (مصر والحرب القادمة) إعداد د. جمال عبد الهادي وآخرون ، مطبعة دار الوفاء طبعة أولى عام 1998 ص 23 .

(3) مصدر سابق ص 24 .

(4) مصدر سابق ص 24 هامش 2 .

(5) الفصل الثاني المبحث الأول من هذا الكتاب ص 50 وما بعدها .

(6) النظام العالمي الجديد : يخطئ من يظن أن النظام العالمي الجديد بشكله الجديد الذي تترع عليه الولايات المتحدة سيستمر عقدًا أو عقدين من الزمان على أقل تقدير . وحتى ندرس الحالة الجديدة للنظام العالمي الجديد لابد لنا من استعراض سريع لحالة نفس النظام منذ نشأته ، حيث إنه ليس نظامًا جديدًا ، بل إنه نظام استعماري قديم ، تتجدد الزعامة فيه كلما حسمت المعركة لصالح طرف من أطراف الصراع العالمي . وهذا النظام بدأ بمؤتمر فرساي بعد الحرب الكونية الأولى ، وأوجد - النظام - عصبة الأمم كأداة لتطبيقه، وفرض شروط المنتصرين على العالم ، وأصابنا - نحن الفلسطينيين - ما أصابنا منه في حينه ، الانتداب واتفاقات (سايكس - بيكو) المستندة إلى وعد بلفور ، وهو نفسه النظام الاستعماري الذي أعاد ترتيبه المنتصرون في الحرب العالمية الثانية ، وأوجدوا لتنفيذه منظمة الأمم المتحدة .. وهذا هو وضع العالم .. تنهب أمريكا العالم الثالث ، وتنهب حتى حلفائها وهؤلاء الحلفاء يجاورونها على حذر مضطرين بسبب قوتها العسكرية . وفي نفس الوقت يحضر الاقتصادان العملاقان الألماني والياباني نفسيهما لوراثته مسئوليات قيادة العالم ونهبه أيضًا حال سقوط أمريكا المتوقع في أي لحظة .

[منبر الشرق - السنة الثانية - العدد 10 - نوفمبر 1993 ص 121 وما بعدها مقاله « نظرة تحليلية للنظام العالمي الجديد . بقلم ليث الشيللات] .

(7) الإرهاب Terrorism ، فقد استحدث هذا اللفظ (صانعو النظام العالمي الجديد) ، من خلال ثقافتهم ومن خلال تاريخهم ، وحاولوا استخدامه - إسقاطه - في بلداننا الإسلامية ، للدلالة على الدعاة - إلى الله - إلى التمسك بالكتاب والسنة ، فوصفوههم أولاً بالمتشددين ، واستخدموا إصطلاح الأصوليين ، ولما لم يجدوا لهذا المصطلح نجاحًا ، صدر الغرب إلينا لفظي « المتطرفين » و « النطرف » ولما لم يلق كل من هذين اللفظين رواجًا في البلدان الإسلامية ، لأنهم لم يستطيعوا أن يحددوا من هو المتطرف ، فاستخدموا لفظ الإرهاب مع أن هذه الترجمة (Terrorism) الإرهاب مشتقة من اللفظ القرآني « ترهبون » الوارد في الآية 60 من سورة الأنفال قوله تعالى : ﴿ وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ .. ﴾ فالآية تدعو إلى إعداد القوة قدر الاستطاعة كإجراء وقائي يمنع أعداء الله وأعداء الأمة الاعتداء عليها . فالآية الكريمة تدلنا على المنهاج الإسلامي لردع العدو تجنبًا للحرب !!

* وهذا المعنى يظهر من الآية التي بعدها مباشرة : ﴿ وَإِنْ جَحَحُوا لَسَلِّمُ فَأَجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ

السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿ الأنفال / 61 .

* فالمسلمون لا يسألون من موقف الضعف فيكون « استسلاماً ، ولكن من موقع القوة ، ولا يعدلون إعداد القوة حال السلم ، حتى يرتدخ العدو فلا يفكر في الاعتداء عليهم . .

*** وتعتبر التعبئة العالمية لمحاربة « الإرهاب » أحد مكونات « ثقافة السلام » ؛ ويعبر بعض أعداء الإسلام بقولهم « محاربة أعداء السلام » وهم يشيرون إلى مسلمي فلسطين من « منظمة حماس » إلى « الجهاد الإسلامي » .

* إن « محاربة الإرهاب » ليست حرباً عسكرية فحسب ، بل هي « حرب ثقافية » في المقام الأول ، لذا نجدهم يضيفون لفظ « التطرف » للفظ الإرهاب ، ويتحدثون عن أن حرب الإرهاب يجب أن تمتد إلى تخفيف متابعه . وهو في الحقيقة شعار يحمل خبثاً ، وهو شن حرب عالمية شاملة ضد الإسلام . [نحو نهضة أمة . كيف نفكر استراتيجياً مصدر سابق ص 403 ، ص 406 بتصرف] .

(8) التدخل في الشؤون الداخلية : لقد صاغ الرئيس « جيمي كارتر » مبدأه الاستراتيجية في خطابه يوم 23 يناير 1980 أمام الكونجرس الأمريكي الذي تناول فيه حالة الاتحاد State of union فقال : [إن أية محاولة من قوة خارجية للسيطرة على منطقة الخليج الفارسي ، سوف ينظر إليها على أنها هجوم على المصالح الحيوية الأمريكية ، وسوف يتم رد الهجوم بكل الوسائل بما في ذلك القوة المسلحة » ... واستعداداً للتدخل العسكري في الخليج ، خططت إدارة كارتر منذ مطلع عام 1980 لإنشاء قوة مشتركة للانتشار السريع RDJTF من مائتي ألف جندي (200000) تتركز في قاعدة ماكديل Macdill الجوية بولاية فلوريدا ، وتستعد للفتح في منطقة الخليج عند وقوع أزمات ، وذلك من أجل حل مشكلات ذات طبيعة « سياسية واقتصادية واجتماعية » قد تهدد المصالح الحيوية للولايات المتحدة الأمريكية . وأن يكون تدخلها بطلب أو بدون طلب .

* كما تضمن التخطيط ضرورة حمل دول المنطقة على التعاون مع قوات التدخل الأمريكية [نحو نهضة أمة - كيف نفكر استراتيجياً ص 273] .

ملاحظة : ومصر أول من سارعت في التعاون وتحملت للفكرة ويسرت استخدام مطار غرب القاهرة ، وميناء رأس بناس على البحر الأحمر ، ولكن دون اتفاقات مكتوبة . . . وفي 11 نوفمبر بدأت عملية نقل وحدات من الفرقة 101 المحمولة جواً إلى الجزيرة . . وتم نقل المجموعة 150 مقاتلات تكتيكية إلى الجزيرة من مطار غرب القاهرة .

[راجع كتاب William Stivers . p . p مصدر سابق ص 274 ، 91 ، 90 .

(9) الأب الروحي لإسرائيل هو ثيودور هيرتزل .

(10) يقصد الإسلام ودول الجنوب .

(11) شعب الله المختار : هذه الصيغة لم ترد في التوراة على الإطلاق ، وإنما اختلقها الحاخامات هكذا : « ويمكن تصنيف سكان العالم إلى صنفين : إسرائيل من جهة ، الأمم الأخرى مجتمعة من جهة ثانية . إن إسرائيل هي شعب الله المختار : هذه عقيدة سياسية » . (الحاخام كوهين ، التلمود ، باريس 1986 ص 104 . الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية ج1 / المغرب : ص 52 .

(12) من الفرات إلى النيل : وكتب (هيرتزل) في يومياته عن يوم 15 / 10 / 1889 ما نصه : [لقد تحدثت مع (بود نهايمر) المحامي والزعيم الصهيوني الألماني وأحد رجال أحبار صهيون - في أمر الطلبات التي نريدها (المساحة من وادي النيل إلى الفرات » وهذا التحديد التقليدي يتضمن ، بصيغة أو بأخرى ، علاقته بمنطقة

الخليج، سواء علاقة احتواء، أو علاقة جوار لهذه المنطقة [. وذكر في كتاب (الخليج العربي بين الأمبراليين والطامعين في الزعامة، لمؤلفه الروسى « غريغورى بونداريفسكى » ص 134 ما نصه [أن هيرتزل قال عام 1904 « إن ما يلزمنا ليس الجزيرة العربية الموحدة، وإنما الجزيرة العربية الضعيفة المشتتة، المقسمة إلى عديد من الإمارات الصغيرة الواقعة تحت سيادتنا والمحرومة من إمكان الاتحاد ضدنا] . [مجلة العالم، السنة الثانية، العدد 7 يونيو 1999 ص 44] .

(13) مصر : إذا تم تفتيتها - تقسيمها - فتلك هى الكارثة !! على الأمة ... والعالم الإسلامى بالذات، وعملية تقسيم مصر إلى أربعة محاور هذا ما خطط له العدو الصهيونى .

أ - نشرت هذا التقسيم جريدة « عرب تايمز » فى عددها 107 ص 38 بتاريخ 11 : 20 ديسمبر عام 1992 .
ب - وهذا القرار تقسيم مصر لمحاور أربعة، تحدث عنه د . حامد عبد الله ربيع « أستاذ ورئيس قسم العلوم السياسية، كلية الاقتصاد، جامعة القاهرة فى عام 1983، ونشر هذا الكلام فى الأهرام الاقتصادى العدد 733 فى 31 / 1 / 1983 .

ج - وتفصيلات هذا القرار « حذر منه » د . جمال عبد الهادى مسعود فى كتابه « الطريق إلى بيت المقدس - القضية الفلسطينية - ج3 فصل 15 المبحث الأول ص 136 . طبعة دار الوفاء عام 1999 . ص 22، ص 23 .
وظهر هذا التحذير مرة أخرى فى كتاب قراءة فى فكر علماء الاستراتيجية (الكتاب الرابع) احتواء العقل المصرى .. د . حامد ربيع، إعداد د . جمال عبد الهادى وآخرون ؛ ضمن سلسلة « نحو وعى سياسى واستراتيجى وتاريخى » ص 22، ص 23، طبعة أولى عام 1999، وملف إسرائيل، جارودى، دار الشرق القاهرة 1983

(14) السيطرة على البحر الأحمر : كان هدف إسرائيل فى حرب مصر - العدوان الثلاثى - وقدراً كان تأميم عبد الناصر لقناة السويس، فاتخذها العدو - كذريعة - للتآمر الثلاثى (على الأرض الفرنسية) (بمنطقة سيفر) بتعاون سياسى وعسكرى واستخباراتى، منذ شهر أبريل 1956، وتم الاتفاق المبدئى بين الثلاثى (إسرائيل، وفرنسا وبريطانيا) على القيام بعمل عسكري مشترك فى شهر أغسطس، وتم التوقيع على التفاصيل فى بروتوكول « سيفر » من (ضواحي باريس) يوم 24 / 10 / 1956 - والذين وقعوا الاتفاق هم (ديفيد ابن جوريون) رئيس الوزراء ووزير الدفاع، (غى مولين) رئيس وزراء فرنسا، « سلوين لويدي » وزير خارجية بريطانيا، فى حضور « موسى ديان » رئيس الأركان العامة الإسرائيلى - وبدأت إسرائيل تنفيذ المؤامرة مساء يوم 29 / 10 / 1956، ودخلت بريطانيا وفرنسا الحرب من خلال السيناريو المحكم يوم 31 / 10 / 1956، انطلاقاً من ميناء « فاليتا » بمالطة، ومن الجزائر ومن قبرص، و« الحبانية » بالعراق، و« هويلس » بلبنيا . وخصصت فرنسا غطاءً جويًا فوق إسرائيل، وجسرًا جويًا لنقل وحداتها المظلية التى بدأت « العدوان الثلاثى » فى سيناء . [كيف نفكر استراتيجيًا . لواء أ . ح . فوزى محمد طایل ص 262 عام 1997 طبعة أولى . مركز الإعلام العربى] .

المبحث الثاني

[من غزو لبنان ... إلى حرب الخليج الثانية]⁽¹⁾

* لا تزال منطقة « الخليج » تقع بين « فكي كماشة » للصراعات الدولية ، وحسابات الصهيونية وإسرائيل .

* ولا تنفصل هذه المنطقة عن مجمل استراتيجيات⁽²⁾ الدول العظمى ، التي تصل أحياناً إلى حد الصدام فيما بينها ، لا تحسم إلا باختلاق خلافات بين دولها ، أو حروب تكون مدعاة قوية لوجود دولي أو صهيوني مرابط بها ، بعد إرساء قناعات محددة بضرورة ذلك ، وموافقة أرباب القرار عليه !!

* وبطبيعة الحال لا تدور هذه الصراعات بمعزل عن « السياسة الأمريكية والإسرائيلية » في المنطقة العربية عموماً ، سواء ما هو معروف منها أو ما هو خفي تكشفه التطورات اللاصقة .

* وقبل أن نتحدث - ندخل - في هذا المبحث ، لنظهر أطماع الصهيونية ، لابد من إيضاح الأهمية الاستراتيجية الكبرى لهذه المنطقة . وهي التي تبلور في امتلاك الخليج ثروة نفطية كبيرة في مجالى الإنتاج والمخزون الاحتياطي الذي يبلغ نحو 45% من المخزون النفطي العالمى . وهذا الذى جعل « جولدا مائير » رئيس وزراء العدو تقول للمستشار الألمانى الغربى « فيللى برانت » عام 1973 : « إننا نحن الإسرائيليين إن غفرنا لموسى كل شيء .. فلن نغفر له أنه شاء أن يقودنا فى هذه المنطقة الغزيرة بالنفط ليستقر بنا فى البقعة الوحيدة من هذه المنطقة التى لا نفط فيها⁽³⁾ ، ويضاف إلى ذلك أن منطقة الخليج تتكامل مع الأراضى العربية الأخرى ، لسيبلغ الإنتاج النفطي العربى العام نحو « ثلث » الإنتاج العالمى . فى حين يصل الاحتياطي المحقق فى الحقول إلى « ثلثى » احتياطي العالم كله ، فضلاً عن أن أوروبا الغربية وحدها تعتمد بنسبة 85% على النفط العربى كمصدر للطاقة ، وصناعة البتروكيماويات ، بعد أن عجزت عن إيجاد بديل مناسب للبتروى العربى .

* وعلى هذه الأهمية⁽⁴⁾ تبرز الصراعات والأطماع الصهيونية فى منطقة الخليج .

**** فقال جارودى :**

« مثلما حصل لمصر وقناة السويس حصل أيضاً فى لبنان عام 1982 ، (شيمون شيفر) الصحافى الإسرائيلى الذى نشر كتابه بالعبرية أولاً ثم ترجم إلى الفرنسية بعنوان « عملية كرة الثلج » . [منشورات لاتيس ، باريس 1984 ص 281 ، 282] قال فيه : (كانت حرب لبنان أمراً حتمياً ، فقد رسمت هذه الحرب بعمق ضمن المبادئ الأساسية لصانعيها ، مناحيم بيغن ، ارييل شارون ، ورافائيل إيتان ، وجرت كل تلك الأحداث فى المنطقة منذ التوقيع على اتفاقيات كامب ديفيد بين إسرائيل ومصر .

لقد انطلق موقف بيغن من فكرة ثابتة ، وهى إشعال حرب وقائية من أجل تعطيل وعرقلة عمل منظمة التحرير الفلسطينية فى لبنان ، والقيام بـ « مزيد من حرب الاستنزاف » على غرار ما قام به أسلافه قبله ، وهكذا عمل على تبرير فكرته .
فى صيف عام 1981 قامت إسرائيل بتدمير المفاعل النووى العراقى على الرغم مما كانت تنتظره من ردود فعل عالمية قوية وأحكام مسبقة متشائمة ، فلم تحدث ردود أفعال بمستوى الحدث ⁽⁵⁾ .

أما شارون وإيتان فقد استخدموا القوة ، استخداماً فعالاً ، وطبقوا على أرض الواقع مبادئ بيغن الأساسية التى يؤمن بها الاثنان ويشتركان فى تطبيقها) .

هكذا إذن كانت العملية مبرمجة منذ وقت طويل كعنصر غزو تؤمن به « إسرائيل الكبرى » ونفذت مع اختلاف حجم القوة وتباينها مما أبطل مفهوم المثل الإسرائيلى القائل « دافيد الصغير تصادم مع غوليات العملاق » .

عندما كان (بول مارك هنرى) سفيراً لفرنسا فى بيروت قدم شهادة مفادها ، (كانت تلك الحرب تمثل تركيزاً لا مثيل له من الجيوش ، وفى اللحظات الأكثر قوة من هذا الغزو عبأت قوات الدفاع الإسرائيلى فى لبنان نحو مائة ألف جندي وأكثر من ألف دبابة من طراز إم 60 ، ميركافا ، شيفتين ، وعدداً مماثلاً من دبابات طراز « فى تى إم 113 » تم استخدامها ونشرها .

كانت الارتال المدرعة جميعها مستقلة وتعتمد على بضعة آلاف من العربات المتنوعة ؛ لضمان إمداد الجيش بالموءن والوقود .

وكانت جميع فرق المفارز مرتبطة بنظامى اتصالات ونقل الكترونيين ، يعتبرهما الخبراء الأكثر تطوراً فى العالم ، ويكون هذا الجيش مستعداً لفرض هيمنته المطلقة ⁽⁶⁾ على ميدان الأرض وصد أى هجوم مضاد ، مستفيداً من تغطية جوية كاملة ، إضافة

إلى تأهب البحرية الإسرائيلية تأهباً تاماً ، ومزودة بسفن استطلاع صغيرة سريعة ومدمجة بأحدث أنواع الأسلحة .

سُفُنُ استطلاع « شيربورغ » بأنواعها وأشكالها كافة ، وهى قادرة على منع وصول أى إمدادات من الخارج ، لها القدرة على صد جميع عمليات الإنزال ، إضافة إلى قدرتها على ضرب المدن المحاصرة بالقذائف النارية مثلما حصل فى بيروت والدامور). [بستانيو الجحيم - ص 124] .

وحول موضوع استخدام هذه القوة ، قدم الصحافى الإسرائيلى راندال شهادته قال : (ما لا يقبل الجدل هو أن الإسرائيليين كانوا فى مواجهة المقاتلين اللبنانيين وأساليبهم الحرفية ، يفضلون استخدام التكنولوجيا الحديثة ويران قذائف طائرات طراز إف 16 ، والقنابل الموجهة أوتوماتيكياً والفوسفور الأبيض⁽⁷⁾ ، والدبابات والقنابل المضادة للأشخاص ، ومدافع أساطيلهم البحرية) ، [جوناثان راندال - حرب الألف عام ، منشورات غراسية 1984] .

(إن ما يثير السخط أنى لم أعرف قسمًا للحروق الكبيرة فى مستشفى بهذا الحجم كما رأيته فى بيروت ، فبعد قصف المدافع الإسرائيلية التى لم تخطئ أهدافها أبداً⁽⁸⁾ ، بدأت تطلق نيران قذائفها على المؤسسات التى ترتفع فوقها أعلام كبيرة للصليب الأحمر ، ولم تسلم اللجنة الدولية للصليب الأحمر من القصف الإسرائيلى ، كذلك المستشفيات الكائنة فى أسفل الأرض ، ومواقف السيارات قصفت أيضاً ، والجراحون اضطروا إلى الدفاع عن المستشفيات بأجسادهم ، وقد أطلقوا على أولئك الضحايا لقب مبتورى بيغن ، أى أولئك الذين تقطعت أوصالهم بعد إصابتهم بالقنابل الإسرائيلية) [اراندال . المصدر نفسه - ص 273] .

ما الذى تبقى فيما بعد ؟

تبقت عمليات ذبح الفلسطينيين .

وكانت مجازر صبرا وشاتيلا التى حاصرتها القوات الإسرائيلية لتسمح لقوات حبيقة القيام بتنفيذ هذه المجازر .

فقد كشف تقرير لجنة خان ، عن الرعب الحاصل ، وبذل جهوداً لإدانة أولئك الرجال الناجمين عن منطق النظام ، وكذلك إدانة الترويج للتصورات القائلة بأن التصفية الجسدية للفلسطينيين كانت نوعاً من اللغظ بينما كانت تلك المجازر مبرمجة منذ سنوات « التعاون بين القادة الإسرائيليين وقوات الكتائب اللبنانية ، ونتيجة لاقتراح تلك الجرائم ضد الإنسانية ، استطاع (أرييل شارون) ، ورافائيل ايتان تحقيق ،

« مستقبلهما السياسى » ، والاثنان يتعاونان الآن مع حكومة تانياهو ويتمتعان بمناصب مهمة منذ عام 1996 .

كل تلك الجرائم حدثت تحت الحماية غير المشروطة للولايات المتحدة ، التى لم تكتف باستعمال حق « الفيتو » ضد جميع أنواع الحظر على إسرائيل ، بل واصلت تزويدها بأسلحة الجريمة ، فمن بين 567 طائرة كانت تمتلكها إسرائيل عشية غزو لبنان هناك 457 جاءت من الولايات المتحدة مسنودة بالمنح والقروض من واشنطن .

* وفى 29 حزيران (يونيو) من عام 1975 كتب الصحافى الإسرائيلى (شلومو اهارنسون) : « أن السلاح النووى هو أحد الوسائل التى تتمكن من قلب آمال العرب فى تحقيق نصر نهائى على إسرائيل ، ذلك أن عدداً معيناً من القنابل النووية يكفى لإحداث تدمير هائل فى العواصم العربية ، وبإمكانه حتى تدمير سد أسوان ، وإذا ما أضفنا إلى هذه الأسلحة زيادة أخرى ، فيعنى ذلك أن بإمكاننا استهداف المدن الداخلية والمؤسسات النفطية ، وأن تدمير بعض الأهداف فى الوطن العربى يمكن أن ينزع عن العرب كل الامتيازات التى حققوها خلال حرب عام 1973 » .

* « إن شركات جنوب أفريقيا استخدمت إسرائيل من أجل أن تصرف الأنظار عن الحظر الاقتصادى فى بقية أنحاء العالم ، والاتفاقيات المعقودة بين إسرائيل ودول السوق الأوروبية المشتركة على الأصعدة الاقتصادية والصناعية والعلمية ، تسمح لجنوب أفريقيا بإدخال متوجاتها إلى هذه الدول ، وفوق كل تلك العلاقات ، يبقى التعاون العسكرى بين البلدين من أقوى العلاقات وأكثرها تفهماً .

* فى عام 1976 كتب رئيس المؤتمر اليهودى الأمريكى رسالة إلى الأمين العام للأمم المتحدة قال فيها : « يأسف لأن إسرائيل تعتبر من الدول التى تزود جنوب أفريقيا بالسلاح » . [صحيفة هآرتز 14-11-1976] .

و « عملية التبادل » الأساسية بالنسبة إلى جنوب أفريقيا هى امتلاكها لليورانيوم الذى كانت إسرائيل تطمع فى حيازته بشكل خاص منذ تشرين الثانى (نوفمبر) عام 1976 ، ومع أن إسرائيل تمتلك ترسانة تتألف من 13 إلى 20 قنبلة من طراز قنبلة « هيروشيما » .

* صحيفة « شؤون يهودية » حددت منذ عام 1976 « الاستراتيجية الإضافية »⁽⁹⁾

لإسرائيل فقالت : « تعتبر جنوب أفريقيا الشرق الأوسط حيث تترقى إسرائيل لتصبح حارساً متواضعاً ، ولا يمكن تعويضه ، الخط الأمامى لدفاعها . وبمصطلحات أخرى ، إسرائيل تحمى وينبغى أن تحمى لأقصى فترة ممكنة ، مدخل الممر الذى يمكن

أن يصبح أكبر مجال حيوى فى حالة الضرورة ، إن مستقبل الممر ما بين البحر الأبيض المتوسط والمحيط الهندى ، حاسم بالنسبة إلى إسرائيل ، ولا يقل أهمية بالنسبة إلى جنوب أفريقيا ، ويتمتع بدرجة حماية طريق رأس الرجاء الصالح ، وإذا ما سقطت هذه المنطقة بيد الأعداء فإن الطريق البحرى لرأس الرجاء الصالح سيتعرض إلى المتاعب ومشكلات الأمن التى تصبح بالنسبة إلى جنوب أفريقيا أكثر خطورة ، وبالنسبة إلى إسرائيل يمثل الحضور على أقصى الجنوب فى القارة الأفريقية ، وخصوصاً وجود أمة يقظة وقوية اقتصادياً ، عنصراً أساسياً من الناحية الاستراتيجية الحيوية فى تأمين حدودها الخلفية ⁽¹⁰⁾ .

وبشكل ملموس لا يترجم ذلك على طريقة الاستعراض فحسب ، مثل قيام (فورستر) برحلته إلى إسرائيل عام 1976 ، وتكتسب تلك المرحلة معنى آخر عندما يكون (فورستر) رئيس وزراء بلد كان من أكثر البلدان عنصرية آنذاك ، وهو يحمل رتبة جنرال أثناء الحرب ، فى التنظيم الموالى للنازيين (أوساوا برونديوك) بل ينعكس ذلك على التعاون الوطيد بين البلدين على الصعيد العسكرى والتجارى والثقافى ، وقد أشارت صحيفة « ها آرتز » المؤرخة فى 26 نيسان (إبريل) عام 1976 إلى تلك الزيارة وقالت : « نحن المشغولين بالتنقيب عن سلوك شخصيات أقل أهمية أثناء الحرب العالمية الثانية ، لكن سلوك فورستر جعلنا عابثين بماضيه » .

من هنا بمقدورنا أن نفهم كيف أن دولة إسرائيل الصهيونية استطاعت أن تأخذ هذا الحجم فى الاستراتيجية العالمية والتى بإمكانها اليوم أن تهدد السلام العالمى بأكمله .

ولم تعد دولة إسرائيل وكيلاً للاستعمار الغربى الجماعى تحت الهيمنة الأمريكية فحسب ، بل أصبحت بالنسبة إلى الولايات المتحدة حجر الزاوية فى توازنات علاقات القوة على الصعيد الدولى بل وفى توازنات الشرق الأدنى .

إن دور إسرائيل فى تزويد دكتاتورى أمريكا اللاتينية بالأسلحة والمعدات الحربية يكتسب أهمية بالغة بالنسبة إلى الولايات المتحدة .

وباتباع هذه السياسة تلعب إسرائيل دوراً متميزاً باعتبارها حارساً لحقوق النفط فى الشرق الأوسط ، وأكثر من ذلك فبعد سقوط شاه إيران الذى كان يؤمن للولايات المتحدة السيطرة على الخليج وعلى وجه الخصوص (مضيق هرمز) حيث يمر نصف البترول العالمى ، جاءت إسرائيل لتتعهد بهذه المهمة .

ولهذا السبب أيضاً فإن أحلامها فى التوسع نحو « إسرائيل الكبرى » ⁽¹¹⁾ تنسجم

وتتوافق مع أهداف الولايات المتحدة في المنطقة ، وبسبب دورها الأساسي ، وبفضل هيمنتها على الإعلام العالمي ، تحاول أن تصنع من إيران الجديدة « شيطاناً » من خلال إلصاقها بدور قائد الاوركسترا السرى في عمليات « الإرهاب الدولي » ⁽¹²⁾ .

* صحيح أنه منذ هتلر اعتبرت كل مقاومة ضد الاحتلال الأجنبي إرهاباً ، والآن يعتبر المقاوم اللبناني (سواء كان من أنصار الخميني أو لا) الذي يطلق الرصاص على جندي إسرائيلي من جيش الاحتلال بأنه يمارس عملاً إرهابياً .

وعندما يتم عن عمد وبالقنابل سحق اللاجئين المدنيين في مخيم تابع للأمم المتحدة في « قانا » يعتبر الإسرائيليون ذلك صراعاً ضد الإرهاب ، هذا ما يريده منطق إرهاب الدولة ، مثلما قام هتلر بإعدام أربعين مقاوماً في (شاتوبريان) لا لشيء إلا ليعاقب الإرهابي الذي قتل ضابطاً ألمانياً في محطة مترو « باريس » ، أو أن الولايات المتحدة تعتبر أمنها الوطني في خطر ، فتذهب عشرة آلاف كيلو متر بعيداً عن حدودها ، وتدمر بقنابل النابالم مئات الآلاف من البشر وتحرقهم في الغابات أو تحرق متوجاتهم الزراعية .

وبالطريقة نفسها تدافع إسرائيل عن « أمن » حدودها من خلال احتلال أراض وبيوت 700 ألف فلسطيني ، وقد فعل (أرييل شارون) أسوأ من ذلك في لبنان 20 ألف قتيل أغلبهم من المدنيين و 200 ألف سجين سياسي ، ونحو 20 في المئة من السكان الفلسطينيين ذاقوا مرارة السجون الإسرائيلية وأساليبها التعذيبية . [ها آرتز 8 آب « أغسطس عام 1980] .

أما شركاؤهم الأمريكيون فيتبعون أساليب أكثر تطوراً وتعقيداً ، ومن خلال تطبيق لعبة الحصار ⁽¹³⁾ يقدمون على قتل 200 ألف طفل سنوياً .

إن « أمن » إسرائيل والصراع ضد الإرهاب يتطلبان ذلك ، وأكثر من ذلك السيطرة على البترول أيضاً .

ذلك أن ملكية البترول هاجس الغرب الدائم ، فمنذ عام 1958 ، وحتى قبل تنفيذ خطوة نحو عمليات التأمين ، من قبل الزعيم العراقي عبد الكريم قاسم . كان للغرب امتيازات بترولية تصل إلى نسبة 94 في المائة على الأراضي الوطنية ، وزير الخارجية البريطاني (سلوين لويد) كتب إلى رئيس وزرائه مقدماً له تصورين فيما يتعلق بالكويت عندما تفجر فيها البترول عام 1946 ، أما القيام بـ « احتلال بريطاني فوري » أو خلق « نوع من سويسرا كويتية » .

إذا ما اخترنا البديل الثاني يبدو واضحاً إذا ما ساءت الأمور . فإننا سنضطر حينئذ

إلى التدخل بأقصى ما يمكن من الحزم ، مهما قد يؤدى ذلك إلى إثارة الشغب ، ثم يشير إلى التضامن المطلق للولايات المتحدة معنا فيما يتعلق بالخليج ، الذى يضمن اتخاذ إجراءات جذرية من أجل الحفاظ على وضعنا فى الكويت ، وكذلك هناك (حلول مشابهة) من طرف الأمريكين ، فيما يتعلق بحقول البترول فى أرامكو ، فى المملكة العربية السعودية .

* وهناك وثائق أمريكية للفترة نفسها ، حددت الأهداف الإنكليزية وبمصطلحات متشابهة ، إن المملكة المتحدة تجزم بأن استقرارها المالى سيكون مهدداً بشكل خطير ، فيما لو تعذر الحصول على البترول الكويتى والخليجى ضمن شروط مناسبة ، كما أن إنكلترا لا يمكن لها أن تتخلى عن الاستثمارات الهائلة فى المنطقة ، وأن الجنيه الاسترلى بحاجة إلى دعم البترول الخليجى .

وعندما أرسلت الولايات المتحدة قطعان جيشها إلى المملكة العربية السعودية فى آب (أغسطس) عام 1990 تثبتت حقيقة ، أن الولايات المتحدة لم ترسل قطعان جيشها إلى الخليج من أجل دعم المملكة العربية السعودية فى مقاومة الأعداء فحسب ، بل من أجل دعم دول الأوبك التى تخدم أكثر من غيرها مصالح واشنطن [صحيفة وول ستريت 31 آب / أغسطس عام 1989] .

وأرادت الولايات المتحدة بذلك أن تضرب مثلاً للعالم الثالث ، وتوضح للدولة بأنه لا يسمح لأى شعب أن يرفع من مستواه التقنى ويستغل ثرواته الوطنية ، «البترول بشكل طارئ» من دون رقابة الأسعار التى تفرضها القوى العظمى ، وخصوصاً ينبغى عليها ألا تتجاوز الديانة التى لا تتجزأ للإفصاح عن اسمها والتى تفرضها الولايات المتحدة على العالم بأجمعه وهى : ديانة السوق التوحيدية وعبادة المال ، وإلا ستلقى هذه الدول عقوبة التحطيم والتدمير إن قصف العراق حسب تخمينات الصليب الأحمر تسبب فى موت 200 ألف مواطن مدنى على الأقل ، كما أن إبقاء الحصار الاعتبارى ما زال يشمل المزيد من الأطفال⁽¹⁴⁾ الذين يفتقرون إلى أبسط أنواع الغذاء والدواء .

الإحالات المرجعية والهوامش الوثائقية

- (1) هذه هي المقالة السادسة التي جاءت في مجلة المشاهد السياسي ، السنة الثالثة العدد 65 ، لندن من 8 : 14 يونيو 1997 .
- (2) الاستراتيجية : كلمة مشتقة من أصل إغريقي ، كانت تستخدم بمعنى المكان المرتفع ، أو القائد الكبير ، ثم دخلت إلى اللغات الأوروبية الحديثة ، وأصبح مفهومها : فن توزيع واستخدام القوات المسلحة لدولة ما . . بغرض تحقيق أهدافها السياسية . وهي الوسيلة النهائية لحسم النزاع . . ثم تطور المفهوم ليصبح : المهارة في التخطيط والإدارة في أى قطاع سواء كان عسكرياً ، أم مدنياً . [كيف نفكر استراتيجياً مصدر سابق ص 24] .
- (3) مجلة العالم (تصدر شهرياً) السنة الثانية ، العدد 7 المركز الوطنى للدراسات الاستراتيجية المملكة العربية السعودية يونيو 1999 ص 44 ، ص 45 . وفى هذا التصريح تبدو الوقاحة الصهيونية .
- (4) مجلة العالم - مصدر سابق ص 44 تحت عنوان (الأحلام الصهيونية فى الخليج) .
- (5) وذلك لقوة تأثير « النظام العالمى الجديد » مع « العولمة الجديدة » على صناع القرار فى الدول العربية والأوربية وفق آليات النظام الجديد ، من صندوق النقد الدولى ، والقوة العسكرية ، والمعونات وغيرها لم يحدث ، ردود فعل فعلى بمستوى هذا الحدث !
- (6) ولقد أشار « إيجال آلون » فى كتابه « إنشاء وتكوين الجيش الإسرائيلى » إلى أن إسرائيل فى مواقف معينة سيكون من حقها ، بل وتكون مرغمة !! أن تبحث ضرورة عبور خطوط وقف إطلاق النار سواء فى هجمات مضادة إجهاضية محدودة أو واسعة النطاق ، فى غارات قصيرة أو عمليات واسعة [مجلة العالم - مصدر سابق - ص 45] .
- (7) وفى شهر نيسان أبريل 1984 ، نشرت مجلة المستقبل الصادرة فى باريس عن عدد من الخبراء الفرنسيين والبريطانيين أنهم أكدوا أن لدى إسرائيل « خططاً احتياطية متعددة » للقيام بعمليات عسكرية متنوعة الحجم ضد منطقة الخليج العربى ، وأن هذه الخطط تحاط بالسرية التامة بالطبع ، وليس من المستبعد أن تشمل القيام بعمليات كوماندور ضد بعض الإنشاءات والمواقع المهمة والحساسة فى المنطقة . وهى خطط بدأت تعدها إسرائيل بعد حرب 1973 فى إثر تزايد أهمية النفط وثقل منطقة الخليج فى الميزان الدولى . [مجلة العالم - مصدر سابق ص 45] .
- (8) وهم لا يرقبون حرمة النساء العجائز ، والأطفال الرضع ، ولا الحيوانات والدواب !!
- (9) راجع مجلة « المستقبل » الصادرة فى باريس عدد شهر نيسان أبريل عام 1984 (كلام الخبراء الفرنسيين والبريطانيين ، الذين أوضحوا الخطط الاحتياطية السرية التى أعدتها إسرائيل بعد حرب 1973) .
- (10) بعد العدوان الثلاثى عام 1956 بدأت إسرائيل عملية « تأمين حدودها ، مع مصر وقطاع غزة بقوات طوارئ دولية تابعة للأمم المتحدة وفتح مضيق « تيران » أمام مرور السفن الإسرائيلية ، وكانت مصر قد استأجرت جزيرتى « تيران وصنافير » المتحكمتين فى المضيق من المملكة العربية السعودية فى يناير 1950 وذلك لغلق مضيق « تيران » أمام استخدام ميناء « إيلات » فى الملاحة من إسرائيل إلى البحر الأحمر ، وذلك بعد أن

استولت إسرائيل عقب توقيعها [لاتفاقيتي الهدنة مع مصر والأردن] على قرية أم رشاشى المصرية وحولتها إلى ميناء سمته « إيلات » تربطها بالدول الواقعة على المحيط الهندى ، وقد أصدر مجلس الوزراء المصرى قراراً فى 18 / 3 / 1951 بإغلاق خليج العقبة أمام السفن الحربية والتجارية الإسرائيلية ، بعد إبلاغ القنصليات الأجنبية بأن مضيق « تيران » مياه إقليمية مصرية . [كيف نفكر استراتيجياً - مصدر سابق ص 262 هامش 3] .

(11) حسب تصور « تيودور هيرتزل » الأب الروحى لإسرائيل فى اجتماع 29 سبتمبر 1897 بمدينة بال بسويسرا (12) وذلك بغض النظر عن الإرهاب الدائم ضد العرب ، والذي تمثل بقتل أكثر من 30 ألف لبنانى مدنى (مغامرة غزو لبنان) عام 1982 ، الذى يعتبر نموذجاً للممارسات الإرهابية الأمريكية - الصهيونية . وما العداء الإسرائيلى المستحكم ضد إيران إلا صورة أخرى لهذا الإرهاب الذى أصبح استراتيجية نافذة لتحقيق السيطرة الأمريكية على الحد الامبرطورى لأمريكا فى الشمال .

[مجلة العالم - السنة الثانية - العدد 8 ص 11] .

(13) كما تم حصار « العراق » و « ليبيا » و « السودان » ... وهلم جرا ، أما بالنسبة لقصف وحصار العراق فقد أدى إلى قتل 1/4 مليون قتيل من الأطفال بسبب نقص الدواء والغذاء ووسائل الرعاية الصحية . [مجلة العالم - مصدر سابق - العدد 8 ص 12] .

(14) وهذا هو عين الإرهاب !!

فهدف الولايات المتحدة من النظام العالمى الجديد هو السيطرة على العالم كله ... فما هى الوسائل المستخدمة - الآليات - لتحقيق ذلك ؟ يحددها « جارودى فى النقاط التالية » :

- 1 - التحالف من أجل التقدم .
- 2 - سوق وحيدة من الأسكا حتى أرض النار !!
- 3 - توظيف القروض والهبات تحت غطاء المساعدة على التصنيع ، وهى فى الحقيقة بهدف تثبيت الشركات الأمريكية ، ومنحها الامتيازات (الاستدمارية) الكفيلة بالتحكم بمستقبل الاقتصاد الوطنى للبلاد المدينة . [الولايات المتحدة طليعة الانحطاط ترجمة صَبَّاح الحُثَيْم - ميشيل خورى - عطية للإعلام لبنان - ص 90] .
- 4 - نقل التقنيات من أجل التنمية والتصنيع فى العالم الثالث مجرد أكذوبة أمريكية فهدف التقنيات هو مجرد السيطرة على هذه البلاد ، ونهب ثرواتها [مصدر سابق ص 91] .
- 5 - الإخلال بالتوازن البيئى من أجل إقامة مشاريع استثمارية تضر بالبلاد الأصلية وتعود بالريح على الشركات المنفذة لهذه المشاريع اللاحضارية .
- 6 - فرض سياسات التسلح وإرهاق الميزانيات الوطنية .

المبحث الثالث

[المنطق التلمودى فى قراءة التوراة]⁽¹⁾

تقديم :

* لم يسجل التاريخ قضية من قبل تجمعت فيها الأحقاد العالمية ، والمتناقضات الدولية ، مثلما سُجل فى قضية فلسطين !!
فالإلحاد تآذر فيها مع الصليبية ، الشيوعية اتفقت فيها مع الرأسمالية ، حتى الكنيسة تفاهمت فيها مع اليهودية ، فتألف منها جميعاً حلقات من النفاق والبغى العلنى ، أو قل الكيد الخفى ، واستحكمت - كل هذه الأمور - حول القضية الفلسطينية الإسلامية .

* ولا يخفى علينا أصابع الشيطان وتحالفه مع اليهود ، فهو وراء هذا التجمع الغرب . . . العجيب المتناقض ، ولكن هناك « عقدة مشتركة » يَسُرُّ عليهم تسخيرها لتلك القوى - وهى علتهم - فى بغض الإسلام « وكل يعمل على شاكلته » .
* لقد كان أعداؤنا - أعداء الإسلام - على وعى كامل بحقيقة قدرة العالم الإسلامى على تحديهم منذ البداية . لقد علموا ذلك حين لم يستطيعوا التقدم شبراً واحداً فى ظل الخلافة الإسلامية - رغم ضعفها وحصارها يومئذ - لأن القضية كانت فى وضعها الصحيح . قضية دينية إسلامية . يوم وقف السلطان « عبد الحميد » موقفاً صلباً أمام الأطماع اليهودية .

* يوم رفض - السلطان عبد الحميد - أطنان الذهب التى عرضها عليه اليهود⁽²⁾ ثمناً لفلسطين ، فتآمروا عليه بواسطة « ملاحدة الأتراك » ! .

* ولذلك بذل أعداؤنا - اليهود ، الماسون والصليبيون - جهداً عظيماً لإفساد روح التدين فى هذا الشعب (العربى المسلم) ، وجره إلى متاهات « المنظمات » المتكاثرة التى تذهب به - بالشعب - بين اليسار الملحد تارة ، وبين اليمين الكافر أو « الضياع » المغلف بخداع الشعارات الزائفة « الحرية ، الديمقراطية ، العلمانية ، القومية ، التقدمية ، الاشتراكية . . . إلخ ، تارة أخرى .

- * وفى نفس الوقت كان اليهود الأذلاء المشتتون يقيمون من بقايا شعبهم أمة . . .
ومن أنقاض تاريخهم دولة !!
- * ويا عجباً لهم - اليهود - دينهم حرفوه ! ، كتابهم - التوراة - بدلّوه !! ،
وعلى أحلام التلمود . . الحقود الذى اخترعوه أصبح لهم كيان وسلطان .
* اليهود أشربوا العجل فى قلوبهم .
- * اليهود . . أشربوا أولادهم وأحفادهم التلمود المملوء بكل أحقاد الوجود . ولا
يخجل اليهودى - بل ويفتخر - أن ينسب ويتباهى بتاريخه المشين . المملوء بالأغلاط
والأحقاد والنفاق والغدر !! .
- * وعلى عاتق هذه الأمة - الأمة المؤمنة - يقع عبء مواجهة هذا الإجرام
الصهيونى ، وخاصة بعد أن خدع « شياطين التلمود »⁽³⁾ « هذه البشرية العاتية ، حتى
غدت تعينهم علينا فى غفلة وبلاهة » .
- * اليهود . . لهم خصائص نفسية بالغة التعقيد ، وتنطوى أخلاقهم على قمة
الاعوجاج والالتواء ، ولذلك تموج صدورهم بحقد طافح على الناس جميعاً ،
قلوبهم مملوءة بفعل الشر (كما أخبرت توراتهم) .
- * اليهود . . يسعون فى الأرض فساداً ويرون راحتهم . . وسعادتهم على أنقاض
الآخرين ، لا يستريحون إلا بالفساد والكيد ، والتآمر ، والبغى ، والتخريب . .
والانتقام .
- * اليهود . . قالت عنهم توراتهم التى بين أيديهم - [سفر أشعياء 59 / 4 : 8] :
[« لأن أيديكم قد تنجست بالدم وأصابعكم بالإثم ، وشفاهكم تكلمت بالكذب
ولسانكم يلهج بالشر ، ليس من يدعو بالعدل ، وليس من يحاكم بالحق .
* يتكلمون على الباطل ، ويتكلمون بالكذب ، . . . أعمالهم أعمال إثم . وفعل
الظلم فى أيديهم .
- * أرجلهم إلى الشر تجرى ، وتسرع إلى سفك الدم الذكى ، أفكارهم أفكار إثم
فى طرقهم اغتصاب وسحق .
- * طريق السلام لم يعرفوه !! ليس فى مسالكهم عدل . جعلوا لأنفسهم سبلاً
معوجة !! كل من يسير فيها - سُبُلهم - لا يعرف سلاماً »] .
- * اليهود . . أسفارهم شاهدة عليهم :
- 1 - [فقد زعموا أن « إسرائيل » - يعقوب عليه السلام - سأل إلهه : ولماذا
خلقت خلقاً سوى شعبك المختار ؟! فقال : لتركبوا ظهورهم ، وتمصوا دماءهم ،

وتحرقوا أخضرهم ، وتلوثوا طاهرهم ، وتهدموا عامرهم [سفر المكابيين الثانى 15 / 34 .

2 - فهذه مدينة « أريحا » حين ابتليت بهم كانت عقوبتها : [وحرّموا كل ما فى المدينة من رجل وامرأة ، من طفل ، وشيخ ، حتى البقر والغنم والحُمير ، بحد السيف » [سفر يشوع 6 / 22 .

3 - وهذا النبى الصالح داود عليه السلام ينسبون إليه أفظع الجرائم التى تتضاءل دونها جرائم فرعون ذى الأوتاد : [وأخرج الشعب الذى فيها ووضعهم تحت مناشير ونوارج حديد ، وفؤوس حديد ، وأمرهم فى أتون الآجر وهكذا صنع بجميع مدن بنى عمون ، ثم رجع داود وجميع الشعب إلى اورشليم !!] سفر صومائيل الثانى 12 / 31 .

*** وهنا ندرك (من خلال توراتهم) أن إحراق الشعوب فى الأفران هو اختراع قديم يهودى قديم ، وهم يُشنعون به على ما تسمى بالنازية زوراً !!
* جل شأن الله الرحمن الرحيم ، عن هذا البهتان المستطير وتنزهت كتبه ورسله عن هذا الإفك المبين .

داود عليه السلام نبى الله اختاره الله للخلافة وذلك عن جدارته فقال تعالى : ﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ ﴾ [ص : 26]
داود عليه السلام فضله الله بالعلم على سائر الخلق فاصطفاه هو وولده فقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النمل : 15] فهل يليق بنبى الله الذى فضله الله على كثير من العباد أن تتهمه اليهود بمثل هذه الاتهامات ، وتنسب إليه أفظع الجرائم ، وقد قال عنه ربه ﴿ وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ [الأنبياء : 79] ، داود عليه السلام عندما وهب الله له سليمان زكاه فقال تعالى : ﴿ وَوَهَبْنَا لِداوودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ [ص : 30] فليس من المعقول أن هذا نبى الله بتلك الواصفات وتصفه اليهود بعكسها !! برأه الله مما قالوا .

*** التلمود . . أدهى وأضل من التوراة !!

لم يكتف اليهود بهذه الشناعات الصارخة التى حُشيت بها التوراة على أنبياء الله ورسله وكانت أسفارهم مملوءة بالتزييف والتحريف فقد زعم أحبارهم أن الله تعالى

أوحى إلى موسى عليه السلام بطور سيناء نوعين من الوحي :

الأول : الشريعة المكتوبة (أسفار التوراة) .

الثاني : الشريعة المكررة (التعاليم الشفهية) .

وهي تعاليم « سرية » - في زعمهم - وتتضمن التفسير الحقيقي الصحيح الذي يعنيه الله ، ويريده من النصوص الظاهرة المكتوبة في أسفارهم .

أ - يزعمون أن هذه التعاليم - السرية - تُنَوِّلَت شفاهة عن موسى عليه السلام عبر أربعين جيلاً حتى انتهت إلى « يهوذا هاناس » فدونها⁽⁴⁾ خشية ضياعها وسميت « المشناة » .

ب - ثم عكف الأبحار على شرح « المشناة » في أورشليم ، وفي بابل وسميت تلك الشروح « الجمارا »⁽⁵⁾ .

ملحوظة : من المتن - التوراة - وشرحيه (المشناة) و (الجمارا) جاء ما عُرف [بالتلمود] بنوعيه :

أ - الأورشليمي .

ب - والبابلي .

وهما سواء في البهتان .. والافتراء .. والزور .

فالتلمود على هذا « هو الكتاب العقائدي الذي وحده يفسر ويبسط كل معارف الشعب اليهودي وتعاليمه .

أو إن شئت فقل [هو كتاب شرائع وآداب اليهود]⁽⁶⁾ .

* وهنا فقط .. يدرك القارئ ما عليه اليهود اليوم ، وهم يحاولون السيطرة على العالم كله ، اقتصادياً ، وعسكرياً ، وإعلامياً ، وثقافياً ومع كل حالة من تلكم الحالات يضعون قاعدة من قواعد التلمود ويقولون : إن الرب أمر بهذا ولا بد لنا من التنفيذ ، ولا يجوز لنا عصيان الرب .

* من هنا .. وهنا فقط - والله أعلم - أراد المؤلف « جارودي » في مبحثه هذا (المبحث الثالث) أن يناقش قضية « المنطق التلمودي في قراءة التوراة ، مناقشة عملية.. على أرض الواقع ، ليظهر من خلاله مدى التباين والتناقض والزيف والبهتان، فقال :

* « يمكن أن يتوافق المنطق « التوراتي » لإسرائيل الكبرى والدعم اللامشروط من واشنطن ليصبح عاملاً من عوامل تفجير حرب عالمية ثالثة ، أو يمكن أن يكون مفجراً لأول « حرب حضارية » إذا ما استعرنا مصطلح هانتنغتون .

نكتفى هنا بإيراد الملاحظتين التاليتين :

1 - ينبع الادعاء « التوراتى » لإسرائيل الكبرى الممتدة من الفرات إلى النيل أساساً من قراءة أصولية متطرفة للعهد القديم⁽⁷⁾ ، بمعنى أنها قراءة حرفية تحول الحكم العظيمة للبطارقة والأنبياء إلى مسألة تخص الوطنية ، بل والعشائرية ، وهذه القراءة هى عبارة عن هرطقة ضرورية تحتاجها الفلسفة الصهيونية . وهى بالتالى تؤدى إلى هذا التناقض:⁽⁸⁾ تخمن إحصائيات الحكومة الإسرائيلية بأن 15 فى المائة فقط من الإسرائيليين يمارسون الشعائر الدينية إلا أن غالبية الشعب الكبرى تعتقد بملكية هذه الأرض لأنها كانت موعودة لهم من قبل الله ، الذى لا يؤمنون به⁽⁹⁾ .

2 - إن ابن غوريون الملحد ، هو الذى أطلق شعار التوراتى المعروف تحت اسم مملكة دافيد الثالثة .

فقد استحضر البروفيسور الورع (ياشيا هو ليوفتز) ، وهو شخصية رائدة فى تنفيذ وإدارة الموسوعة العبرية ، تلك المناقشات مع ابن غوريون . ومن أقوال الرئيس ، « لا أقبل بفصل الدين عن الدولة أبداً ، وهذا ما سمح لاستبدال دولة إسرائيل برب إسرائيل وجعل من التعليم الدينى مدرسة فى الوطنية .

ويضيف ليوفتز : « لا أخوف من القول : إن الأداة الدينية تصبح حامياً لهذه الدولة العاهرة وهذا ما كان يريده ابن غوريون » . [ليوفتز / إسرائيل واليهودية 1987 ترجم فى عام 1993 / ص 53] .

وعند الحديث عن الأب الروحى لكل من بينغن والليكود⁽¹⁰⁾ ، جابوتنسكى⁽¹¹⁾ ، يقول : لا توجد فى وطنية اليهود آثار لليهودية ، وذهب جابوتنسكى إلى إثبات ما يمكن إثباته فى نفوس الأجيال القادمة وهو الجريمة . [المصدر نفسه / ص 76] . فمهما تكن الحكومة فى سدة الحكم ، من العمل أو الليكود ، تمثل هذه الأحزاب الدينية ، (الأصولية المتطرفة) أقلية طبقية ولكنها متحكمة فى الأغلبية وتفرض توجهاتها وإرادتها .

وبالمثل صرح موسى ديان ، وهو من حزب العمل⁽¹²⁾ ، قائلاً فى عام 1982 « إذا ما استطعنا امتلاك التوراة واعتبرنا أنفسنا كشعب التوراة ينبغى أنذاك أن نمتلك الأراضى التوراتية أرض الحكام والبطركيين . [جيروزاليم بوست / 10 آب ، أغسطس عام 1967] .

كان الجوهرى عندهم هو العثور على المراجع التوراتية وتبرير التوسع الدائم والغرض من الرجوع إلى النصوص التوراتية هو تبرير الاعتداءات⁽¹³⁾ والمجازر التى هى

من الأسس الثابتة للسياسة الإسرائيلية اليهودية .

[مثال ذلك] ومن أجل تبرير غزو لبنان ، ذكروا بأن هذه الأرض كانت عائدة لقبيلة «أشهار» والنموذج الاستراتيجي لغزوها هو نموذج « يشوع بن نون »⁽¹⁴⁾ نفسه ، الساعى لتنظيف « أوكار الإرهابين » ، وهكذا يضيف حاخام الجيش بأن حضورنا هنا وانطلاقه حربنا ليست سوى تكملة لواجبنا الدينى . [ها آرتز / 15 تموز « يوليو » عام : 1982].

وفى صحيفة « يديعوت احرونوت » فى عام : 1974 قام مناحيم باراش بتمجيد تعاليم الحاخام (موشى بن صهيون) الذى استخدم النصوص التوراتية فى تعريف الموقف الإسرائيلى إزاء الفلسطينيين ، لقد وشى بهذا الطاعن فى التوراة من أجل أن نستولى على الأرض الموعودة من قبل الله لإبراهيم .

ينبغى أن نتبع نموذج يشوع من أجل أن نفتتح أرض إسرائيل ونستقر بها كما أمرتنا به التوراة ، ولا يوجد مكان فى هذه الأرض لشعوب أخرى إلا لشعب إسرائيل ، وهذا ما يوضح بأننا يجب أن نطرد أى شعب يعيش هنا . إنها حرب مقدسة فرضتها التوراة⁽¹⁵⁾ .

وبعد مرور شهرين كتب الحاخام (اليزار فالدام) لـ « غوش اليمونيم » فى صحيفة «نيكورا» التى يصدرها المستوطنون فى الضفة الغربية ، ينبغى أن نؤسس نظاماً فى الشرق الأوسط وفى العالم ، إذا لم نبادر بأخذ المسؤولية على عاتقنا فإننا نعتبر مذنبين ليس أمام أنفسنا فحسب ، بل أمام العالم بأكمله ، من يستطيع أن يؤسس النظام فى العالم سوانا ؟ ، إن جميع القادة الغربيين يتمتعون بصفات ضعيفة . [دافار / 8 تشرين الأول « أكتوبر » عام 1982] .

وقد أدان (يهودا ابن مايير) ، أحد مؤسسى الحركة نتائج هذه السياسة ، حسب (غواش اليمونيم) ، فإننا لا نكتفى بغزو سوريا وتركيا فحسب ، بل يجب أن يتحول دم أطفالنا إلى حارس للعالم بأكمله .

وقد أوضح الحاخام أفينير (وهو أحد الأعضاء المؤثرين فى الباروا) فى عام 1995 ما يلى : إن اللجنة التى تقترب ضد اليهودى هى على الدوام ، أكثر خطورة من لجنة التى تقترب ضد غير اليهودى ، هذه هى تعاليم التوراة⁽¹⁶⁾ يفترض فى زمن لحروب قتل جميع اللايهود فى المعسكر المعادى حتى النساء والأطفال . هذا هو مبدأ لحرب الشاملة ، وإذا ما أقدم يهودى على العطف على عدوه فسيُدفع اليهود الآخرون حياتهم ثمناً لذلك . [ها آرتز / 24 آذار « مارس » 1995] .

ويذكر المقال نفسه أنه في مراسيم دفن « هوس » (مساعد الحاخام الشهير ليفا نجيردى هيبرون ، الذى قتل من قبل الفلسطينيين) وضعوا نعشه بجوار قبر (غولد شتاين) (منفذ مذبحه الحرم الإبراهيمى فى الخليل) قبل أن ينشدوا مزمو⁽¹⁷⁾ر 1994 السيد هو رب الانتقام ، وقد سأل أحد صحافى (جيروزاليم بوست) الحاخام غينسبرغ السبب المؤدى إلى هذا السلوك وأجابه الأخير ، ربما سيوقظ هذا السلوك روح الانتقام عند اليهود .

لا يستند هذا الاستخدام الدموى للنصوص التوراتية من أجل تبرير سياسة الإجرام، إلى أى قاعدة دينية ، بل يستند إلى قراءة أصولية⁽¹⁸⁾ ، متطرفة ، حرفية ، للنصوص المقدسة ، كما أن هذه القراءة الأصولية ، المتطرفة تصبح نوعاً من الاحتيال العنصرى الدموى .

إن التوراة هذا الاستحضار الرائع ، وحكمة تدخل الرب فى حياة البشر ، إنما هى فى أصلها مثل جميع الملاحم الكبيرة فى التقاليد الشعبية الشفائية التى تحولت إلى نسيج ملحمى كتبها مجهولون أو نسبت إلى شاعر أسطورى مثل (هوميروس أو فالميكي ... إلخ) كالإلياذة عند الإغريق أو (رامايانا) عند الهندوس . ومن خلال الكتاب الذين منحوا هذه الملاحم شكلاً أثرى المنفى ، فى القرن الخامس، أرادوا أن يبصروا فى بناء امبراطورية دافيدية ، إنجازات الوعود المقدسة ، وكلها تنظم حول الحكم العظيمة التى تحدد مراحل أسنة الإنسان .

تمتلك التضحية العظمى قيماً مطلقة من دون أن تكون لها مقاييس مشتركة مع المنطق الصغير لتاريخنا وأخلاقياته الصغيرة ، فوعد « الخلاص » لمرة واحدة هو « الخلاص الأرضى » ، (خلاص الأرض المثمرة) والخلاص الروحى (خلاص التحرر من جميع أشكال الطغيان المتمثلة فى هجرة شعب جماعية يهرب من نير جميع فراعنة التاريخ ، ونصر أولئك الذين يحملون فى أعماقهم رسالة مقدسة تعبر عنها لغة البربر عند القبائل البدائية فى غزو يشوع الأسطورى لكنعان ، إنها فى النهاية مملكة مسيحية يكون فيها الرب هو الكل فى الكل .

هذا هو المعنى المقدس للمغامرة الإنسانية ، عندما يقرأه بشر وأعوان أكثر من رب يحمل التجاوز ، وليس له مقاييس عامة معهم ، ولا يستطيع التحدث إليهم إلا عن طريق الحكمة كما لو أنهم غير قادرين على استحضاره إلا من خلال الاستعارات وهو يحملهم لغة الملحمة .

تتكون الأصولية المتطرفة ، على العكس ، من ارتباطها بالقراءة الحرفية للرموز

لتخلق من الأسطورة أداة تبريرية ليس لتاريخ عظمة الإنسان ووعيه لمعنى حياته المقدسة، وإنما عبارة عن تكرار للمعارك الدموية ضد البشر الآخرين، يعبر من خلالها شاعر القبيلة عن الانتصارات المقدسة فى قلوب البشر.

لقد أوضحت التقنيات الأثرية الصفة الأسطورية المحضة للتبجح المعزو إلى يشوع: لا وجود لأسوار أريحا منذ زمن طويل، لا لشيء إلا لأنه يدعى بأنها انهارت على أصوات مزاميره.

حتى مدينة « العى » لا توجد أيضاً منذ قرون لأنه قام بغزوها. [التاريخ القديم لإسرائيل / الأب دى فو / ص 565].

من الغرابة فكرياً، ومن الخطورة سياسياً أن يتقبل المسيحيون القراءة التلمودية الأصولية المتطرفة للتوراة، بل الأكثر من ذلك القراءة الصهيونية لها، فالصهيونية باعتبارها هرطقة متطرفة كبيرة تعمل على تحويل رسالة مقدسة، وتبرر النزعة القومية العدوانية تبريراً أيديولوجياً وتسمى لتبديل دولة إسرائيل برب إسرائيل. ولقد تمت إدانة هذه الهرطقة التى أسسها تيودور هيرتزل، منذ ظهورها من قبل الحاخامات واليهود المخلصين لإيمان أنبيائهم.

من بين الأمثلة الأخرى فقد ألف الحاخام موسى مناحيم (أب الموسيقى العبرى مناحيم) كتاباً تحت عنوان « انحطاط اليهودية » يبين فيه انحطاط اليهودية التى تحولت إلى قومية صهيونية وكان العنوان الأولى لكتابه هو « القومية اليهودية : جريمة تاريخية ولعنة رهية »، ويتأسس هذا الكتاب على النقيض من شمولية الأنبياء اليهود ثمة تفسير عشائرى وقومى للتحالف بين « الشعب المختار » مما يسمى البرابرة القبائليين مثل بن غوريون، موسى ديان، شيمون بيريس، وبين العصاة العسكرية التى أفسدت إسرائيل. (ص 13)، وجعلت من الوكالة اليهودية والمنظمات الصهيونية فى العالم بأكمله أدوات بيد الحكومة الإسرائيلية [ص 350 و 429 و 457].

ويضيف إلى ذلك: تقزز الشعوب اليوم من فكرة الأجناس الفوقية والشعوب المختارة، وعبء الرجل الأبيض، والتحالفات مع الرب والأرض الموعودة، وكذلك الإدعاءات التى تستغلها القوى العدوانية واللاأخلاقية للقوميين ضد الشعوب الأكثر ضعفاً [ص 244]. لا يمتلكون سوى رب واحد، ذلك هو المجال الحيوى للتعصب القومى الشوفينى. (496).

إن هذه الفكر الثابتة للصهيونية هى أسوأ عدو لإسرائيل لأنها ستقودها إلى

الهزيمة، مثل جميع الامبراطوريات المؤسسة حول هذه الأيديولوجيا بدءاً من نابليون حتى هتلر .

ليس من مستقبل لإسرائيل إلا في تخليها عن الصهيونية .

و ذات الشيء يحدث بالنسبة إلى استغلال الموضوعات « التاريخية » يمكن ذكر مجموعة شتيرين (شامير وخليفته نتانياهو) التي اقترحت التحالف مع هتلر من أجل الصراع ضد مونتغمري ، (وليبوفتزر) يتعامل معهم باعتبارهم « نازيون يهود » جعلوا من القومية قيمة عليا » [ص 47] ويضيف : « عندما ترتفع الأمة باللغة النازية تعنى العرق ، وقوة الدولة إلى مصاف القيم العليا ، لا يوجد آنذاك أى كابح لأفعال البشر، إذ تنتشر هذه العقلية حتى عندنا . نحن نتصرف فى الأراضى المحتلة فى الضفة الغربية وقطاع غزة ولبنان كما تصرف النازيون فى الأراضى التشيكوسلوفاكية المحتلة وكذلك فى الغرب [ص 120] .

ويعطى الأسباب الناتجة عن ذلك وهى أن أمريكا تسيطر على نظامنا الفاسد ، ولا يهتم الأمريكيون سوى بفكرة الحفاظ على جيش من المرتزقة الأمريكيين هنا ، تحت الزى الموحد لجيش الدفاع الإسرائيلى ، وبإمكانهم استخدامه حسب مشيئتهم وفى اللحظة التى يريدونها ، أى فى أى ظروف ، وحدود هذا الاستخدام ليست واضحة .

الفساد فى الداخل ، والحذر فى الخارج هذه هى دولة إسرائيل ، والشيء الأخطر من كل ذلك أن الشعب اليهودى بدأ يمقت هذه الدولة ، وثمة يهود يعون يهوديتهم حقاً ولا يعتبرون دولة إسرائيل مصدر شرف للشعب اليهودى . [ص 225-226] .

عندما يدين يهود ورعون من أمثال الحاخام (موسى مناحيم) و« البروفيسور ليبوفنتز » و« يهود » آخرون يؤمنون بأنبيائهم ، وبكل وضوح « الميكائيل » القاتل لمثل هذه القراءة المتطرفة الأصولية والقبلية للتوراة وذلك من أجل استخدامها كضمانة للسياسة القومية العنصرية والحقد وتهميش الآخر ، فكيف إذن يتمكن الكاثوليك أو البروتستانت من السير وراء هذا الإغراء ، وبالأحرى السير فى إطار هذه الديماغوجية الباكية بالدموع والمصحوبة بصورتها الدموية فى آن واحد ؟

ومن خلال الوقوف فى وجه وحدة العالم الإمبريالى المهيمن من قبل الولايات المتحدة ومرتزقتها إسرائيل تولد وحدة العالم من دون أسطورة « الشعب المختار » بل على العكس من ذلك كل شعب يقدم وبحقوق متساوية إسهام تاريخه وثقافته وإيمانه .

والخطوة الأولى نحو هذه الوحدة الجديدة هي كسر واختراق السوق العالمية المسماة بـ «حرية التبادلات» التي تقتل الحرية بكل معناها ؛ لأنها تسمح للأقوى أن يلتهم الأضعف ، إذاً لابد من الإسراع بقطع الصلة مع كل أدوات الهيمنة : المنظمة العالمية للتجارة (الغات سابقاً) ، صندوق النقد الدولي ، « البنك الدولي » ، فهي ليست سوى أدوات للهيمنة الأمريكية .

ولا يعنى ذلك الانغلاق على أنفسنا ، بل بناء روابط جديدة جذرية مع ما نطلق عليه «العالم الثالث» ونعمل على تحقيق إلغاء الديون ، وإلغاء المساعدات للحكومات ، وإيجاد المقاييس العادلة للأسعار ضد « التبادلات غير العادلة » وعدم منح الاستثمارات والقروض للحكومات بل لقواعد المنظمات (التعاونيات ، النقابات ، مجاميع الإنتاج) والمشاريع ذات المنفعة العامة (الأدوات الزراعية ، الري ، الطرق المستشفيات ، المدارس ... إلخ) .

من أجل بناء كل الوسائل التي تسمح لكل كائن إنسانى ، مهما كان أصله أن يطور بصورة كاملة كل الغنى الإنسانى الذى يحمله فى أعماقه .

الإحالات المرجعية والهوامش الوثائقية

(1) هذه هي المقالة السابعة للمؤلف « جارودي » في مجلة المشاهد السياسي - السنة الثالثة ، العدد 66 ، لندن ، 15 - 21 يونيو 1997 .

ونحن نجد سؤالاً مُلحاً وهو : لماذا اختار المؤلف هذا الموضوع « المنطق التلمودي في قراءة التوراة » ؟ .
الجواب والله أعلم :

* أراد المؤلف أن يجعل القارئ على وعى وفهم وإدراك بطبيعة (الصهيانة) ، وأنهم ينطلقون في حربهم هذه من منطق عقدي ديني ، لسيادة العالم وتسخير حكامه طواعة له ، بما في ذلك أكبر دولة ، وهي أمريكا ، تحت منظار النظام العالمي الجديد .

* وأراد المؤلف بهذا المبحث أن يضع القارئ على مستوى المسؤولية لفهم مسار السلام - الزائف - وأن الصهيانة لا يريدون سلاماً .

* وهم الذين ألفوا التلمود وجعلوه مهيماً على التوراة ومقدماً عليها !!

* وأراد المؤلف أن يوقظ وعى البشرية كلها على خطورة العقائد التلمودية التوراتية .

(2) راجع كتاب أسرار الانقلاب العثماني مصطفى طوران ، ترجمة عن التركية ، كمال خوجه ، دار المختار الإسلامي - القاهرة (د . ت) ص 25 ، ص 26 ..

راجع كتاب مذكرات السلطان عبد الحميد ، ترجمه عن التركية محمد حرب عبد الحميد ، دار الأنصار ، القاهرة ص 10 ، ص 12 ، ص 65 .

راجع كتاب صحوة الرجل المريض ، د . موفق بنى المرجة ، دار البيارق الطبعة 8 ، 1996 سميح على عزام ، ص 7 ، ص 213 .

(3) معركة الوجود بين القرآن والتلمود . أ . د . عبد الستار فتح الله سعيد ، دار التوزيع والنشر الإسلامية - القاهرة 1411 هـ ، 1980 ص 29 .

(4) كان هذا الجمع بعد ميلاد المسيح بنحو « قرنين » والمشتاة معنا بالعبرية « المعرفة » أو القانون الثاني .

(5) وتم هذا الشرح ما بين القرن الرابع والخامس الميلادي ، والجمارا معناها الشرح أو الإكمال . [معركة الوجود بين القرآن والتلمود - د . عبد الستار فتح الله سعيد ، الطبعة 4 . 1980 دار التوزيع والنشر الإسلامية] القاهرة ص 38 .

(6) راجع الكنز المرصود في قواعد التلمود : ترجمه عن الفرنسية د . يوسف حنا نصرالله . ط 2 بيروت عام 1388 هـ .

* فضح التلمود : للآب (أي . بي . برانائيس) ، ترجمة زهدى الفاتح ، دار النفائس بيروت ، ط 1 عام 1394 هـ .

* التلمود (تاريخه وتعاليمه) : ظفر الإسلام خان - الطبعة 2 ، دار النفائس بيروت .

(7) التوراة : العهد القديم : سفر التكوين 15 / 18 [وفي ذلك اليوم قطع الرب مع إبرام ميثاقاً قائلاً : لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات] .

(8) التناقض البين تجده في التوراة العهد القديم بالنسبة لكلمة « نسلك » بالنسبة للأرض التي وعدهم الله بها هم يقولون أن نسلك - نسل يعقوب - إسحاق مع أن التوراة تقول أيضاً : إن نسله « إسماعيل » فلماذا يعتبرون : إن النسل هو إسحاق فتكون الأرض لليهود لأنهم من نسل إسحاق ، مع أن محمداً ﷺ من نسل إسماعيل إذن فالأرض - من النيل إلى الفرات - للمسلمين من نسل إسماعيل .

* سفر التكوين 16 / 15 [فولدت هاجر لإبراهيم ابناً ودعا إبراهيم ابنه الذي ولدته هاجر « إسماعيل » وكان إبراهيم ابن ستة وثمانين سنة لما ولدت هاجر إسماعيل لإبراهيم] .

* سفر التكوين 21 / 12 : 13 [... وفي كل ما تقول لك سارة اسمع لقولها لأنه بإسحاق يدعى لك « نسل » وابن الجارية أيضاً سأجعله أمة لأنه نسلك] . فلماذا يؤمنون ببعض الكتاب ، ويكفرون ببعض ... هذه هي عقيدتهم !!

(9) لأنهم لو آمنوا بالله لأطاعوه ونفذوا أوامره في التوراة بلا تحريف ولا تزيف ، لكنهم يطبقون التلمود الذي هو من صنع الأخبار !!

(10) حزب ليكود أو كتلة ليكود : هو أحد أحزاب اليمين في إسرائيل ، ومعنى كلمة « ليكود » تدل على فكرة « أرض إسرائيل يحدودها التوراتية » بما في ذلك ضفتي نهر الأردن ، فقد ظهرت هذه الكتلة قبيل انتخابات الكنيست الثامنة ، في شهر سبتمبر 1973 باسم « التكتل اليمين الإسرائيلي » بيد أن كتلة ليكود وصلت إلى الحكم في انتخابات عام 1977 بحصولها على (43 مقعداً) بعد أن كان حصلت على (39 مقعداً في عام 1973) . وتتكون كتلة ليكود من ثلاثة أحزاب رئيسية أهمها « حركة الحرية » (حيروت) التي أنشأها « مناحيم بيغن » والثاني « الحزب الحر » والثالث فهو « القائمة الرسمية » (لاعم » وبعد موت (ابن جوريون) التحق « الاعم » بكتلة ليكود . وقد بدأت كتلة « ليكود » منذ عام 1981 أكثر اندماجاً ، بعد أن كان للأحزاب المكونة لها قدر كبير من الاستقلال .

[قراءة في فكر علماء الاستراتيجية الكتاب الثالث الجزء الثاني ، كيف تفكر إسرائيل . د . حامد ربيع إعداد . د . جمال عبد الهادي وآخرون . ص 68 هامش 2] .

(11) جابو تنسكي اسمه : « زعيف جابو تنسكي » ، أما لسمه الأصلي « فلاديمير جابوتنسكي » Vladimir JaboTinsky ، وهو الذي أنشأ المنظمة العسكرية (ها إرغون نصفاً لثومي) وشهرتها (إرغون) في عام 1931 ، وتولى (بيغن) قيادتها عام 1943 - بعد أن بلغت قرابة 3000 مقاتل حرب عصابات . وكان من أشهر قادتها (إسحاق شامير) وقد قامت بالعديد من أعمال العنف والقتل والوحشية في فلسطين (منها مذبحه دير ياسين) فضلاً عن أعمال الاغتيال ، وهو الذي كان يدعو إلى نبذ فكرة التدرج والتوفيق . التي كان يدعو إليها الاشتراكيون في الحركة الصهيونية ، والتوجه إلى الكفاح المسلح ، لتحقيق الأهداف القومية لليهود ، بالحديد والنار ، الأمر الذي بلغ حد العداء بين « جابوتنسكي » و « بيغن » من جانب و « بن جوريون » من جانب آخر . وهو عداء ورثة حزب كتلة ليكود - العمل . مصدر سابق (ص 69 ، ص 70) .

(12) حزب العمل الإسرائيلي : (ما باي Mapai : هو الحزب الاشتراكي العمالي الرئيسي ، والذي شكل في الفترة ما بين عام 1969 حتى 1984 ، تحالفاً من الأحزاب العمالية ، أطلق عليه « المعراج » . ويرجع تاريخ ظهور هذا الحزب إلى عام 1930 ، وترجع الجذور الأولى للحزب إلى اندماج حركتي « عمال صهيوني » « بوعالي تصييون » مع عناصر عمالية يسارية صهيونية ليكون الجميع حزب « اتحاد العمل » .

(أحداثها عقوداً) عام 1919 ، ... وكان حزب عمال أرمن إسرائيل (ماباي) عام 1930 تحت زعامة « ديفيد بن غوريون » الذي كان في ذلك الوقت سكرتيراً عاماً لل نقابة العامة للعمال بإسرائيل (هاهستدروت). غير أن حزب «اتحاد العمل» انفصل عن حزب «ماباي» وكان أخرج في هذه الفترة عدداً من رواد الحركة الصهيونية أمثال (زلمان شاراز) « ليفي شكول » و «جولدامائير » و «موشى ديان » و « شيمون بيريز » و «إسحاق رابين » . [النظام السياسي في إسرائيل - فوزي طایل ص 113] .

(13) تبرير الاعتداءات والمجازر ، وإثارة الفتن بين الشعوب بعضها البعض عن طريق النصوص التوراتية ، مثال ذلك [سفر أشعياء 19 / 2 : 4] .

[... وأهيج مصريين على مصريين ، فيحارب كل واحد أخاه ، وكل واحد صاحبه ، مدينة مدينة ، وملكة مملكة ، وتهراق روح مصر داخلها ، وأفنى مشورتها فيسألون الأوثان ، والعارفين وأصحاب التوابع والعارفين ...] .

(14) * يوشع بن نون خرج مع موسى (عليه السلام) لحرب العماليق : هم الذين كانوا يسكنون بيت المقدس . سفر الخروج 17 / 8 : 16 [وأتى عماليق وحارب إسرائيل في رفيديم . فقال موسى ليوشع : انتخب لنا رجالاً واخرج حارب عماليق ... ففعل يوشع كما قال له موسى ليحارب عماليق ... فلما صارت يدا موسى ثقيلتين أخذاً حجراً ووضعاه تحته فجلس عليه ، ودعم هرون وحوار يديه الواحد من هنا والآخر من هناك ، فكانت يده ثابتتين إلى غروب الشمس ، فهزم يشوع عماليق وقومه بحد السيف ، فقال الرب لموسى : اكتب هذا تذكراً في الكتاب ، وضعه فى مسامع يوشع فأبنى سوف أمحو ذكر عماليق من تحت السماء ، فبنى موسى مذبحاً ودعى اسمه يهوه نسى ، وقال : إن اليد على كرسى الرب ، حرب مع عماليق من دور إلى دور] .

وهكذا يتضح لك أيها القارئ أن اليهود يستغلون النصوص التوراتية لتبرير غزوهم لأى فئة من الناس يريدون التخلص منهم ، معتمدين على أن يوشع بن نون هزم العماليق ، معتمدين بأن الرب قال : سأموحو العماليق من تحت السماء ، فوجدوا ذلك مبرراً لمحو اللبنانيين من لبنان ، والفلسطينيين من فلسطين ، وهكذا وضعوا هذه الاستراتيجية للغزو والتطهير العرقي تحت مسمى تنظيف أوكار الإرهاب حسب ما تأمرهم التوراة بذلك ، وحاشا لله أن يأمر بهذا .

* فإن يوشع بن نون أو يشوع : قائد ربانى ، اختاره الله سبحانه وتعالى على علم فحينما تولى قوم موسى (عليه السلام) ورفضوا الجهاد - جهاد مغتصبى بيت المقدس ، كتب الله عليهم التيه والضياح ، حتى انقضى هذا الجبل الجبان واستبدلهم الله بجيل آخر مسلم مجاهد قاده من بعد موسى (عليه السلام) (يوشع بن نون) وذلك لتحرير بيت المقدس ، قال تعالى ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا ﴾ [البقرة / 58] .

* قال الإمام القرطبى ج 1 / 409 القرية قيل إنها (بيت المقدس) .

* قال الإمام ابن كثير ج 1 / 98 [وشاء الله سبحانه وتعالى أن يفتح بيت المقدس ويحررها من جبارين كانوا قد غلبوا عليها] .

* وقال بعض أهل العلم من المفسرين (القرية) الشام ، وقيل : الرملة ، وقيل : الأردن ، وقيل : (فلسطين) وقيل : إنها أريحا من بيت المقدس ... ولكن كل هذه الأقوال اجتهدات والصواب - والله أعلم - أنها بيت المقدس .

*** وفى الحديث الصحيح الذى أخرجه البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ [غزا نبي من الأنبياء - يوشع بن نون - فدنا من القرية - التى فيها العماليق - حين صلاة العصر أو قريباً من ذلك فقال للشمس : أنت مأمورة وأنا مأمور ، اللهم احبسها علىّ شيئاً فحُبست عليه حتى فتح الله عليه .
[تفسير القرطبي ج 6 / 130 - 131] .

[تفسير ابن كثير ج 1 / 98] .

* وهذا هو المعنى - والله أعلم - . من التوراة سفر الخروج 17 / 12 [فكانت يدها ثابتتين إلى غروب الشمس فهزم يشوع عماليق] أى جاء النصر من عند الله .

*** فشتان بين تبرير القرآن الكريم « ليوشع بن نون » ، وبين تبرير اليهود واستشهادهم لقتل الأبرياء ، والعزل عند غزو لبنان ، وعنافيد الغضب ، وبين طرد الفلسطينيين من أرضهم ، واغتصاب عرضهم وسلب بلدهم ومقدساتهم .

(15) على حد زعمهم ، لأنهم يتصيدون التبريرات من نصوص التوراة .

(16) حقيقة ليست هى تعاليم التوراة ، بل تعاليم « التلمود » التى وضعها لهم الحاخامات وأمروهم بتنفيذها ، وهى عندهم كمعقيدة أقوى من تعاليم التوراة !! مثال ذلك [راجع كتاب « أنتم غير اليهود » للحاخام اليهودى (موريص صموئيل) ص 26 هامش رقم 1 إذ يقول : « نحن اليهود ، نحن المدمرون ، سوف تبقى مدمرين إلى الأبد مهما عملنا ، فإن ذلك لن يكفى احتياجاتنا ومطالبنا ، سوف ندمر ، لأننا نريد العالم لنا » . راجع كتاب : « قراءة فى فكر علماء الاستراتيجية » كتاب 3 جزء 1 ص 21 هامش 3 .

(17) مزمو 1994 : هذا المزمور غير موجود بمزامير العهد القديم لأن عددهم 150 مزمو 149 ، فلعله رقم 149 ، وقد كُتب خطأ ولم يتم عليه مراجعة ؛ لأن المزمور 149 هو الأقرب للمعنى الذى استشهد به المؤلف [السيد هو رب الانتقام] والصواب هو [149 / 5 : 9] .

[لينتهج الأتقياء بمجد ليرغموا على مضاجعهم ، تنويهات الله فى أفواههم ، وسيف ذو حدين فى يدهم ، ليصنعوا نقمة فى الأمم ، وتآدييات فى الشعوب ، لأسر ملوكهم بقيود وشرفائهم بكيول من حديد ، ليجروا بهم الحكم المكتوب . كرامة هذا لجميع أتقيائه . هلولو يا] .

ولعل المترجم فهم من هذا النص المعنى المكتوب [السيد هو رب الانتقام] .

(18) أصولية : Fundamentalism وهو مصطلح عرفته الحضارة الأوربية كرد فعل لظهور المذهب « البروتستانتى » الذى ما ظهر إلا لإحداث تغيير جذرى فى العقيدة النصرانية . التى كانوا يعتبرونها عائقاً أمام انقذ العلمى .

الفصل الرابع

سياسة إسرائيل الخارجية

- المبحث الأول : السلاح النووى الإسرائيلى⁽¹⁾ .
- المبحث الثانى : مؤامرة ضد الثورة الإسلامية⁽²⁾ .
- المبحث الثالث : ماستريخت الأوربية استجابة
للهيمنة الأمريكية⁽³⁾ .

- (1) مجلة المشاهد السياسى ، السنة الثالثة ، العدد 67 ، لندن ، بتاريخ 28:22 يونيو سنة 1997 .
- (2) مجلة المشاهد السياسى ، السنة الثالثة ، العدد 68 ، لندن ، بتاريخ 29 يونيو : 5 يوليو سنة 1997 .
- (3) مجلة المشاهد السياسى ، السنة الثالثة ، العدد 78 ، لندن ، بتاريخ 12:6 يوليو سنة 1997 .

المبحث الأول

(السلاح النووى الإسرائيلى)⁽¹⁾

تمهيد:

* لا تغير فى السياسة النووية :

تحت هذا العنوان كتبت جريدة (ملحق هآرتس الإسرائيلية)⁽²⁾ بتاريخ 11 / 9 / 1998 . بقلم : زئيف شيف . فقال :

* دار مؤخراً تبادل رسائل فى الموضوع النووى - والتي لم تحظ بالنشر - بين رئيس الولايات المتحدة « بل كليتون » وبين رئيس الحكومة « بنيامين نتيناهو » وحول خطاب الرد «لنتيناهو» إلى « كليتون » يمكننا أن نقيس ما إذا كان فى نية إسرائيل أن تغير من سياستها النووية ، فى أعقاب التجارب النووية التى أجرتها كل من الهند وباكستان .

والتفاصيل هاهنا هامة حيث وجد فى الآونة الأخيرة اثنان من المكاتبات التى نشرت من شأنها إحداث تضليل . . أو خداع .

* واحدة منهما هى المجلة الأمريكية « ديفينس نيوز » والتى نسبت للواء « إسحاق ابن إسرائيل » رئيس إدارة التطوير والبنية الأساسية قولاً ، بأن إسرائيل ستناقش سياسة الغموض النووى .

* وفى الإصدار الثانى فى إسرائيل قيل : إنه فى نية إسرائيل التصديق على المعاهدة لحظر « مواد مخصبة » والتى من شأنها أن تسمح بإشراف دولى على مفاعل ديمونة . . . ثم استطردت الجريدة قولها .

* وجدير بالذكر أيضاً أن الغموض النووى هو عنصر هام فى الميزة النوعية لإسرائيل ولهذا فإن إزالته تعنى أيضاً المواجهة بين إسرائيل والكونجرس الأمريكى . وإسرائيل لا تبحث عن ذلك ، ويبدو أن واشنطن أيضاً تفضل أن تستمر إسرائيل فى الغموض النووى الذى هو قائم حتى الآن .

*** وهنا دخل المؤلف « جارودى » باستقرائه المستفيض للأحداث المطروحة فى

العالم ، نتيجة السياسة الخارجية لإسرائيل المعلنة والتي ليست فيها غموض والتي تظهر صورتها في مقالة أخرى ⁽³⁾ بعدها بشهرين فقط تحت عنوان « نقلة استراتيجية » بقلم رؤفان بدهتسور فقال : « بالإضافة إلى اتفاق واى ريفر ، تم التوصل أثناء المداولات أيضاً إلى مذكرة تفاهم بين إسرائيل والولايات المتحدة . مردودها الاستراتيجى يجعلها لا تقل أهمية عن الاتفاقية الموقعة مع الفلسطينيين » .

* وتفاصيل تلك المذكرة ، التي موضوعها يتعلق بموقف الإدارة الأمريكية من مسألة التهديد الصاروخى على إسرائيل ، قد كُشِفَ عنها فى نهاية الأسبوع ، عندما تم التوقيع عليها فى وقت واحد ، فى واشنطن وفى القدس بواسطة بل كلينتون وبنيامين نتياهو .

* ... ثم واصلت الجريدة حديثها حتى وصلت إلى ما قبل النهاية لتؤكد سياسة إسرائيل الخارجية النووية فقالت :

« وبناء على ذلك فهذه المذكرة يمكن أن تشكل طريقاً لتسمية نظرية استراتيجية جديدة ، يمكن لإسرائيل فى إطارها بالإضافة إلى الاعتماد على قدرتها الاستراتيجية المستقلة أن تحتوى بظلال أهداف نووية أمريكية، تشبه تلك الحماية التى مُنحت لدول الناتو خلال سنوات الحرب الباردة » .

* ولما قرأ « جارودى » كتاب البروفيسر « إسرائيل شاحاك » وجده يُظهر سياسة إسرائيل واستراتيجيتها فقال :

* « يلقي كتاب البروفيسور إسرائيل شاحاك ضوءاً جديداً على سياسة إسرائيل الخارجية ويوضح حسبما نقلته الصحافة الإسرائيلية ذاتها ، أن إمكانية استخدام القادة الإسرائيليين لسلحهم النووى تعنى المساهمة بشكل فعال فى عملية فرض هيمنة الولايات المتحدة ، وهذا ما يمكن أن يؤدى إلى تفجير حرب عالمية ثالثة » .

لقد تمت صياغة الخطة الموجهة للسياسة الإسرائيلية الخارجية قبل وجود الدولة الإسرائيلية بنصف قرن من قبل « والدها الروحى تيودور هيرتزل » ⁽⁴⁾ الذى كتب فى مؤلفه « الدولة اليهودية » عام 1895 « إننا سنكون هناك حزاماً متقدماً فى الغرب ضد البربرية الشرقية » ⁽⁵⁾ .

وتاريخ إسرائيل كله ، منذ نشوئها ، يشير من خلال سلسلة اعتداءاتها واحتلالاتها لحدود جميع الدول المجاورة لها إلى أنه تم تطبيق هذا الخط الموجه بحذافيره .

وقد عرضت هذه السياسة بكل وضوح فى عام 1982 فى لحظة غزو لبنان بمجلة « كيفونيم » الصادرة فى القدس [العدد 14 شباط ، فبراير عام 1982] من قبل

«المنظمة الصهيونية العالمية» على الشكل التالى : « إن غزو سيناء بمواردها الحالية إنما هو هدف أولى ، لم تتمكن اتفاقيات كامب ديفيد واتفاقيات السلام الأخرى من إنجازها ، وبما أننا نفتقد مصدر البترول ونضطر إلى الإنفاق الضخم فى هذا الميدان لابد من التحرك أولاً لإيجاد وضعية ترجح كفتنا فى سيناء كما كانت قبل زيارة السادات والاتفاقية البائسة التى وقعت معه فى عام 1979 .

إن الوضعية الاقتصادية لمصر وطبيعة نظامها وسياستها العربية الشاملة ، ستؤدى إلى ظهور ظروف تحتم على إسرائيل التدخل ، ومصر بحقيقة تناقضاتها الداخلية لم تعد تمثل بالنسبة إلينا مشكلة على الصعيد الاستراتيجى ، ويمكن فى أقل من 24 ساعة أن نعود إلى أوضاع ما بعد حرب حزيران (يونيو) عام 1967 .

إن الأسطورة القائلة أن مصر قائدة العالم العربى قد ماتت . وبالمقارنة مع إسرائيل وبقية العالم العربى فإنها فقدت 50 فى المائة من قوتها ، وعلى المدى القصير يمكنها أن تجنى الفوائد من استعادة سيناء ، ولكن ذلك لن يغير من موازين القوى بشكل أساسى .

ومصر الكيان المركزى تحول إلى جثة⁽⁶⁾ وخصوصاً إذا ما أخذنا فى الحسبان التصادم المتزايد بين المسلمين والمسيحيين أكثر فأكثر ، وتقسيمها إلى محافظات جغرافية يجب أن يكون هدفنا السياسى على الجبهة الغربية طيلة سنوات التسعينات . وحين يتم توحيد مصر وحرمانها من قوتها المركزية ، فإن دولاً مثل ليبيا والسودان ودولاً أخرى بعيدة ستعرف الانحلال ذاته ، وأن تشكيل دولة قبطية⁽⁷⁾ فى أعالي مصر وكيانات، صغيرة فى المناطق هو مفتاح التطور التاريخى الحالى ، الذى تم تأخير تنفيذه بفعل اتفاقية السلام ولكن ذلك سيكون حتمى الحدوث على المدى البعيد .

وعلى صعيد الظاهر فإن جبهة الغرب تنتج مشاكل أقل من جبهة الشرق ، وأن تقسيم لبنان إلى خمس مقاطعات يستشرف ما سيحدث فى العالم العربى بأكمله ، كما أن تُوزع سوريا والعراق إلى مناطق محددة على قاعدة المقاييس الاثنية أو الدينية ، ينبغى أن يكون هدفاً إسرائيلياً على المدى الطويل ، والمرحلة الأولى هى تحطيم القدرات العسكرية لهذه الدول .

* إن التشكيل الدينى والطائفى لسوريا يسمح بقيام دولة شيعية علوية على طول الشاطئ ، ودولة سنية فى منطقة حلب ، وأخرى فى منطقة دمشق ، وكيان درزى يمكنه أن يأمل فى إقامة دولته النقية ، وربما فى جولاننا وفى كل الأحوال من حوران وشمال الأردن ، وهى دولة ستكون على المدى الطويل الضامن للأمن والسلام فى

المنطقة ، وهذا هدف فى متناول اليد الآن .

*** والعراق الغنى بالنفط وفريسة الصراعات الداخلية هو أيضاً على خط التسديد الإسرائيلى وتفسخه بالنسبة إلينا أهم من تفسخ سوريا لأنه على المدى القصير يشكل التهديد الجدى لإسرائيل .** إن حرباً سورية عراقية ستساعد على انهياره من الداخل قبل أن يصبح قادراً على شن حرب ثأرية ضدنا⁽⁸⁾ .

إن جميع أشكال المواجهة العربية - ستكون فى مصلحتنا وستقرب ساعة الانفجار ، ومن الممكن أن تكون حرب العراق مع إيران الدافع فى تنمية ظاهرة الاستقطاب هذه .

*** وشبه الجزيرة العربية كلها مهياة لتفسخ من النوع نفسه ، وتحت الضغوط الداخلية ، وهذا الوضع ينطبق بشكل خاص على المملكة العربية السعودية ، وتزايد المشاكل الداخلية هناك وسقوط النظام ، كلها أمور تدخل فى منطق بنائها السياسى الحالى .**

*** والأردن هدف استراتيجى على المدى الحالى .** ولا يشكل على المدى البعيد تهديداً لنا بعد تفككه ، بنهاية حكم الملك حسين وانتقال السلطة إلى يد الأغلبية الفلسطينية ، ينبغى أن تمتد السياسة الإسرائيلية إلى هذه الحدود ويعنى هذا التغيير حل مشكلة الضفة الغربية الكثيفة بالسكان العرب ، وكذلك فإن هجرة العرب إلى المشرق فى ظروف سلمية ، أو بعد حرب شىء مفضل لتجميد نموها الاقتصادى والجغرافى وضمانة التحولات المستقبلية ، ويجب علينا أن نبذل قصارى جهودنا من أجل تنفيذ هذه العملية ، كما ينبغى رفض خطة الحكم الذاتى وجميع أشكال المساومة أو تقسيم الأراضى ، ونعمل على خلق ظروف الانفصال بين الأمتين : وهى ظروف ضرورية للتعايش السلمى الحقيقى . فالعرب الإسرائيلون الذين يطلق عليهم الفلسطينيون يجب أن يفهموا بأنه لا يمكن أن يكون لهم وطن إلا فى الأردن ، لا يعرفوا الأمان إلا فى الاعتراف بالسيادة اليهودية بين البحر ونهر الأردن ، فليس من الممكن فى عصر القوة النووية القبول بأن يجد ثلاثة أرباع السكان اليهود أنفسهم محصورين فى أرض فائضة بالسكان ضيقة ومكشوفة إن نشر هؤلاء السكان عامل أساسى فى سياستنا الداخلية يهودا والسامرا والجليل الضمانة الوحيدة لديمومتنا الوطنية ، وإذا لم ننجح فى أن نصبح أغلبية فى المناطق الجبلية آنذاك سنخاطر ، بمواجهة مصير الصليبيين الذين أضاعوا هذا البلد ، إن إعادة التوازن إلى الخريطة الديمغرافية والاستراتيجية والاقتصادية يجب أن يكون طموحنا الأساسى ويشمل ذلك السيطرة على مصادر المياه

فى المنطقة⁽⁹⁾ التى تمتد من بئر شيبا (بئر السبع) إلى أعالى الجليل التى هى خالية عملياً من اليهود فى الوقت الحاضر .

هذا الطرح يؤكد أن المشروع الاستعمارى والعنصرى للصهيونية السياسية بعد استخدام عمليات الطرد والسلب واضطهاد الفلسطينيين ، ثم سلسلة الحروب العدوانية فى الشرق الأوسط ، والآن تفكيك الدول العربية كافة ، يشكل تهديداً للسلام فى العالم . ومن المفهوم أن مشروعاً بهذا الاتساع لا يمكن أن ينفذ إلا بالدعم اللامشروط للولايات المتحدة على الصعيد الديبلوماسى والمالى والعسكرى ، وكما كتب البروفيسور (ليوفتن) وهو أحد المشرفين على «الانسيكلوبيديا اليهودية» إن قوة القبضة اليهودية نابعة من القفاز الحديدى الذى تغلفه أمريكا، ومن الدولارات التى تمولها بها⁽¹⁰⁾ .

ولهذا السبب تصبح هذه الأهداف الاستراتيجية التوسعية للأراضى ذات فعل كبير فى الأحداث الآلية وتشكل تهديداً أكثر واقعية فى وقت تحدد الولايات المتحدة لنفسها أهدافها الاستراتيجية الخاصة بها ، كما حلل ذلك المنظر الأيديولوجى للبتاغون (صموئيل هانتنتون) الذى يصطف فى الخط الذى حدده (تيودور هيرتزل)⁽¹¹⁾ بالنسبة إلى الدولة اليهودية ، لكن (هانتنتون) يحلل ذلك على المستوى العالمى .

إن إحدى حسنات كتاب « إسرائيل شاحاك » تكمن فى تحليل المناهج المستخدمة من قبل القادة الإسرائيليين (سواء كانوا من حزب العمل أو حزب الليكود) والعمل على تعطيل القوى التى تنتصر للسلام وكل من يرفض الخضوع لـ « ديانة السوق التوحيدية » . بمعنى « عبادة المال » وكذلك الخضوع لأولئك الذين يريدون فرض قيادة الولايات المتحدة ومرزقتها الإسرائيليين .

ويشبه هذا المنهج إلى حد بعيد منهج الولايات المتحدة المستخدم إزاء شعوب أمريكا اللاتينية ، وبشكل أولى من خلال دعم جميع الأنظمة القادرة على قمع غضب الجماهير ضد الاستعمار الجديد ، وتفريق صفوف الضحايا ، ويوضح (إسرائيل شاحاك) على سبيل المثال كيف حاول القادة الإسرائيليون فى عام 1992 الحصول على قواعد فى الهند ؛ لشن هجوم جوى ضد باكستان من أجل تعطيل كل التطور النووى ، بينما يسمح السلاح النووى ، حسبما كتب أرييل شارون فى عام 1981 بتوسيع التأثير الإسرائيلى من أفغانستان حتى موريتانيا .

كما أن أحد الأهداف الاستراتيجية لإسرائيل هو أيضاً حماية الأنظمة القوية فى دول الشرق الأوسط جميعها ، أى بمعنى تلك الأنظمة القادرة على عرقلة الثورة

الشعبية ضد ابتزازات إسرائيل ، والحرب الاستعمارية التي قادتها الولايات المتحدة والتابعون لها من الأوروبيين ضد العراق من أجل الاستحواذ على البترول ، تمت عن طريق شراء ذمم قادة الدول المجاورة ، ومن أجل الحصول على موافقة عدم اشتراك إسرائيل بشكل مفتوح وواضح ، مع التحالف عمدت الولايات المتحدة إلى إقناع الزمرة العسكرية التركية بتخصيص القاعدة الجوية « الجريك » للقيام بقصف شرق العراق ، وبعد انتهاء الحرب عقدت مع الزمرة العسكرية اتفاق تعاون استراتيجي سمح لهم بالاشتراك في المناورات التابعة للبحرية الأمريكية والتركية والإسرائيلية في عام 1997 وحتى من دون المرور عن طريق وساطة إسرائيل ، حصلت الولايات المتحدة على اتفاقية لإنشاء قواعد عسكرية ضخمة في دول الخليج ، وذلك من أجل الحفاظ على قوة عسكرية دائمة في البحرين ، وفي « أرض مقدسة » يدعى قاداتها حمايتها ، وقد حصلت على طاعة القادة العرب الآخرين عن طريق الإغراءات المالية (تمديد ديونها وتمويل قوتها العدوانية) واستمرت العملية بعد الحرب من خلال العلاقات التجارية القوية مع إسرائيل ، وفيما كانت الدول العربية مبدئياً تطبق مبدأ المقاطعة الاقتصادية لإسرائيل يوضح لنا (شاكا) أن تجارة بعض الدول العربية (وخصوصاً ذات الأنظمة الاستبدادية) مع إسرائيل وصلت إلى مليار و 400 مليون دولار وعلى الخصوص تونس والجزائر والمغرب في عام 1994 .

إن العدو رقم واحد لإسرائيل حسب وجهة نظر قادتها هو إيران ، التي تعمل الدعاية الصهيونية في العالم أجمع على لصق كل أعمال الإرهاب بها ، تسمية الإرهاب حسب مفهوم هتلر ، كل عمل « مقاومة » يقوم به الشعب ضد المحتل أو المغتصب ، وهنا هو إسرائيل .

في عام 1992 تم تفجير السفارة الإسرائيلية في الأرجنتين وكذلك ما قام به الصهاينة الأرجنتينيون في عام 1994 ، وهذه الأعمال الخطيرة لصقت بإيران من دون الإتيان بأي إثبات .

في صحيفة « ها آرتز » (وهي أكبر صحيفة إسرائيلية) كتب « ألوف بن » في 12 تموز (يوليو) عام 1994 : « أصبح التهديد الإيراني في قلب اهتمامات السياسة الإسرائيلية الخارجية وأمنها في غضون الستين الأخيرتين ، وذلك بحجة أن إيران تصدر الإرهاب والثورة وزعزعة الأنظمة العربية » .

وفي جنوب لبنان عندما يقتل مقاوم جندياً من جيش الاحتلال ، يقوم شمعون بيريس بإدانة إرهاب حزب الله الذي يعتبره عميلاً ل طهران ، متناسياً أن الشيعة في

لبنان موجودون قبل ثورة الخميني ، وبالنسبة إلى جميع الوطنيين اللبنانيين يمثل حزب الله الذراع العسكرية لمقاومتهم ضد الاستعمار الإسرائيلي .

كتب (شاحك) بدقة عن الدور الذي لعبه قادة « الدياسبورا » اليهودية ، وخصوصاً في الولايات المتحدة ؛ حيث إن اليهود على رأس مؤسسات السلطة ، ابتداء من وزارتي الدفاع والخارجية والرؤساء الثلاثة الرئيسيين لوكالة الاستخبارات المركزية ، وكلهم من الصهاينة ، وانتهاء بوسائل الإعلام التي تتلاعب بالرأي العام ، كما كانوا يهيمنون أيضاً في فرنسا ، وأدانهم شارل ديغول .

يتمثل اللوبي الأمريكي الرئيسي في منظمة « إيباك » التي تضم 55 ألف عضو (من 6 ملايين يهودي أمريكي) يوجهون السياسة الأمريكية ويحصلون على المليارات من أجل ضمان أمن إسرائيل وخصوصاً أمنها النووي .

والدرس الأساسي الذي يمكن تعلمه من تحليلات (كتاب شاحك) يتركز في المعادلة التالية: وهي من أجل تعطيل إرادة الهيمنة العالمية الأمريكية الإسرائيلية ، لابد من ضرب العدو في نقطته الضعيفة « الاقتصاد » ذلك أن إسرائيل لا تتمكن من العيش من دون الدعم الأمريكي واللامشروط. فالولايات المتحدة هي البلد الأغنى والأكثر مديونية⁽¹²⁾ في العالم لأنها تعيش على نهب الكرة الأرضية بأكملها . وديكتاتورية صندوق النقد الدولي ، والبنك الدولي ، والمنظمة العالمية للتجارة تضمن سيطرتها على الأسواق العالمية ، وبالتالي تؤدي إلى سيطرتها السياسية .

إن الطريقة الأكثر فاعلية والمضادة لمثل هذه القوة تتمثل في المقاطعة الصارمة لكل ما يأتي من إسرائيل والولايات المتحدة ، ذلك أن الاقتصاد الأمريكي ذاته لا يستطيع تحمل خسارة مليار أو مليارين من عملاته .

ومن المهم جداً أن يعتبر كل مسلم أن من واجبه بمسئوليته الشخصية أن يفرض على قادته مسألة رفض دفع ما يسمى بـ « الديون » (تولدت هذه الديون نتيجة لتحطيم اقتصاديات الدول المستعمرة من قبل المستعمرين ومن حولهم إلى تابعين اقتصاديين لهم) وكذلك رفض قوانين صندوق النقد الدولي والمقاطعة الكلية لهذه المؤسسة الضخمة الناتجة عن الهيمنة الأمريكية واحتقار الحصار المفروض على الدول الشقيقة التي رفضت الانحناء أمام المطالب الأمريكية ، والعمل على إنشاء « سوق مشتركة لدول الجنوب » التي كانت ترزح تحت نير الاستعمار ذات يوم ، والتي تمتلك 80 في المائة من موارد العالم الطبيعية ، إذ يتم سرقتها بأسعار زهيدة من خلال الشركات المتعددة الجنسية⁽¹³⁾ ، والعمل كذلك على إقامة هذه السوق على قاعدة التبادل حتى لا

تمر بالدولار .

وهذه المقاطعة العامة التى يجب أن تكون ضد المنتجات الأمريكية كلها بما فيها كوكاكولا⁽¹⁴⁾ هى السلاح المهم للانتصار على الهيمنة التى يريد فرضها القادة الأمريكيون ومرزقتهم الإسرائيليون .

الإحالات المرجعية والهوامش الوثائقية

- (1) هذه هي المقالة الثامنة التي نشرتها مجلة المشاهد السياسي ، السنة الثالثة ، العدد 67 ، لندن ، بتاريخ 22 : 28 يونيو 1997 .
- (2) مختارات إسرائيلية ، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية ، الأهرام ، العدد 47 نوفمبر 1998 ص 62 .
- (3) المقالة (إسرائيل علاقات خارجية - نقلة استراتيجية - جريدة هآرتس اليهودية بتاريخ 3/ 11/ 1998 ، نقلاً عن «مختارات إسرائيلية - مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية الأهرام - العدد 48 ديسمبر 1998 ص 42 .
- (4) كتب دكتور ثيودور هيرتزل : الذي ولد في بودابست (1860 - 1904) وأقام في فيينا ، واشتغل في التأليف المسرحي والصحافة ، وتأثر بقضية الجاسوس الفرنسي اليهودي « ديفوس » وألف كتابه « دبريو دنيشان » أي [الدولة اليهودية عام 1896] ، وترأس أول مؤتمر صهيوني في بازل بسويسرا في 28 آب (أغسطس 1897 ، كما قابل السلطان عبد الحميد في إطار مساعيه لتوطين اليهود بفلسطين ، والمعروف أن الصهيونية بقيت مفتقرة إلى التخطيط حتى تمكن هيرتزل من عقد ذلك المؤتمر الذي حضره (204) من مندوبي سائر الجمعيات الصهيونية في مختلف العالم . [كتاب صحوة الرجل المريض د . موفق بنى المرجة . دار البسارق الطبعة 8 1996 ص 218] .
- (5) يقصد الدولة العربية الإسلامية .
- (6) وذلك بعد توقيع اتفاقية « كامب ديفيد » وتنحيها عن باقي الدول العربية .
- (7) تمزيق مصر والمنطقة العربية وتحويلها إلى كيانات صغيرة طائفية ، أحد أهداف المخطط اليهودي -الأمريكانى ، ويهدف إلى تمزيق مصر - تحويلها - إلى دويلات أربع ، أو إن شئت فقل محاور أربعة . أهمها : محور الدولة النصرانية الممتدة من جنوب بنى سويف حتى جنوب أسبوط ، وقد اتسعت غرباً لتضم الفيوم التي بدورها تمتد في خط صحراوي يربط المنطقة - السابقة - بالأسكندرية التي تصير عاصمة للدولة النصرانية ، وهكذا تفصل مصر عن الإسلام الإفريقي الأبيض (في طرابلس الغرب وتونس ، والجزائر والمغرب) عن باقي أجزاء وادى النيل لا مكنهم الله من ذلك . .
- * اقرأ مزيداً من التفصيل عن المؤامرة
- 1 - كتاب الطريق إلى بيت المقدس ، القضية الفلسطينية . د . جماد عبد الهادي . ج 3 / 163 ، وما بعدها طبعة دار والوفاء الأولى عام 1993 .
- 2 - جريدة العرب تايمز عدد 107 ص 38 بتاريخ 11 : 20 ديسمبر 1992 .
- 3 - قراءة في فكر علماء الاستراتيجية ، الكتاب الرابع - د . حامد ربيع - احتواء العقل المصرى . د . جمال عبد الهادي / عبد الراضى أمين . دار الوفاء طبعة أولى عام 1999 ص 22 .
- (8) وقد تحقق المخطط ومُزق العراق وغالب أراضيه تحت الاحتلال الأمريكى الإنجليزى . وحاكم العراق يتحمل أكبر قدر من هذه الجرعة . .
- (9) السيطرة على مصادر المياه : هي الحرب الجديدة فى الألفية الجديدة بداية عام 2000 م يقول نبيل فارس فى كتابه

[حرب المياه في الصراع العربي الإسرائيلي] ص 5 :

« على إيقاع » النظام العالمي الجديد « تتحفز » دول الحزام « بالتنسيق مع الكيان الصهيوني للإجهاد على مقومات الحياة في الوطن العربي ، إنها طبول الحرب تقرر « احتفالاً » بتحويل أنهارنا العربية إلى مساحات من العطش القتال !! إنها الحرب الحتمية والمتنظرة ، وحتى يتم تأكيد أن العدو وضع خطة طويلة المدى تبدأ بالألفية الثالثة ، وخطط لذلك من أكثر من أربعين عاماً !! فماذا قالوا :

1 - إن اليهود يخوضون مع العرب معركة المياه ، وعلى نتائج هذه المعركة ، يتوقف كيان فلسطين ، [بن جوريون 14/5/1955] .

2 - « الحرب القادمة في منطقتنا ستكون على مياه النيل لا على السياسة . [د. بطرس غالي (فائناشل تايمز) 30/11/1987] .

3- « إن إسرائيل والعرب سيواجهان نقصاً حاداً في المياه قبل نهاية هذا القرن ، وسيضطران إما للتعاون) وهو دائماً تنفيذ رغبات إسرائيل ، أو نشوب حرب سببها الاختلاف حول تقسيم المياه . [جريدة لوس أنجلوس تايمز 23/1/1987] .

4- إن إسرائيل الكبرى -العظمى - لا يمكن أن تقف مكتوفة الأيدي وهي ترى مياه نهر الليطاني تذهب هباء إلى البحر ، وأن القوات أصبحت جاهزة في إسرائيل لاستيعاب نهر الليطاني « [مناحم بيجن يونيو 1982] .

5 - إن استراتيجية إسرائيل حول المياه تقوم على أحد حلين « التعاون أو الحرب » [مصادر الحكومة الإسرائيلية يناير 1988] .

6 - إن على سوريا والعراق أن يفهما حقيقة أن مياه دجلة والفرات ليست مياهاً دولية .. ولدينا حقوق كاملة عليها ، وأن مسائل المياه والإشكاليات الناجمة عنها ستكون خلال السنوات المقبلة من أهم مشاكل العصر الحديث . [الرئيس التركي تورجوت أوزال ، مجلة المشاهد السياسي العدد 52 ديسمبر 1991] .

7 - « في تحذير قوى للحكومة الأمريكية من معهد الدراسات الأمريكية .. أنكم تظنون أننا خضنا حرباً من أجل النفط .. فلتتظروا أن تبدأ حرب المياه » وكالة أنباء الشرق الأوسط 28/4/1991 .

8 - « تحتاج العالم العربي بحلول عام 2000 أزمة حادة في المياه بما يؤدي إلى تفاقم الفجوة الغذائية التي نعاني منها وترك آثاراً سلبية على الإنتاج الصناعي أيضاً .. وهو ما يعتبره الخبراء أخطر مآزق تاريخي يواجه الأمة العربية » [من تقرير منظمة اليونسكو يناير 1992] .

9 - « إن الأنهار العربية الثلاثة : النيل ، والفرات ، والأردن ... هي بؤر متوقعة لصراعات دموية حقيقية » [الوفود المشاركة في مؤتمر المياه والبيئة المنعقد بدبلن فبراير 1992]

[كتاب حرب المياه في الصراع العربي الإسرائيلي ، نبيل فارس . ص 9 ، 10 ، 11 ، طبعة أولى عام 93 ، دار النصر للطباعة الإسلامية ، الناشر حسن عاشور] .

(10) ولهذا كان من سياسة - آليات - النظام العالمي الجديد ، فرض وهيمنة . صندوق النقد الدولي ، والبنك الدولي ، والسوق الشرق أوسطية ، و«الجات » .

(11) لم يستطع « ثيودور هيرتزل » مؤسس الحركة الصهيونية ، إخفاء مشاعره بالغیطة التي اتابته عقب انفضاض مؤتمر بازل - بال - في سويسرا من العام 1897 يقول : [لو أننى أردت تلخيص نتائج هذا المؤتمر لقلت : إننا في هذا المؤتمر قد وضعنا أسس الدولة اليهودية بحدودها الشمالية ، التي ستمتد حتى نهر الليطاني ، وبعد خمسين عاماً سيرى كل إنسان بالتأكيد هذه الدولة] [مجلة الفرسان العدد 493 بتاريخ 13/7/1987] حرب المياه مصدر سابق ص 244 . وفعلاً تحقق له ذلك عام 1948 .

(12) أمريكا الأكثر مديونية في العالم : وهذه حقيقة تؤكدتها الدراسات الأمريكية حيث ورد في كتاب 1995 قادم فمن يوقفه « تأليف « هارى فيمجي - جيرالد سوانسون » وقدم لهذا الكتاب السناتور الأمريكى « وارين رادمان » ترجمة محمد محمود دبور . ص 13 تحت عنوان القسم الأول : زوال عصر القوة الأمريكية يقول :

« نواجه هنا فى الولايات المتحدة مشكلة يسهل استيعابها ويصعب حلها ، وتفرق خطورة هذه المشكلة خطورة مشاكل الدمار والفقر والأمراض والأوزون وغيرها من الأخطار التى تستشر هنا وهناك ، وما لم تحل هذه المشكلة ، فإننا لن نستفيد شيئاً من القوة العسكرية ، والقدرة التنافسية اللتين تتمتع بهما ونباهى الآخرين بامتلاكنا لهما ، ولن يكون مصير أمريكا سوى الدمار والانهييار ، وتتمثل هذه المشكلة فى (الديون الحكومية) وكانت الديون كالآتى حسب الكتاب :

الرئيس جونسون من عام 64 : 1968 بلغ العجز 44,8 مليار دولار ... ص 28 .
الرئيس نيكسون من عام 69 : 1974 بلغ العجز 67 مليار دولار ... ص 31 .
الرئيس فورو من عام 75 : 1976 بلغ العجز 126,9 مليار دولار .. ص 32 .
الرئيس كارتر من عام 77 : 80 بلغ العجز 226,9 مليار دولار .. ص 33 .
الرئيس ريجان من عام 81 : 88 بلغ العجز 1,34 ترليون دولار .. ص 35 .
الرئيس بوش من عام 89 : 92 وكان العجز الكلى 1,04 مليار دولار ... ص 38 .
فى ص 40 يقول الكاتب :

« ما لم يقيم الرئيس الجديد - بل كلينتون - بأى إجراء فعال ، فإن معدلات العجز ستصل حوالى (640) مليار دولار عام 1993 ، وستضطر الحكومة إلى اقتطاع 84% من الواردات لسداد الديون عن عام 1992 وستزيد النسبة لتصل إلى 92% عام 1994 ، 103% عام 1995 وهو العام الذى ستحل فيه الطامة الكبرى . فى ص 165 فى خاتمة الكتاب يقول الكاتب ما نصه :

« ستبلغ ديوننا 6,56 ترليون دولار فى عام 1995 ، 13 ترليون دولار عام 2000 وهكذا ثبت صدق جارودى عندما قال : أمريكا هى الأكثر مديونية فى العالم .

* ويقول « ليث الشيليات » ومن الأسباب المعجلة بانهيار الاقتصاد والمجتمع الأمريكيين التطرف فى تطبيق الليبرالية فى السنوات العشر الماضية » .

[مجلة منبر الشرق السنة الثانية - العدد 10 نوفمبر 1993 ص 125] .

(13) الشركات المتعددة الجنسية ، وراء عملية الخصخصة التى يبيع من خلالها الشركات والمصانع بأبخس الأسعار ، التى ضيعت البلاد وأفقرت العباد ، وكل ذلك يتحمله صندوق النقد الدولى ، والبنك الدولى تمريراً للمخطط العام وهو النظام العالمى الجديد .

(14) وهى أخف الأمور التى يمكن أن يفضلها الناس جميعاً ، خصوصاً وأن هناك بدائل من المشروبات الأهلية العصائر الطبيعية .

وهناك يجب أن نلفت النظر أن من ضمن هذه المقاطعة عدم التعامل مع تلك الدول الصهيونية أو المؤيدة للصهيونية صابون اربل .

المبحث الثاني

[مؤامرة ضد الثورة الإسلامية]⁽¹⁾

مدخل :

* الذين يعرفون تركيبة « مطبخ » صناعة القرار في إيران ، ويعرفون الأثمان الباهظة التي دفعها الشعب الإيراني حتى انتصرت فيه الكلمة على السيف في ثورته الفكرية - الثقافية الشعبية الشهيرة في فبراير 1979 . يعرفون ويؤكدون بحزم أن مشروع الحرب الأهلية الذي يخطط له العدو الخارجي منذ مدة ، وتُروج له بعض الدوائر المتعصبة في الداخل عن وعى أو دون وعى ، ليس لديه الأرضية المناسبة على طول الجغرافية البشرية الإيرانية وعرضها .

* المحللون السياسيون المستقلون المتابعون لتطورات الداخل الإيراني ، وما يحيط بإيران من تطورات إقليمية متسارعة ، يؤكدون أن شبح الديمقراطية الذي بات يلاحق في ظله اليوم كل صاحب سلطة أو سلطان ، صغيراً كان أم كبيراً ، محافظاً كان أم إصلاحياً ، سياسياً كان أم بعيداً عن الاهتمام بالشأن العام ، هو الذي دفع - وسيدفع - أكثر فأكثر إلى مزيد من الشفافية لدى الجميع ، ويجبرهم على الإعلان عن حقيقة مواقفهم تجاه الحق التاريخي والديني للشعب في تقرير مصيره بنفسه .

* والمتابعون لمجريات الأحداث الأخيرة في إيران من الداخل يقولون : إن اتفاقاً عميقاً بات يحكم العلاقة بين المرشد الأعلى للثورة والرجل الأول في النظام « آية الله على خامنئي » وبين الرئيس الإصلاحي « محمد خاتمي » بما يؤكد الإرادة الصريحة والواضحة التي لا رجعة عنها ، وهي العمل الجدى والحازم من أجل الإصلاح العام ، لأجل إرساء قواعد « ديمقراطية إسلامية راشدة » .

* وتحت عنوان « خطوات متسارعة لتقارب اقتصادي إيراني مع العرب » كتبت « الأهرام العربى »⁽²⁾ [اتخذ الرئيس الإيراني خطوات فعلية تجاه تحقيق هذا الحلم للوصول إلى تكتل اقتصادي إسلامي ، واستجابة الدول العربية لتفعيل تلك الخطوات ، وإحياء الروابط الاقتصادية العربية الإيرانية القديمة لتصل قيمة التبادل التجاري الإيراني العربي إلى مليارى دولار ، نصيب مصر منها 75 مليون دولار طبقاً

لإحصائية عام 1997 .

ثم تقول الكاتبة : وفى الوقت نفسه تدرك « إيران » أهمية السوق المصرية للانفتاح على السوق الإفريقية ، لذا تحاول دائماً زيادة حجم تبادلها التجارى مع مصر ، فهى تستورد ما قيمته 40 مليون دولار من السكر والمنتجات الغذائية والأدوية ، ويحتم الوضع الاقتصادى الإيرانى الحالى زيادة حجم التبادل التجارى خاصة بعد تقلص معدل نمو إجمالى الناتج المحلى ليصل إلى 1.7 ٪ مع بداية عام 1999 ، بالإضافة إلى انخفاضه عام 1998 بنسبة 2,3 ٪ .

* أما منطقة الخليج حيث تمكنت إيران من تعزيز علاقتها الاقتصادية مع دول الخليج الخاصة بعد أن أبدت رغبتها فى تطبيع علاقتها السياسية معها ، فى محاولة لتحدى « الولايات المتحدة » التى تحاول عزلها عن دول الخليج ، وقطع علاقاتها مع جمهوريات كومونولث الروسية . حتى لا تستفيد إيران من موقعها الاستراتيجى ، باعتبارها حلقة الربط بين أكبر وأكثر المناطق امتلاكاً للثروة النفطية ، وتهدف إيران من وصل علاقاتها الاقتصادية مع الخليج العربى إلى الحد من تأثير العقوبات الاقتصادية التى فرضتها الولايات المتحدة والأمم المتحدة عليها مثل ليبيا والعراق والسودان .

*** من أجل ذلك اختار المؤلف « جارودى » فى بحثه هذا ... العنوان التالى :

« مؤامرة ضد الثورة الإسلامية »

« إن الثورة الإسلامية التى قادها الإمام الخمينى لا تشبه أى ثورة قامت من قبل ، فعبء التاريخ كانت الثورات تهدف إلى تغيير نظام سياسى ما ، والثورات الاجتماعية تشير البؤساء ضد الأثرياء ، والثورات الوطنية تهب ضد مستعمر غاصب . أما الثورة الإسلامية فقد احتوت على كل تلك الدوافع ، فعلى الصعيد السياسى وضعت حداً لطغيان الشاه ، وعلى الصعيد الاجتماعى عملت على تحرير الجماهير المضطهدة من الأوليغارشية المالية ، وعلى الصعيد الوطنى أحييت أقدم وأجمل ثقافة فى العالم ضد تقديس المال ، التى حاولت السياسة الاستعمارية الأمريكية فرضها مع الشاه ، لكن الثورة الإيرانية كانت تحمل معانى جديدة لم تسقط حكومة سياسية أو اجتماعية واستعمارية فحسب ، بل أكثر من ذلك أسقطت حضارة ونظرة معينة إلى الحياة والعالم : قامت ضد دين لا يسوح باسمه ، لكنه يرمى إلى التحكم فى علاقات المجتمع والبشرية تحت إدارة الولايات المتحدة .

وذلك ما أطلقت عليه ديانة السوق التوحيدية ، أى عبادة وتقديس المال .

إن الشعب الإيرانى بقيادة الإمام الخمينى انتصر باسم الإسلام ، أى بالخضوع لله الذى هو مبدأ الإيمان منذ أن نفخ الله من روحه فى الإنسان ، وذكر العالم أجمع إلهامه الربانى الأول ، ولذلك أثارت هذه الثورة حقد كل من يجرد حياتنا من معناها ، ولا يبقى لها سوى هدف واحد باسم النمو والتطور ، وليس بمعنى نمو الإنسان وروحانيته ، بل نمو ثروة المنعمين وزيادة بؤس الأكثرية ، ولا يسمح لهؤلاء والآخرين إلا بسعادة واحدة وهى سعادة الاستهلاك ، من ثم لم تتأخر محاولات تحالف قوات النظام البائد ضد صعود الإنسان الجديد ونداء الرسالة الإلهية .

ومن الطبيعى أن تأتى جميع التآمرات والاعتداءات ضد إيران من الولايات المتحدة وأتباعها .

بدأ أول تحالف ضد إيران من خلال الحرب العراقية الإيرانية وترامت كل الثروات المالية والعسكرية من العالم أجمع بتحريض من الولايات المتحدة ؛ لإطفاء شعلة الإيمان الجديدة التى بدأت تنتشر عبر شعوب العالم الإسلامى أجمع .

وقد فشلت المحاولة الأولى على الرغم من تأكيد الاختصاصيين والاستراتيجيين على عدم وجود جيش أو حكومة فى إيران منذ اندلاع الثورة . وإن هزيمة طهران لا تستغرق سوى بضعة أسابيع كان الجميع على خطأ لأن خططهم كانت تعتمد فقط على قوة السلاح واللوجستيك العسكرى من دون أن يدخل إيمان الشعب فى حساباتهم الألكترونية .

بعد هذا الفشل توجه عدوان آخر على جبهة أخرى وأحاطت إيران وسوريا بقبضة جديدة، وكان الهجوم الإسرائيلى على لبنان بدعم من قوات الولايات المتحدة ، فمن ضمن الـ 567 طائرة التى كانت تمتلكها إسرائيل سنة 1982 قبل غزو لبنان كانت 457 طائرة مولتها واشنطن عن طريق المنح والقروض ، وجاءت ثلث الميزانية العسكرية الإسرائيلية فى تلك السنة من الخزانة الأمريكية مباشرة . لم يكن هذا العدوان الجديد فرصة لإسرائيل لاحتلال الأراضى اللبنانية متحدية كل القوانين الدولية ونصب دمية ومعسكر احتلال دائم فحسب ، بل كانت فرصة لصياغة - حسب ما جاء فى مجلة الوكالة اليهودية العالمية Kivounim (اتجاهات) فى عددها لعام 1982 الصادرة فى القدس - استراتيجيتها العامة المبنية على تفكيك جميع الدول المجاورة⁽³⁾ ، من الفرات حتى النيل وما بعدها . وبالطريقة نفسها استهدفت سوريا . (إن انفجار سوريا والعراق إلى مناطق محددة ، مبنية على أسس إثنية ودينية ، يجب أن يكون هدف

إسرائيل الأولى على المدى البعيد ، وكانت المرحلة الأولى هى تحطيم القوة العسكرية لهاتين الدولتين ، إن التركيب الاثنى لسوريا ربما يعرضها إلى تجزئة تؤدى إلى نشوء دولة شيعية على امتداد الساحل ، ودولة سنية فى منطقة حلب ، وأخرى فى دمشق ، وكيان صغير للدروز التى تأمل فى تكوين دولة خاصة بها ربما ستكون على الجولان التابعة لنا ، وعلى أى حال ستكون مع الحوران وشمال الأردن . ودولة فى هذا الطرف ستكون ضمان سلام وأمن للمنطقة على المدى البعيد . وهذا هدف يمكننا تحقيقه .

أصبحت إيران هدفاً باعتبارها مسؤولة عن جميع أشكال المقاومة ضد الهيمنة الأمريكية فى العالم ، كان هتلر فى الماضى يسمى كل مقاومة إرهاباً على سبيل المثال فى الغزو الثانى للبنان الذى كان عام 1996 احتلت إسرائيل منطقة بصفة غير شرعية ، حصل أن أقدم مقاوم على قتل أحد جنود الاحتلال فقام شمعون بيريس بإدانة هذا الفعل واعتبره عملاً من أعمال الإرهاب⁽⁴⁾ بحجة ارتكاب جريمة ضد الإنسانية ، متناسياً قصف المدنيين والنساء والأطفال بالقنابل فى قانا وهم يحاولون الاحتماء فى مخيم تابع للأمم المتحدة .

ومن أجل تقوية التحالف الشامل والعالمى ضد إيران باعتبارها منفذة الإرهاب على الصعيد العالمى ، عقد المؤتمر العالمى ضد الإرهاب فى شرم الشيخ ، ومن دون أن يقدم أى أدلة أو براهين اعتبر شمعون بيريس إيران مسؤولة عن الإرهاب الدولى⁽⁵⁾ . وثمة دليل بدهى عن سوء النية هذه باتهام عملاء إيرانيين بالقيام بتفجيرين فى بوينس ايرس ، الأول حدث فى 17 آذار (مارس) فى السفارة الإسرائيلية أسفر عن 29 قتيلاً ، والآخر فى 18 حزيران (يونيو) عام 1994 فى الرابطة اليهودية بالأرجنتين أسفر عن 86 قتيلاً .

فى الحالة الأولى رفضت السفارة الإسرائيلية دخول أى قاض أرجنتينى إلى المكان لتقصى أسباب الانفجار . وفى الحالة الثانية اعتمدت على الوشاية بأحد المهاجرين الإيرانيين ، طارحة فكرة السيارة المفخخة خارج المبنى ، وقد استبعدت قبل كل شئ التفسير المنطقى ، وهو تصفية حسابات نتيجة بعض الاستفزازات التى حصلت بين أجنحة معارضة فى كل من حزب العمل وحزب الليكود .

إن مشروع التحالف الشامل ضد إيران طرحه بطريقة منهجية ودقيقة منظر البنتاغون (صموئيل هانتنتغتون) عندما طور فى عام 1994 (فى مجلة Commentaire فى عددها المرقم 66) أطروحته حول « اصطدام الحضارات » منذ نهاية الحرب العالمية

الثانية ، أى فى غضون نصف قرن ، كانت الولايات المتحدة تتذرع بتكديس ترسانة أسلحتها بحجة « التهديد السوفياتى » .

وتحت مسميات الأمن الوطنى الأمريكى قامت الولايات المتحدة بتبرير اعتداءاتها فى كل أصقاع العالم حتى وصل بها الحد للذهاب إلى فيتنام مروراً بكوريا ، وحتى دعم الديكتاتوريات العسكرية فى أمريكا اللاتينية كما دعمت (ماركوس) فى الفلبين ، إضافة إلى إقدامها على حماية نظام التمييز العنصرى فى جنوب إفريقيا سابقاً .

وكان لابد بعد انهيار الاتحاد السوفياتى من شن حرب على ثلاث قارات بما فيها الإسلام بذريعة أن تهديد « الإرهاب »⁽⁶⁾ العالمى يبرر استمراريتها فى التسلح ، بل والإسراع فى هذا السباق المحموم إضافة إلى التدخل فى الشؤون الداخلية على الصعيدين الاقتصادى أو العسكرى فى جميع أنحاء العالم فشكلت أطروحة (هانتغتون) حول « صدام الحضارات » القاعدة النظرية لهذا التوجه الاستراتيجى الجديد ، وتكشف لنا استنتاجاته ما يلى :

أن صدام الحضارات سوف يهيمن على مجمل السياسة العالمية .

وأن علامات التصدع بين الحضارات سوف تصب فى سمات المستقبل .

وأن الحروب الداخلية تحدث أساساً فى قلب الحضارة الغربية ، وهى كانت فى الأصل « حروباً أهلية غربية » وبانتهاء الحرب الباردة خرجت السياسة الدولية من واجهتها الغربية لتصبح مركزاً لتداخل الحضارات الغربية وغير الغربية على حد سواء .
يبين (هانتغتون) من خلال هذه الاستنتاجات بوضوح تطبيقاته التحليلية من وجهة نظر السياسة الدولية وهى :

1 - تحديد تنامى القوة العسكرية فى الدول الآسيوية الكونفوشية والدول الإسلامية .

2 - الحفاظ على التفوق العسكرى فى الشرق الأقصى وجنوب غربى آسيا .

3 - استغلال الخلافات والتناقضات بين الدول الكونفوشية والدول الإسلامية .

4 - دعم الجماعات المؤيدة للقيم والمصالح الغربية والموجودة فى الحضارات غير الغربية .

5 - تقوية المؤسسات الدولية التى تجسد بشكل شرعى مصالح الغرب وقيمه وتفضيل مساهمة الدول غير الغربية فى هذه المؤسسات ، وبالنتيجة يجب على الغرب أن يحافظ على القوة الاقتصادية والعسكرية الضرورية لحماية مصالحه فى علاقاته مع هذه الحضارات .

وهذا على الأقل قيمة الوضوح فى طرح الأفكار ، إذا ما هو دور إسرائيل فى الجيوبوليتك المفهوم على هذا الشكل ؟

دور إسرائيل الجيوبوليتكى :

لقد كتب ثيودور هيرتزل فى مؤلفه (الدولة اليهودية) عام 1895 ما يلى :
(نحن نشكل بالنسبة إلى أوروبا جزءاً من المتراس ضد آسيا ، وسنصبح الحزام المتقدم للحضارة ضد البربرية «الدولة اليهودية / منشورات ليبشيز / باريس 1926 ، ص 95) .

إن أطروحة (صموئيل هانتنغتون) تتواصل تماماً مع أطروحة (هيرتزل) ؛ لأنه يتصور الاصطدام كمستقبل حتمى للتاريخ العام بين حضارة يهودية مسيحية وبين التحالف الإسلامى الكونفوشيوسى كما يطلق عليه .

وهكذا يخفى تحت صيغ دينية موهة ، حقيقة سياسية وإنسانية أساسية من المحاولات الأمريكية لفرض العولمة ، أى بمعنى هيمنة ديانة السوق التوحيدية الأمريكية ، وتسحق بذلك ثقافة الشعوب كلها وتسحق حتى معنى حياتهم .

ثمة تنسيق يتضافر منذ مؤتمر بكين (آيار / 1996) بين 31 بلداً قرر أن يبنى وبكل وسائله التقنية الحديثة « طريق الحرير من نوع جديد » والمساهمان الأساسيان فيه هما الصين وإيران ، إن هذا المشروع الإنسانى لفتح صحارى آسيا الوسطى من أجل تحقيق وحدة الجزيرة الكبيرة ، الأوروأسيوية ، تكون أوروبا داخلها مجرد شبه جزيرة صغيرة فى آسيا .

وبدلاً من فرض هيمنة وحيدة لتحطيم ثقافات الشعوب لصالح « عولمة » السوق فإن هذا المشروع يعتمد هدفاً مغايراً وهو توحيد العالم المتناسق ، إذ يعطى كل شعب من هذه الشعوب غناه وثقافته وتاريخه ويخلق بذلك تليقاً متقارباً بين الحضارات .

وقد قامت إيران بمساهمة ثرية فى هذا المشروع من خلال بناء شبكة سكة حديد تمتد من تركمانستان حتى بندر عباس على الخليج ، وتشترك كل من الهند وماليزيا فى هذه الملحمة الإنسانية الكبيرة .

هكذا إذا ابتداء المستقبل : مستقبل بوجه إنسانى وقدى .

إن انتصار هذا الاختيار الإنسانى ضد المحاولات اللاإنسانية للهيمنة الأمريكية فى فرض ديانة السوق التوحيدية وعبادة المال على العالم ، تعتمد على الجهود المسؤولة

لكل فرد منا . إن نقطة الضعف عند الولايات المتحدة الأمريكية هى الاقتصاد ، هذا البلد الذى يعتبر الأغنى فى العالم والذى يدعم مرتزقة إسرائيل ، هو البلد الأكثر مديونية⁽⁷⁾ فى العالم ، لكنه يعيش فوق مستوى طاقاته وإمكانياته بفضل النهب الكولونيالى الجديد لثروات العالم . وهذا ما أدى إلى خلق خلل فى التوازن ، إذ إن 83 فى المائة من ثروات العالم الطبيعية يتصرف بها 20 فى المائة من السكان الأغنى فى العالم ، فى حين أن 20 فى المائة منهم الأكثر فقراً يتقاسمون 1.04 فى المائة فقط ، وهنا لا يمكن أن نتصور وجود إدارة أكثر كارثية فى أرض البشر . ذلك لأن هذا التقسيم غير العادل أدى إلى وضعية كارثية فى عام 1996 فمات أكثر من 40 مليون إنسان فى العالم من سوء التغذية أو من الجوع .

إن نموذج النمو والتطور الغربى ، والمفروض من قبل الولايات المتحدة ، يكلف البشرية كل يومين ما يعادل الضحايا الذين تسببت فى قتلهم قنبلة هيروشيما .
بأى طريقة يمكن قلب المسارات الحالية « لديانة السوق التوحيدية » التى تؤدى بنا نتائجها إلى انتحار كونى من خلال إنهاء مصادر الطبيعة غير القابلة للتجديد وتحطيم ثلاثة أرباع البشرية عن طريق الإفقر والبؤس .

هذا يتم بتحطيم أسطورة ما تسمى « ديمقراطية » حرية السوق .
لأن حرية السوق هى إعطاء الحرية للأقوى من أجل افتراس الأضعف .
هذا هو قانون الغابة .

الإحالات المرجعية والهوامش الوثائقية

- (1) هذه هي المقالة التاسعة التى نشرتها مجلة المشاهد السياسى ، السنة الثالثة العدد 68 ، لندن بتاريخ 29 يونيو : 5 يوليو 1997 ، وهذا هو تصور الكاتب - جارودى - عن حماية إيران وأهدافها المعلنة وغير المعلنة وهذا الأمر يحتاج إلى مراجعة ، وتحليل وتدقيق ، ولذا فإن ما كُتب عن إيران هى وجهة نظر الكاتب الشخصية وله أجر المجتهد إنشاء الله تعالى .
- (2) الأهرام العربى العدد 131 بتاريخ 25 سبتمبر 1999 ص 40 ، المقالة من إعداد نجوى عبد الله .
- (3) هذه المجلة « الخاصة بالوكالة اليهودية العالمية » كيفونيم . كتبت عنها [جريدة العرب العالمية] فى عددها 5305 يوم الجمعة 1998/2/27 تبين المؤامرة اليهودية الكاملة وتوضح استراتيجيتها فى تقسيم جميع الدول المجاورة لإسرائيل من النيل إلى الفرات .
- * أما تقسيم مصر إلى دويلات أربع فنشرتها جريدة « عرب تايمز » العدد 107 الصفحة 38 التاريخ 11 : 20 ديسمبر 1992 ذكرت التقسيم بالتفصيل .
- * وقد ذكر الأمة علماءها بخطورة هذا التقسيم فمنهم :
د . حامد ربيع . ونشر له الأهرام الاقتصادى العدد 733 بتاريخ 1983/1/31 .
د . جمال عبد الهادى مسعود فى كتابه الطريق إلى بيت المقدس ج3 / 163 . وما بعدها .
قراءة فى فكر علماء الاستراتيجية - الكتاب الرابع - ضمن سلسلة « نحو وعى سياسى واستراتيجى وتاريخى »
د . جمال عبد الهادى / عبد الراضى أمين . طبعة دار الوفاء عام 1999 .
- (4) أعمال الإرهاب : ليس جديداً اتهام الإسلام بالإرهاب ، الجديد هو اتهام المؤسسات الإسلامية بأنها تمول الإرهاب ، والجديد أيضاً هو أن التعامل الدولى مع هذه المؤسسات انتقل من الاتهام إلى الإدانة . والجديد كذلك هو ما تتعرض له الدول الإسلامية الغنية من ضغوط معنوية ومادية لحملها على وقف مساعداتها لهذه المؤسسات ولرفع الوصاية عنها .
- * فإن الإرهاب لم يتبلور واقعاً إلا فى عام 1793 ، وكان ذلك فى عهد الرهبة فى فرنسا من 10 / 3 / 1793 إلى 27 / 7 / 1794 ومنه اشتقت اللغتان الإنجليزية والفرنسية لكلمة الإرهاب Terrorism .
- ** فخلال الثورة الفرنسية مآرس ، « روبسبير » وزمرة معه العنف السياسى على نطاق واسع ، فمن أصل سكان فرنسا الذين يبلغ عددهم 27 مليوناً تمكنت تلك المجموعة من قطع رؤوس 40 ألف بواسطة المقصلة ، واعتقال 300 ألف آخرين ... أليس هذا هو الإرهاب بعينه !!
- * ومع تطور المدنية تطور العمل الإرهابى ففى عام 1956 اختطفَت السلطات الفرنسية طائرة مدنية ترفع العلم المغربى ، وعلى متنها (خمسة) من قادة الثورة الجزائرية ، كانوا فى طريقهم لحضور مؤتمر تحضره الحكومة الفرنسية نفسها ، للبحث عن حل للقضية الجزائرية . واحتفظت الحكومة الفرنسية بالقادة الخمسة لديها حتى استقلال الجزائر عام 1962 ، وكان هذا أول حادث قرصنة تقوم به دوله كبرى ...
- أليس هذا هو الإرهاب بعينه !!
- ** وبعد عامين وفى يوم 3 / 10 / 1958 نظمت الولايات المتحدة حادث اختطاف طائرة كويبة ، أدى إلى مصرع 17 شخصاً .
- ** وخلال الفترة من عام 1960 حتى عام 1964 تم اختطاف 40 طائرة كويبة [كان مختطفوها يُستقبلون فى

المطارات الأمريكية « كفاتحين » فقد كانت أمريكا تريد تجريد كوبا (كاسترو) من أسطولها الجوى ... أليس هذا هو الإرهاب بعينه !!

** وفى عام 1968 قامت إسرائيل بغارة على مطار بيروت الدولى فدمرت وأحرقت جميع طائرات الأسطول الجوى المدنى اللبنانى وعددها 13 طائرة .. أليس هذا هو الإرهاب بعينه !!

* وأصبح « مناحين بيجن » رئيساً لحكومة إسرائيل وهو الذى ارتكب مذبحه دير ياسين فى 9 / 4 / 1981 برغم أنه كان مطلوباً للقضاء البريطانى بتهمة تفجير فندق الملك داود فى مدينة القدس (تموز 1946) والذى ذهب ضحيته 200 شخصاً بين قتيل وجريح ... أليس هذا هو الإرهاب بعينه !!

* وإسحاق شامير الذى ترأس الفريق الذى قام باغتيال معوث الأمم المتحدة « الكونت برنادوت » فى 17 / 9 / 1948 وأصبح رئيساً للحكومة ووزيراً للخارجية ... أليس هذا هو الإرهاب بعينه !!

** راجعوا الملف الأسود لزعماء إسرائيل ... ومع كل هذا نجد أن : « ضحية الإرهاب الدولى » هو المتهم بأنه الإرهابى الأول ، وبأنه المصدر الأساسى للفكر الإرهابى !

** أليس صحيحاً أن الفاسق يكون أكثر بلاغة عندما يتحدث عن العفة ؟

[مجلة الصحوة - العدد 11 السنة 2 يوليو 1997 ، فلسطين ص 6 تحت عنوان قالوا : الإسلام والإرهاب] .

(5) الإرهاب الدولى : إيران بريئة منه والتهمة الأولى - إسرائيل - اليهودية العالمية .

* اقرأ جريدة العرب العالمية عدد 5306 بتاريخ 28 فبراير 1998 تحت عنوان [سويسرا تؤكد الإرهاب الإسرائيلى] كتب أحمد الهونى فقال : « لم تصبح عمليات الإرهاب سرية ، بل لا تتبرأ إسرائيل منها ، وترفض الاعتذار عنها ... ومنذ شهور أعلن الموساد لاغتيال صدام حسين ، ووثقت الصحف الإسرائيلية ذلك ، ولم تنف الحكومة أو يصدر تكذيب من أى جهة !! لذا نسأل الولايات المتحدة والرئيس كلينتون بالذات - حامى دولة السلام - لماذا لا يعلق !! مثلما كان يتحدث كل يوم مهدداً العراق ودولاً إسلامية أخرى محذراً من الانتهاكات ، فهأى إسرائيل - دولة الإرهاب - تنتهك سيادة سويسرا ، وترتكب جريمة تجسس ، وقبلها نفذت جريمة بشعة فى الأردن الصديقة !! »

(6) الإرهاب العالمى : تعتبر التعبئة العالمية لمحاربة « الإرهاب » أهم مكونات « ثقافة السلام » ويعبر بعض أعداء الإسلام بقولهم : « محاربة أعداء السلام » ويمكن مراجعة خطاب الرئيس الأمريكى بل كلينتون فى كثير من المناسبات وآخرها توقيع اتفاق « توسيع الحكم الذاتى الفلسطينى يوم 9 / 9 / 1995 .

وهم يشيرون إلى مسلمى فلسطين من « منظمة حماس » إلى « الجهاد الإسلامى » ، ويمكن مراجعة خطاب « أندريه كوزيريف » وزير خارجية روسيا فى « البيت الأبيض يوم 13 / 9 / 1993 بمناسبة توقيع اتفاق « غزة - أريحا » إذ عبر بقوله « الإرهاب الدينى » مشيراً إلى مجاهدى طاجيكستان وأفغانستان !!

* إن « محاربة الإرهاب » ليست حرباً عسكرية فحسب ، بل حرب « ثقافية » فى المقام الأول . لذا نجد أنهم يضيفون لفظ التطرف للفظ الإرهاب ، ويتحدثون عن أن حرب الإرهاب يجب أن تمتد إلى « تحفيف المنابع » وهم يقصدون بذلك محاولة القضاء على الفكر الإسلامى وأصوله ... فقد وضعوا كل المسلمين فى قارب واحد ، وعقدوا العزم على إغراقه ... أو حرقه ، والله غالب على أمره .

[كيف نفكر استراتيجياً - لواء أ . ح . فوزى محمد طایل - مصدر سابق ص 405 ، 406] .

(7) راجع كتاب « سقوط أمريكا قادم عام 1995 فمن يوقفه » بقلم هارى فيجى ، جيرالد سوانسون طبعة أولى عام 1993 ص 25 وما بعدها . تحت عنوان الفصل الثانى مسببات الأزمة . راجع ص 92 هامش 11 ، الأهرام الاقتصادى بتاريخ 12 / 8 / 1995 . وهو يعرض لكتاب الإفلاس عام 1995 الانهيار القادم لأمريكا ص 72 ، 73 ، 74 إعداد د . د . جمال فاضل .

المبحث الثالث

[ماستر يخت الأوربية استجابة للهيمنة الأمريكية]⁽¹⁾

* إن المؤلف « رجاء جارودى » فى كتابه « الولايات المتحدة طليعة الانحطاط » يدعو إلى تضافر الجهود لمقاومة الهيمنة الأمريكية وتدميرها - بكل صورها - ، وذلك لإنقاذ العالم (فهى -الولايات المتحدة - تلوث العالم كله مادياً وأخلاقياً .

* فى الفصل الرابع من الكتاب ص 125 يتحدث عن استعمار أوروبا الاقتصادى للعوالم الثلاث ، ويوضح « جارودى » أن الانحطاط أخذ يشيع عالمياً من خلال استعمار أوروبا والعوالم الثلاث من قبل الولايات المتحدة بفضل . إعلامها واقتصادها وجيوشها . ثم يؤكد المؤلف على أن سيادة الولايات المتحدة على العالم - اقتصادياً - تعنى سيادة الانحطاط وفقدان المعنى .

* وذكر « جارودى » العوالم الثلاث - بقوله - وهى اليوم العراق ، ولبنان ، والصومال ، وبالأمس بنما ، وجرينادا ، ونيكاراجوا ، وغدأ إيران ، وليبيا ، وكوبا

...

كل هذا بعد تفكك الاتحاد السوفيتى الذى غير من علاقات القوة .

* ويؤكد المؤلف - جارودى - أن الولايات المتحدة تحمل شعار (أمريكا أولاً ، كما أن «منظمة التجارة العالمية» تعمل فى اتجاه واحد هو حماية السوق الأمريكية ، وفتح أسواق العالم كله . . . أمام أمريكا .

** ولذلك . . تسخر الولايات المتحدة كل أجهزتها⁽²⁾ - آلياتها - فى سبيل الوصول إلى ذلك ، عن طريق المعاهدات الدولية - الخاصة أو العامة - ومن ضمن تلكم المعاهدات ، اختار المؤلف معاهدة « ماستر يخت » التجارية ، وأراد أن يظهر ما فى هذه المعاهدة من انحطاط تجارى ، فأضاف لها كلمة الأوربية ، ومعناها « أوروبا ماستر يخت » يعنى أوروبا أمريكا ، وهذه المعاهدة تعنى .

* تجمعاً شاملاً لكنه محدد !! مبدئياً باقتصاد وسوق لا حدود لها . « ماستر يخت » هى النموذج الأكثر رجعية فى غضون الستين سنة الأخيرة .

فبدأ « جارودى » حديثه بقوله :

« ماستريخت الأوروبية استجابة للهيمنة الأمريكية »

* الأسواق تقود الحكومات أكثر فأكثر ، وبفضل سياسة ثابتة فى الخصخصة⁽³⁾ والفوضى المالية ، اتخذت الشركات الأجنبية الكبيرة ، وخصوصاً الأمريكية منها ، أهمية أكبر فأكبر فى اقتصادنا .

إن صندوق ولنغتون هو أول مساهم مالى فى شركة رون - بولاتك ويدخل الصندوق الأمريكى لازارد وتامبلتون فى آن واحد فى رون بولاتك وبيشنى يشكل مع فيدلتي المساهم المالى الأكبر ، ويعترف كلود بيسان ، وهو مدير المجموعة المالية فى مؤسسة شنايدر بما يلى :

« رغم أن رأس مالنا توقف عند مستوى 30 فى المائة فى الاستثمارات الأجنبية ، فإنه يشتمل على 33 فى المائة فى سانت غوبان و 25 فى المائة فى شركة ليونيز للمياه و 40 فى المائة فى مؤسسة A.G.F .

وكتب إيريك إيزابيلفكس فى صحيفة « لوموند » (العدد 19 تشرين الثانى «نوفمبر» 1996) : (أن ما يصدى هو سقم الصناعة الوطنية فى فرنسا ، فإن الشركات الأجنبية من الآن فصاعداً قادرة على شراء كل المجوهرات التى ترغبها من دون أن تثير أى ردود فعل) .

وبكلمة واحدة ، إن الصناعة الفرنسية تسير تحت الرقابة الأمريكية . إن بلداً عضواً فى (المنظمة العالمية للتجارة) باستثناء الولايات المتحدة التى تبيع لنفسها القيام بأى عمل ، من ضمنه إعطاء قوانينها امتداداً دولياً إلزامياً ، مثل قانون (هيلمز بيرتون) الذى يمنع الاستثمارات فى كوبا أو فرض قانون داماتو فى إيران وليبيا ، لم يعد قادراً على :

* تحديد استيراداته الزراعية أو تمويل استثماراته .

* رفض تأسيس الشركات المتعددة الجنسية ، التى ينبغى أن توافق على شروط الصناعات الوطنية نفسها .

وإن كل خرق لهذا القانون يجعل من هذا البلد (مذنباً) ويخضع للانتقام الاقتصادى ، بل وحتى التهديد المؤكد باستخدام السلاح ، فالدول الخاضعة لمتطلبات (صندوق النقد الدولى) تعرف ما يكلفها ذلك من ثورات وضحايا .

فالانحياز المهيمن عند (الاقتصاديين) الرسميين مثلما عند السياسيين ، هو الدفاع عن (الليبرالية)⁽⁴⁾ من دون حدود ، والمبالغة فى اختفاء الدولة أمام هيمنة قوة السوق

من أجل ألا يشكل أى عقبة أمام الاحتلال الاقتصادى .
أما (الإشتراكي) ⁽⁵⁾ المختلف فيسير فى الاتجاه ذاته ، تحت غطاء لغة تتمحور حول العدالة والتوزيع العادل للإيرادات والتكاليف .

وفى صياغة أخرى لا نرى سوى منفذ آخر (النمو) و (أوروبا) ويقولون :
أوروبا الأخرى ، من دون الخروج عن المنظار الغربى ، ويدان ذلك من خلال ترويج (أفضل المبيعات) ما جاد به فيفيان فورستر وهو نظرية الرعب الاقتصادى ، من دون التخطيط لأقل منظور حقيقى كى نخرج من الأزمة ، وذلك برفض تخصيص الفاعل وإشراف منظور عالم آخر فى طور الولادة ونماذج أخرى للتطور .

منذ قبول معاهدة « ماستريخت » أكثر من 90 فى المائة من القرارات السياسية الأساسية اتخذت من قبل البرلمان ، ولكن من قبل لجنة التكنوقراط فى بروكسل غير الملزمة بالإجابة أمام أحد ، سوى أمام 12 رئيساً للوزراء يجتمعون لساعات ضئيلة كل ستة أشهر من أجل إدامة التوجيهات التى تقرر مصير 340 مليون شخص . ويمكننى القول : إن « أوروبا ماستريخت » هى أوروبا أمريكية ، وفى ثلاث مراحل ذات الصيغة الواحدة تعلن فى النص : أن هدف الاتفاقية هو تطوير « الاتحاد الأوروبى الغربى » باعتباره وسيلة لتقوية الثقل الأوروبى فى الحلف الأطلسى .

ولكيلا يخطئ أحد حول تبعية أوروبا لأمريكا يحدد الإعلان الأول أن احتمال «الدفاع المشترك» يجب أن يكون مطابقاً لحلف الأطلسى (الفقرة الأولى) ويجب أن يتواصل فى إطار الاتحاد الأوروبى الغربى وحلف الأطلسى ، وسيبقى الحلف ساحة المداولة الأساسية . إذ لا يعبر ذلك عن « تقوية الثقل » ولكن عن تحويل الاتحاد إلى جزء من التكوين السياسى الأمريكى .

أوروبا «ماستريخت» تقع فى سياق سياسة الهيمنة العالمية للولايات المتحدة .
فى 8 آذار (مارس) 1992 نشرت صحيفة « نيويورك تايمز » وثيقة واضحة للبنتاغون يمكننا أن نقرأ ما جاء فيها : « إن وزارة الدفاع تجزم بأن الرسالة السياسية والعسكرية للولايات المتحدة ، فى فترة ما بعد الحرب الباردة ، هى عدم السماح بقيام قوة عظمى فى أوروبا الغربية ، وفى آسيا أو على أراضي الدول الأوروبية المشتركة .

وستكون مهمة الولايات المتحدة هى إقناع المنافسين المحتملين بأنه لا داعى للحلم بلعب دور أكثر أهمية ، ولا تبنى موقف أكثر عدائية ، وبالعدول عن تحدى تفوقنا أوالمبحث عن قلب النظام السياسى والاقتصادى الموجود » .

هذه الوثيقة تؤكد على تعميم « الإحساس بأن النظام العالمى تدعمه الولايات المتحدة فى نهاية المطاف » ، ويرسم عالمًا توجد فيه قوة عسكرية مهيمنة لا يسمح فى ظله للآخرين الخروج على الترتيبات التى تهدف إلى إضعاف المنافسات المحتملة ، التى تأمل فى لعب دور إقليمي أو عالمي أكثر أهمية .

« نحن يجب أن نبحث عن إعاقه ظهور أنظمة أمنية أوروبية بالدرجة الأولى تعمل على الحلول محل حلف الأطلسي » هكذا تقول صحيفة هيرالد تريبيون الدولية (9 آذار / مارس 1992) .

وهناك نص فى معاهدة ماستريخت يعزز تلك المقولة وهو : ويقول ما يأتى :
« يتحرك الاتحاد الأوروبي طبقًا للقرارات المتبناة فى حلف الأطلسي » . وقد تبنت الدول المهيمنة فى ماستريخت إعلانًا مشتركًا يحدد وظائفها وهى (تقوية الدعامة الأوروبية فى حلف الأطلسي) وأثنت الاتفاقية على المؤسسات الأوروبية ، التى تمارس سياسة مشتركة فى ميادين السياسة الخارجية ، وهذا يعنى كما فى الرسالة التى كتبها (بول مارى دى لاغورس) ، مدير مجلة الدفاع الوطنى الفرنسية : « إنه لم تعد هناك سياسة وطنية أبدًا » . وعلى الطريق نفسه أطلق (جورج بوش) فى عام 1991 مبادرته بإنشاء « سوق وحيدة » لأميركا تمتد من (ألاسكا حتى أرض النار فى القطب الآخر) . وعلى النحو ذاته أبلغ رئيس السنغال (عبدو ضيوف) ، إرادة أمريكا فى التوحيد الاقتصادى السريع لإفريقيا ، وقد نادى بالطريقة ذاتها الرئيس (ريغان) منذ الثامن من حزيران (يونيو) 1985 ، « بتوسيع الوحدة الأوروبية كى تمتد من لشبونة حتى داخل الأراضى السوفياتية ، وقد قدمت التهانى (لجورج بوش) على (القرارات التاريخية) المتخذة فى ماستريخت .

* وماستريخت تعنى تجمعًا شاملاً لكنه محدد مبدئيًا باقتصاد سوق لا حدود لها .
فاليرى جيسكار ديستان ، قال فى القناة التلفزيونية الأولى الفرنسية فى 4 حزيران (يونيو) عام 1993 ، من خلال تطبيق ماستريخت : لم تعد هناك تأميمات ممكنة تتلاءم مع أجواء (المراقبة) والحظر .

وحتى لو كان هناك اقتصاد قوى بعيدًا عن هذه السوق الرأسمالية⁽⁶⁾ من دون حدود وذو وجه (ليبرالى) يرى ديستان أن (المشكلة هى معرفة إذا ما كان هذا الاختيار مفروضًا من قبل الاتفاقية ، التى لا يستطيع أحد التراجع عنها مبدئيًا ، وإذا ما كانت الشعوب ترى منع أى اختيار آخر) . وتشترط الفقرة 3 أ منع الرجوع عن هذه القرارات بسرعة .

روبرت بيليتيه : المدير العام للخدمات الاقتصادية فى CNPF وعضو اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لدول السوق الأوروبية المشتركة ، باعتباره مديراً ، يلقي الضوء على الأمور التالية (صحيفة لوموند 23 حزيران / يونيو 1992) ، من الآن حتى نهاية عام 1997 ترتفع نسبة البطالة من 16 فى المائة إلى 19 فى المائة فى إسبانيا وفى إيطاليا .

ثمة انفجار تاريخى للبطالة لا مثيل له وحسابات تؤدى إلى دوار الرأس ، بالنسبة إلى اليونان والبرتغال ، أما بالنسبة إلى الفرنسيين فيقول : لا يمكن أن تخفى عنهم لفترة طويلة السياسة المفروضة من قبل ماستريخت تحت الألوان الليبرالية فى العودة إلى اقتصاد السوق ؛ لأنها فى الحقيقة النموذج الأكثر رجعية فى غضون السنوات الستين الأخيرة .

وهكذا يتم الدخول فى السوق العالمية التى تهيمن عليها الولايات المتحدة ، وتسلم أوروبا زراعتها وصناعاتها وتجارتها وفنّها السينمائي وثقافتها بأكملها ، إلى قوانين (التبادل الحر) بحيث إن اقتصادياً مثل (موريس إلياس) (الحائز على جائزة نوبل فى الاقتصاد) قال محذراً: إننى أستبعد ، وفى الأقل على مستوى المستقبل المنظور ، جميع التوجهات نحو تبادل عالم حر كما فى الاتجاه السائد حالياً) .

وثمة أمثلة حديثة ومؤلمة تبرر مخاوفه ، أولاً ما يخص الزراعة الأوروبية التى أصابها الخراب من أجل خدمة مصالح المزارعين الأمريكيين .

ويضيف (موريس إلياس) : « إن تقدم العالم نحو مستقبل أفضل لن يكون نتيجة إنشاء تبادل عالمى حر ، فالإنتاج الزراعى الأوروبى حيوى للغاية اقتصادياً وثقافياً ، أما الطلبات الأمريكية ، الناتجة عن السوق الزراعية الأوروبية التى يمكن أن يتم غزوها من قبل إنتاج المزارعين الأمريكية ، فهو أمر لا يمكن قبوله بسهولة) .

والصناعة الأوروبية لا تقل خطورة فى أوضاعها ، وتحت ذريعة إدامة قواعد المنافسة فى أوروبا ، منع المفوض الأوروبى للمنافسة ليون بريتان شركتين - فرنسية وإيطالية من شراء شركة الطيران (دى هافيلاند) وذلك لمنع مجموعة أوروبية من أن تكون لها طاقة قادرة على إزعاج الشركات الأمريكية .

وهكذا تمارس الولايات المتحدة ضغوطاتها من أجل ألا يتجاوز الدعم المالى المدفوع لصالح صناعة الإبراص نسبة 25 فى المائة من سعر الطائرات بدلاً عن نسبة 35 فى المائة التى لا يريد الأوروبيون أن تنخفض . والأمريكيون أصحاب دعايات (التبادل الحر) يهددون بالانتقام من خلال كسر ضرائب الإبراص التى تغلق عليهم السوق

الأمريكية .

والحال نفسها بالنسبة إلى جميع القطاعات، منذ قضية المياه المعدنية، إذ عارض (ليون بريتان) شراء شركة (بيريه) من قبل « نستلى » كى يمنع ، كما يقول : تركيز السوق فى أوروبا .

وفى الحقيقة هناك حرص على عدم فتح سوق تنافسية مع الشركات الأمريكية ، حتى فى مجال الإلكترونيات : بعد المجموعة الهولندية فيليبس والمجموعة الفرنسية الإيطالية تومسون إس جى إس فإن المجموعة الألمانية (سيمنس) تخلت عن آمالها الكبيرة ، تركت الإنتاج الضخم لشركة IBM الأمريكية ، ويمكننا أن نتصور حجم الكارثة فى ميدانى العمل والبطالة اللذين وضعنا تحت رحمة التعنت التكنولوجى الأمريكى ، والمثال الأكثر نموذجية هو تجارة السلاح ، ففى أقل من عام بعد الوعود التى قطعها (جورج بوش) فى الصراع ضد تعدد مصادر السلاح ومن ضمنها السلاح التقليدى تعرض اتفاقية آيار (مايو) 1991 المعقودة بين البنتاغون ووزير الدفاع ديك شينى الحكومة الفدرالية على دعم المصدرين الأمريكيين لعرض وبيع أسلحتهم .

ونج عن ذلك فى عام 1991 أن الولايات المتحدة ضاعفت تقريباً صادراتها من الأسلحة ، وبعدها أمنت لها حرب الخليج حملة إعلانية لم يسبق لها مثيل، وقد ازدادت المبيعات بنسبة 64 فى المائة عام 1991 وارتفعت إلى 23 بليون دولار مقابل 14 بليون دولار فى عام 1990، ويخمن الخبراء الأمريكيون بأن مصنعى الأسلحة ضربوا رقماً قياسياً جديداً فى عام 1992 بإجمالى أرباح تقدر بـ 37 بليون دولار من صادراتهم وهكذا أصبحت أوروبا تابعة فى جميع الميادين .

يضاف إلى ذلك أن أوروبا (الدول الاثنتا عشرة) تشكل نادى قدامى الاستعماريين جميعهم بلا استثناء. وعلى الرغم من ذلك تكرر اتفاقيات ماستريخت 21 سطرًا من 66 صفحة لتعريف علاقاتها مع العالم الثالث، تورد أقوالاً طيبة حول تطورها والصراع ضد الفقر، أما الأطروحة الأساسية فهى ، ضم الدول النامية إلى الاقتصاد العالمى ، وهذا معناه أيضاً أن تقوم بقتلها .

لقد وافقت اليوم « القوى » الاستعمارية الأوروبية القديمة ، بعيداً عن منافساتها التقليدية على السيادة الأمريكية المطلقة من أجل استعمار من طراز جديد متحد وتوتاليتارى .

وهكذا تبقى أوروبا ذات وجه استعمارى ولكنها تبقى تابعة ، كما فى الخليج للأسياذ الأمريكيين .

الإحالات المرجعية والهوامش الوثائقية

(1) هذه هي المقالة العاشرة التي نشرتها مجلة المشاهد السياسى ، السنة الثالثة ، العدد 69 ، لندن ، بتاريخ 6 : 12 يوليو 1997 .

(2) أجهزتها :

- 1 - منظمة العمل الدولية .
- 2 - منظمة الأمم المتحدة للأغذية والزراعة .
- 3 - منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة .
- 4 - منظمة الصحة العالمية .
- 5 - البنك الدولي للإنشاءات والتعمير .
- 6 - هيئة التنمية الدولية .
- 7 - صندوق النقد الدولي .
- 8 - منظمة الطيران المدنى الدولية .
- 9 - اتحاد البريد العالمى .
- 10 - الاتحاد الدولي للاتصالات السلكية واللاسلكية .
- 11 - منظمة الأرصاد الجوية العالمية .
- 12 - المنظمة الاستشارية الحكومية للملاحة البحرية .
- 13 - منظمة التجارة العالمية - الجات .
- 14 - الوكالة الدولية للطاقة الذرية .

[كيف نفكر استراتيجيًا - مصدر سابق ص 360 الفصل الثالث] .

وكل هذا يندرج تحت المسمى العام « النظام العالمى الجديد » أو العولمة الجديدة ، وهى الهيمنة الاقتصادية على السوق العالمية .

(3) الخصخصة : Privatization وهذه الفكرة ضربة مشتركة مزدوجة يتحقق من ورائها هدم النظم الاشتراكية فى جوهر وصميم قيمها الاقتصادية ، التى تعتمد على أفكار التخطيط والاقتصاد الموجه ، وهو ما يسمى « بالإصلاح الاقتصادى » وهو تحويل القطاع العام - الحكومى - إلى قطاع خاص استثمارى اشركات متعددة غربية كانت أو شرقية ، خاصة الشركات العملاقة « للهيمنة على الاقتصاد » .

[كيف نفكر استراتيجيًا - مصدر سابق ص 364 بتصرف] .

(4) الليبرالية (مذهب الأحرار) Lileralism مبدأ وسط بين الرجعية (Censervatism وبين الراديكالية - Radi-calism مع الاستعداد لإدخال تغيرات لا تعترف بها التقاليد . (ومذهب الأحرار) هذا ينطوى على الاهتمام بالنهوض الاجتماعى وتحسين الحالة العامة ، دون الالتجاء إلى إقحام تعديلات خطيرة على نظم المجتمع وبنائه المعروف .

وبسبب المذهب المذكور من تقاليده وأصوله ، النظر بعين الاعتبار إلى أى نفع خاص ، أو فائدة شخصية عند معالجة الشئون الاقتصادية والسياسية وغيرها من شئون المجتمع ، والواقع أن الأحرار هم الذين ابتكروا منذ

فجر التاريخ وسائل الثورة على الأوضاع القائمة .

[قاموس المذاهب السياسية . مارتن دودج - تعريب أحمد المصرى ، مكتبة المعارف بيروت . دون تاريخ ص 70 ، 71] .

(5) الاشتراكية : هى حركة سياسية تتجه بالإنتاج إلى ناحية النفع والمصلحة والربح . . . ويقول الاشتراكيون بتأميم المصانع والمناجم والغابات . . . وأن تديرها الحكومة ، وأن الفرد يأتى فى الصف الثانى وراء الدولة ، فالاشتراكية تسبق فى وجودها غيرها من المذاهب الأخرى الحديثة ، حينما حلت طريقة الإنتاج الصناعى محل الإنتاج اليدوى ، منذ قرن ونصف من الزمان ، وأصبحت الاشتراكية حركة سياسية تتجه بالإنتاج إلى ناحية النفع والمصلحة الإنتاجية الكسب والربح .

وهناك الاشتراكية الحكومية ، التى يكون لها وجود ما دامت السلطات التى تشرف على الحكم تتصل بالمبادئ الاشتراكية . وهى تشرف على تأميم الشركات والعمليات الصناعية وغيرها مما يكون عادة من ألزم خصائص الأفراد [مصدر سابق ص 29 وما بعدها] .

(6) الرأسمالية : Capitalism .

ليست الرأسمالية مذهباً تتبعه الحكومات ، بل هو نظام اقتصادى يقضى فى الغالب أن يمتلك الأفراد ، أو الشركات كافة وسائل الإنتاج والتوزيع . والتبادل التجارى . إنها النظام المتبع فى الدول المتقدمة صناعياً فى عالمنا الحاضر ، ومن ظواهره الرئيسية ، أو من لوازمه الضرورية ما يلى :

- 1 - تملك الأفراد ، والجماعات للأرض ، ولرؤوس الأموال السائلة ، والمنايع والثروات ، والاشتراك فى الأعمال والتعاون فى القيام بها .
- 2 - تنافس الأفراد فى الحصول على الأرباح .
- 3 - التكالب على ابتكار المشروعات واستنباطها والمضى فيها .
- 4 - تنوع الابتكارات والاختراعات .
- 5 - إدخال التحسينات اللازمة على دولاب الأعمال الفنية .
- 6 - التخصيص فى استثمار الأموال على وجه العموم .
- 7 - التطور فى زيادة الإنتاج .
- 8 - العمل على نشر التجارة فى أنحاء العالم كله .
- 9 - تغلغل نفوذ تنظيمات اجتماعية تعاونية يكون من نتائجها الآتى :

أ - فرض رقابة جزئية على أداة الحكم .

ب - تقوية جبهة العمال بعد إدخال التحسينات الواجبة على نظامهم الداخلى فى النقابات .

* ومن خلال المدة التى سلخت بين القرن السادس عشر ، والقرن الثامن عشر كان الطراز الاقتصادى للحكومات الأهلية تجارياً بحثاً ، حتى إذا نشبت الثورة الصناعية ، التى بدأت بعد ذلك أصبح المبدأ الرأسمالى عامّاً ثابت الأركان .

[قاموس المذاهب السياسية ، مارتن دودج ص 55] .

تعريف بالمؤلف

- * ولد رجاء جارودى فى مدينة مرسيليا بفرنسا عام 1913 م .
- * عمل مدرساً فى بداية حياته .
- * التحق بالجيش الفرنسى عام 1939 م .
- * اعتقل خلال الحرب العالمية 1939 - 1945 م .
- * انتخب نائباً فى الجمعية الوطنية الفرنسية عام 1945 حتى عام 1962 م .
- * درس الفلسفة ونال درجة « الدكتوراة » .
- * عمل استاذاً فى جامعة « كلير مونت فبران » .
- * انضم للحزب « الشيوعى الفرنسى » عام 1933 م .
- * شغل فى الحزب « عضو المكتب السياسى » عام 1970 م .
- * هداه الله عز وجل للإسلام . . . فأسلم عام 1982 م .

مؤلفاته :

له العديد من المؤلفات فى كل المجالات - تقريباً - وصل عددها (45 مؤلفاً) .
آخرها كتاب [الولايات المتحدة . . . طليعة الانحطاط] حيث ترجم الكتاب إلى 14 لغة منها الصينية واليابانية .

من أهم مؤلفاته :

- * وعود الإسلام عام 1981 م .
- * قضية إسرائيل (ملف إسرائيل دراسة للصهيونية السياسية) عام 1983 م .
- * هل نحن فى حاجة إلى الله 1984 م .

* المساجد مرآة الإسلام 1985 م .

* فلسطين أرض الرسالات المقدسة عام 1986 م .

* إسلام الغرب (قرطبة عاصمة الروح) 1987 م .

* الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية 1996 م .

* الولايات المتحدة طليعة الانحطاط 1997 م .

حُوكِمَ فى باريس (استناداً إلى قانون يمنع إعادة النظر فى أحكام محكمة مجرمى الحرب النازيين) وذلك بسبب كتابه الأخير « الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية » بحجة أنه معاد للسامية (اليهود) . وذلك من خلال تدليله بالوثائق على عدم صحة الأخبار التى تزعم أن هتلر قد أحرق اليهود (الهولوكوست) ، وقد حكم عليه بغرامة مالية فى (باريس - فرنسا) معقل الحريات كما يزعم المغفلون !! .

المصادر والمراجع

- 1 - الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية - رجاء جارودى . ترجمة قسم الترجمة جريدة الزمن ، المغربية ، طبعة أولى ، المغرب 1998 .
- 2 - الأصوليون فى العالم العربى ، ريتشارد هرير دكمجيان ، ترجمة عبد الرؤف سعيد الطبعة الثالثة ، دار الوفاء ، المنصورة 1992 .
- 3 - أمريكا والفرصة التاريخية ، رتشارد نكسون ، ترجمة د . محمد زكريا اسماعيل ، طبعة أولى ، توزيع مكتبة البستان ، لبنان بيروت 1992 .
- 4 - بروتوكولات حكماء صهيون وتعاليم التلمود - شوقى عبد الناصر - الطبعة الثانية (د . ت) مطابع دار التعاون للطبع والنشر القاهرة .
- 5 - التلمود شريعة بنى إسرائيل « حقائق .. ووقائع » : ترجمة وإعداد محمد صبرى (د . ت) الناشر مكتبة مديولى - القاهرة .
- 6 - ثقافتنا فى إطار النظام العالمى الجديد - لواء أ . ح . د . فوزى محمد طایل ، مركز الإعلام العربى طبعة أولى 1994 .
- 7 - حرب الاستنزاف / د . محمد حمزة . المركز العربى للدراسات الاستراتيجية والعسكرية - دار الجليل للنشر - عمان . الطبعة الأولى 1985 .
- 8 - حرب المياه فى الصراع العربى الإسرائيلى ، نبى فارس ، طبعة أولى دار الاعتصام ، القاهرة 1993 .
- 9 - حوارات القدس - عماد الدين أديب - كتاب اليوم - قطاع الثقافة ، دار أخبار اليوم ، عدد يناير ، القاهرة 1997 .
- 10 - سجل النكبة 1948 فى الذكرى الخمسين لها . إعداد د . سلمان حسين أبو ستة ، مركز العودة الفلسطينى ، طبعة أولى ، المكتبة الوطنية البريطانية ، لندن 1998 .

- 11 - سقوط أمريكا قادم عام 1995 فمن يوقفه - هارى فيجى ، جيرالد سوانسون ، قدم له السناطور الأمريكى وارين رادمان ، ترجمة محمد محمود دبور ، طبعة أولى - يوستن - تورنتو - لندن 1993 .
- 12 - شمعون بيريز ، الشرق الأوسط الجديد . ترجمة محمد حلمى عبد الحافظ ، الأهلية للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، الأردن 1994 .
- 13 - صحوة الرجل المريض ، د . موفق بنى المرجة - الطبعة الثامنة ، دار البيارق ، بيروت 1996 .
- 14 - الطريق إلى بيت المقدس ، القضية الفلسطينية ، ج 3 . د ؛ جمال عبد الهادى مسعود طبعة أولى ، دار الوفاء المنصورة 1993 .
- 15 - فلسطين أرض الرسالات السماوية ، روجيه جارودى ، ترجمة قُصى أناسى . ميشيل واكيم طبعة أولى ، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، دمشق عام 1991 .
- 16 - قاموس المذاهب السياسية ، مارتن دودج ، تعريب أحمد المصرى ، مكتبة المعارف ، بيروت (د . ت) .
- 17 - قراءة فى فكر علماء الاستراتيجية ، إحتواء العقل المصرى ، الكتاب الرابع ، د . حامد ربيع إعداد د . جمال عبد الهادى وعبد الراضى أمين . طبعة أولى ، دار الوفاء ، المنصورة 1999 .
- 18 - قراءة فى فكر علماء الاستراتيجية - الجولة الإسرائيلية - العربية السادسة الكتاب الأول ، لواء . أ . ح . د . فوزى محمد طایل وآخرين ، إعداد جمال عبد الهادى عبد الراضى أمين . طبعة أولى ، دار الوفاء ، المنصورة 1999 .
- 19 - قراءة فى فكر علماء الاستراتيجية ، كيف تفكر إسرائيل . الكتاب الثالث ، الجزء الثانى د . حامد عبد الله ربيع إعداد د . جمال عبد الهادى وعبد الراضى أمين . طبعة أولى ، دار الوفاء ، المنصورة عام 1991 .
- 20 - مجلة البيان - تصدر عن المنتدى الإسلامى ، العدد 136 ، لندن - أبريل 1999 .
العدد 138 ، لندن - يونيو 1999 .
العدد 145 ، لندن - ديسمبر 1999 .

- 21 - مجلة حصاد الفكر ، تقرير شهري
- العدد 83 ، مركز الإعلام العربي - يناير 1999 .
- العدد 85 ، مركز الإعلام العربي - مارس 1999 .
- العدد 87 ، مركز الإعلام العربي - مايو 1999 .
- 22 - مجلة العالم السنة الثانية ، العدد 7 المملكة العربية السعودية يونيو 1999 .
- العدد 8 ، المملكة العربية السعودية أغسطس 1999 .
- 23 - محاكمة الحرية ، روجيه جارودي ، جاك فيرجيس ، طبعة أولى ، منشورات الفيحاء للدراسات والترجمة والنشر . 1998 .
- 24 - معركة الوجود بين القرآن والتلمود . د . عبد الستار فتح الله سعيد ، الطبعة الرابعة . دار التوزيع والنشر الإسلامية ، السيدة زينب ، القاهرة 1411 هـ .
- 25 - ملف إسرائيل (دراسة للصهيونية السياسية) روجيه جارودي ، ترجمة د . مصطفى فودة دار الشروق القاهرة 1983 .
- 26 - منبر الشرق - السنة الثانية - العدد 10 جمادى الأولى 1414 هـ نوفمبر 1993 .
- 27 - الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة - الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، الطبعة الثانية ، الرياض المملكة العربية السعودية 1989 .
- 28 - نحو نهضة أمه - كيف نفكر استراتيجيًا . لواء . أ . ح . د . فوزى محمد طایل ، طبعة أولى ، مركز الإعلام العربي ، القاهرة 1997 .
- 29 - النظام السياسى فى إسرائيل لواء أ . ح . د . فوزى محمد طایل - طبعة ثانية ، دار الوفاء ، المنصورة 1992 .

الفهرست

5	تمهيد :
9	الفصل الأول : الولايات المتحدة ... طليعة الانحطاط .
43	الفصل الثاني : نظام عالمي جديد .. أم فوضى دولية جديدة
50	المبحث الأول : ديانة السوق التوحيدية
56	المبحث الثاني : حرب دينية ضد السوق التوحيدية
65	المبحث الثالث : الخروج من الأزمة
77	الفصل الثالث : إسرائيل تهدد السلام العالمي
77	المبحث الأول : كيف تهدد إسرائيل السلام العالمي
87	المبحث الثاني : من غزو لبنان ... إلى حرب الخليج
96	المبحث الثالث : المنطق التلمودي ... في قراءة التوراة
113	الفصل الرابع : سياسة إسرائيل الخارجية
113	المبحث الأول : السلام النووي الإسرائيلي
124	المبحث الثاني : مؤامرة ضد الثورة الإسلامية
133	المبحث الثالث : ماستريخت الأوربية
141	* تعريف بالمؤلف
143	* مصادر الكتاب
147	* الفهرست